



31

الموشحات الأندلسية

تأليف

د. محمد زكريا عناني

سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - الكويت



سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ـ الكويت

صدرت السلسلة في شعبان 1998 بإشراف أحمد مشاري العدواني 1923 ـ 1990

31

الموشحات الاندلسية

تأليف

د. محمد زكريا عناني



المحتوى

المحتوى
المحتوى
المحتوى

المحتوى

تمهيد

لاسم الأندلس في النفوس إيقاع شجي عميق آسر، يحمل في طياته أصداء قرون من التوهج، ويعيد للخاطر أمجادَ مدن لا تنسى: قرطبة، غرناطة، أشبيلية وذكرى أعلام خلدوا على مر الزمان، وصفحات مفعمة بالشجن لرايات تطوى، وحضارة تنطفئ وتغيب في ضباب الأيام.

انتهت الأندلس كأسطورة من الأساطير، لكن أطيافها لا تزال تهم بين الحين والحين، وصدى لحن قديم يسري فتهتز له النفوس، وأسماء ومعالم لا تزول ما بقي الدهر: الحمراء، ماثلة كزنبقة لا ينطفئ منها العبير أبدأ، أزجال ابن قزمان بكل ما تنبض به حيوية وعذوبة، والموشحات: نهر جياش، يتدفق بالشذى والرؤى.

وقد شغلت الموشحات أجيالا من العلماء في الشرق والغرب، ولا تزال تغري بالبحث، وتتكشف من حين لآخر جوانب وضاءة من هذا الفن الذي اجتمعت له عناصر الأصالة والجدة، وتمثلت فيه عبقرية الشاعر الأندلسي، بكل ما فيها من غنائية وأخيلة وإحساس بالحياة.

وقد بدأنا -في القسم الأول من هذا الكتاب- بالحديث عن مصادر دراسة الموشحات، ثم سعينا إلى تحديد ملامح نشأتها وتطورها وأقسامها، ونظام الأوزان والقوافي التي سارت عليها.

أما القسم الثاني فيدور حول الموضوعات التي

تناولها أدباء التوشيح، وهي-في واقع الأمر-عين الأغراض التي شاعت في الشعر العربي «الكلاسيكي»، وان كان الوشاحون قد استطاعوا إضافة لون من الجدة في النسيج الفني للموشحة، ومرد هذا إلى اللمسة الشعبية التي تمثلت هنا وهناك، وإلى تركيز العناية حول الوصف والغزل وما إلى ذلك من أغراض، ومن البديهي-والأمر كذلك-أن تزخر الموشحات بالصور النابضة عن البيئة الأندلسية، وأن تأتي-في مجموعها-بعيدة عن الكلف «تشق على سماعها مصونات الجيوب، بل القلوب»، على حد تعبير ابن بسام صاحب الذخيرة.

ونصل للقسم الثالث، ويجد القارئ فيه لمحات عن أكثر من مائة وشاح أندلسي-لا نظن أنهم ذكروا جميعاً من قبل في كتاب واحد-وقد تلقطنا أخبارهم من مصادر شتى، منها-على سبيل المثال كتاب الذخيرة و «المغرب في حلي المغرب» و «المقتطف من أزاهر الطرف» و «دار الطراز في عمل الموشحات» و «توشيع التوشيح»و «الوافي بالوفيات» و «فوات الوفيات» و «عنوان الدراية» و «الكتيبة الكامنة» و «نفح الطيب» و «أزهار الرياض»، وعدد جم من الكتب المطبوعة والمخطوطة.

وأضفنا-في نهاية المطاف-ملحقاً يضم منتخبات تمثل الموشحات في عصورها وألوانها المختلفة، كما قدمنا عدداً من النصوص الهامة حول الموشحات، انتخبناها من المصادر المعتمدة، وعلقنا عليها بما يناسب المقام.

وغني عن القول أن هناك زوايا عديدة لم نشأ أن نتطرق إليها هنا (منها على سبيل المثال، علاقة الموشحات بأغاني الترو بادور)، وجوانب عالجناها في إيجاز شديد، وقد تعمدنا أن يكون الحديث كله مركزاً حول الموشحات الأندلسية، وحدانا إلى هذا أن معظم ما هنالك من كتب عن . الموشحات يغرق في الاستطرادات أو يركز على زوايا الموسيقى والغناء والأوزان، حتى لا يكاد يجد القارئ فيها ما يروي الغلة عن الموشحات نفسها.

وحرصنا كذلك على أن يكون الكتاب ميسوراً للقارئ العام، ومن ثم نحينا جانباً القضايا الدقيقة التي لا تعني إلا المتخصصين، واكتفينا برسم الخطوط العامة للموضوع، تاركين التفصيلات لدراسات أكثر رحابة.

وننبه هنا إلى أننا لم نعرض في هذا الكتاب للوشاحين المشارقة (وسبق أن قدمنا عنهم وعن النصوص المشرقية دراسة-بالفرنسية-في زهاء ألف

صفحة) على أمل أن نقدم عنهم كتاباً مستقلاً في أمد قريب بإذن الله.

وأرجو-في الختام-أن يجد القارئ الكريم في هذه الصفحات ما يغريه بالمزيد من القراءة في الأدب العربي، وأن تدفعه للعودة إلى كنوز التراث الإسلامي في كافة مجالاته ومختلف عصوره، وهو تراث غني-والحمد لله- بكل ما يضيء الأذهان، ويمتع النفوس.

د. محمد زكريا عناني

مكة المكرمة ـ يناير 1979 م

القسم الأول
النشأة والتطور

١ نشأة الموشحات الأندلسية تطورها وأقسامها ولغتها

١ - مصادر دراسة الموشحات[*]:

ويمكن تقسيم هذه المصادر إلى مجموعتين: مغربية ومشرقية، أما المصادر المغربية (وتتضمن الأندلسية بطبيعة الحال) فإنها تمدنا أساساً بقدر وفير من النصوص، ولكنها لا تتضمن إلاّ معلومات ضئيلة عن البناء الفني للموشحات، ولنسجل في الوقت ذاته أن عدداً من المؤلفات الأدبية التاريخية الأندلسية تجاهل هذا الفن تماماً، أو اكتفى بتقديم إشارة عابرة عنه.

ويعجب الإنسان أشد العجب حين يتبين أن كتاب العقد الفريد على ضخامة حجمه، لا يشير البتة للموشحات، في الوقت الذي تزعم فيه بعض المصادر أن مؤلفه ابن عبد ربه كان من أوائل الذين وضعوا الموشحات.

وكتاب الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة [1] لا يذكر عن هذا الفن إلاّ عبارات متناثرة، وقد نص مؤلفه ابن بسام على أنه لن يتعرض لها في كتابه لأن «أوزانها خارجة عن غرض الديوان، إذ أكثرها على غير أعاريض شعر العرب» ولا يشير الفتح

ابن خاقان، صاحب قلائد العقيان في محاسن الأعيان ومطمح الأنفس للموشحات بالمرة، وأما عبد الواحد المراكشي صاحب المعجب في تلخيص أخبار المغرب فإنه يعتذر عن عدم ذكر الموشحات لأن «العادة لم تجر بإيرادها في الكتب المخلدة».

ومن الذين ذكروا الموشحات من مؤرخي الأندلس والمغرب ابن دحية صاحب المطرب من أشعار أهل المغرب ولكن هذا الفن لا يحتل إلاّ منزلة ثانوية في كتابه. [2]

وأما ابن سعيد المغربي، وعلى الرغم من أنه اهتم بالموشحات في المغرب في حلي المغرب، كما تعرض لها في كتاب آخر له (لم يطبع بعد) هو المقتطف من أزاهر الطرف [3] فإنه لم يتناول الجوانب الفنية، أو يسعى لإبراز صورة جلية عن الموشحات.

والمقري في كتابيه: نفح الطيب و أزهار الرياض يكتفي بتقديم طائفة من النصوص المختارة من موشحات أهل الأندلس والمغرب ومن نسج على منوالهم من الشعراء المشارقة.

وأما كتاب جيش التوشيح للسان الدين بن الخطيب فلا يضم سوى مختارات من الموشحات، واكتفى مؤلفه بأن وضع له مقدمة في صفحة واحدة.

وهناك أيضاً لابن بشرى الغرناطي كتاب عنوانه عدة الجليس ومؤانسة الوزير والرئيس [4] اشتمل على أكثر من ثلاثمائة موشحة، ولكنه لم يتضمن مقدمة ذات شأن عن هذا الفن.

ولا يفوتنا أن نشير إلى كتاب ابن سعد الخير البلنسي عنوانه «نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس»لكن هذا الأثر مفقود في الوقت الحاضر.

وينطبق هذا القول على عبد العزيز القشتالي مدد الجيش، وهو ذيل على كتاب جيش التوشيح لابن الخطيب [5]

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الصفحات القليلة التي يجدها القارئ عن الموشحات في مقدمة ابن خلدون نقلت بنصها من كتاب «المقتطف» لابن سعيد، ولم يضف ابن خلدون إليها إلا أشياء ثانوية.

هذا عن المصادر المغربية [6]، أما المصادر المشرقية فأهمها كتاب دار

الطراز-وسنعود إليه بعد قليل-، وهناك ملحوظات عن هذا الفن في العاطل الحالي والمرخص الغالي للصفي الحلي وفي المستطرف من كل فن مستظرف للأبشيهي و سفينة ابن مباركشاه والدر المكنون في السبع فنون لابن إياس، وفي «خلاصة الأثر» للمحبي.. الخ، وما نجده في كتب التراجم مثل معجم الأدباء لياقوت الحموي و الوافي بالوفيات للصفدي و فوات الوفيات لابن شاكر، و المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لابن تغري بردى... الخ، والملحوظ-مع ذلك-إن ابن خلكان-في كتابه الضخم وفيات الأعيان-لم يذكر حرفاً واحداً عن الموشحات، وقد أرخ لابن بقى فاكتفى بأن قال عنه: «صاحب الموشحات البديعة» ولم يشر للموشحات البتة وهو يتحدث عن غير ابن بقى من شعراء الأندلس، والأكثر من ذلك ترجم لابن عبد ربه-الذي جاء في بعض الكتب عنه أنه كان من أوائل الذين نظموا الموشحات-إلاّ أن ابن خلكان صمت تماماً عن تناول هذه القضية.

لكن هناك-على كل حال-كتاباً للصفدي عنوانه توشيع التوشيح يتضمن عدداً من موشحات المغاربة وأهل الأندلس، وموشحات شعراء مشارقة، وفيه قدر وفير من موشحات الصفدي نفسه. ولهذا الكتاب مقدمة ضافية، لكن جل ما جاء فيها مستمد من مقدمة كتاب دار الطراز [7] وهناك كتاب مفقود في الوقت الحاضر، لصدر الدين بن الوكيل عنوانه طراز الدار وهو عنوان قد ينم عن أن مؤلفه سار فيه على نهج ابن سناء في دار الطراز.

ومن الكتب التي لا تزال مخطوطة كتاب عقود اللآلئ في الموشحات والأزجال [8] لشمس الدين النواجي وكتاب سجع الورق المنتحبة في جمع الموشحات المنتخبة.

ونشير في ختام المطاف إلى مجموعة تحمل عنوان العذارى في الأزجال والموشحات [9] وطبعت في أوائل هذا القرن، وهذه المجموعة اختارها أديب لبناني (فيليب قعدان الخازن) من مخطوطة عثر عليها في بعض مكتبات إيطاليا.

هذه إلمامة بأهم مصادر دراسة الموشحات في المغرب والمشرق[10]، وأما دار الطراز-الذي نوهنا من قبل بأهميته-فكتاب صغير طبع منذ حين في نحو مائة وخمسين صفحة، ويضم أربعاً وثلاثين موشحة أندلسية ومغربية أردفها ابن سناء الملك بخمس وثلاثين موشحة من نظمه هو (وأضاف إليها

المحقق موشحتين أخريين عثر عليهما في مخطوطة فصوص الفصول وعقود العقول لابن سناء الملك)، أما أهم ما جاء في الكتاب فهو المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لمجموعته تلك، وتقع-في النسخة المطبوعة-في نحو عشرين صفحة، تحدث فيها عن الموشحات وأقسامها وأوزانها الخ.. وسنعود مرات عديدة لهذه المقدمة حين نتناول أقسام الموشحة وأوزانها.

2- نشأة الموشحات بين المشرق والمغرب:

علينا بادئ ذي بدء-أن نحدد موقفنا بإزاء تلك المشكلة التي طالما تناولتها-ولا تزال تتناولها-الأقلام. كلما عرضوا لبدء ظهور الموشحات، و يثور الجدل في الغالب حول النص الشهير:

أيُّها السَّاقي إليك المشتكى

قد دَعَوْناكَ وإنْ لم تَسْمَعِ

فهذه الموشحة نسبت في بعض الأحايين لعبد الله بن المعتز (توفى سنة 295هـ) وهو-كما نعرف جميعاً-شاعر عباسي مشرقي، لا علاقة له بالأندلس لا من قريب ولا من بعيد.

لكن هذا النص نفسه (الذي يجئ في بعض المراجع: أيها الشاكي) ينسب في العديد من المصادر للوشاح الأندلسي أبي بكر بن زهر، المعروف بالحفيد (توفى سنة 595 هـ) [1]، وقد ذكر كامل كيلاني في كتابة نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي:

«لو لم يخترع الأندلسيون الفن المسمى بالموشحات لاخترعه الشرقيون فقد كان حتماً أن يؤدي الغناء ومجالسه في الشرق إلى نفس هذه النتيجة التي انتهى إليها في الأندلس.»

وفي موشحة ابن المعتز الرائعة.. أكبر دليل على صحة ما نقول، فقد أنشأ ابن المعتز تلك الموشحة الفذة في القرن الثالث، أي في نفس القرن الذي اخترع فيه مقدم بن معافر موشحاته في الأندلس وأضاف:

«ولعل أغرب ما نذكره بهذه المناسبة إغفال مؤرخي الأدب جميعاً ذكر هذه الموشحة التي قالها ابن المعز، كأن هذا الحدث الجلل الذي ترك أوضح الأثر في البلاغة العربية أقل خطراً لفت اهتمام ابن المعتز بالمحسنات البديعية [2].

والحقيقة التي لم يتنبه لها كامل كيلاني ومن تابعه في رأيه هذا أن كل الاعتبارات تقود إلى رفض نسبة هذه الموشحة لابن المعتز، والى القول بأنها أندلسية التأليف، على النحو الذي تؤكده مصادر عديدة مثار: دار الطراز [3] و المغرب في حلي المغرب [4] و معجم الأدباء [5] والوافي بالوفيات[6] و عقود اللآل في الموشحات والأزجال [7] وأهم من هذا كله المطرب [8] لابن دحية تلميذ ابن زهر.

وهناك نص نسبه الدميري لأبي نواس أوله:

ما روضُ ريحانكُم الزاهر

وما شَذَى نشركم العاطر

وتتحدث بعض المراجع عنه على اعتبار أنه من الموشحات، وواقع الأمر أن هذه القطعة مخمّسة لا موشّحة، وهي-كما مر بنا في التمهيد-«مكذوبة النسبة»، وقد عرضنا كذلك للنص الذي نسب إلى ديك الجن الحمصي، وما يداخلنا بإزائه من الشكوك.

وعلى كلّ، فإن هذين النصين الأخيرين لا يثيران جدلاً يستحق الذكر، أما النص الذي نسب إلى ابن المعتز، فلا يزال يغري فريقاً من الدارسين، فيدفعهم إلى الجزم بأن الموشحات إنما ولدت بالمشرق وعلى يد ابن المعتز، ومن هؤلاء د. صفاء خلوصي الذي يذكر في كتابه:فن التقطيع الشعري والقافية:

«ونحن ممن يعتقدون بأنه (أي الموشح) فن نشأ في المشرق، ولكنه تطور في المغرب، وبلغ ذروته في القرنين السابع والثامن للهجرة (كذا) وباعتقادنا أنه ظهر أول ما ظهر في العراق، وأن أول موشحة في تاريخ الأدب العربي هي موشحة «أيها الساقي...» وفيها-كما يرى الفاحص المدقق-نفس أمير وإبداع رجل متفنن..» [9].

وفي هذا الرأي رفض-بلا دليل بيّن-لما ذكرته المصادر المعتمدة في تاريخ الموشحات، وليس صحيحاً أن هذا الفن بلغ ذروته في القرنين السابع والثامن وبحسبنا أن نذكر هنا ما قاله له لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة 711 هـ أي أنه عاش في النصف الثاني من القرن السابع وأوائل القرن الثامن):

«ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها... [10].

هذا رأي يقول إن بدء ظهور الموشحات كان بالعراق، يصدر عن باحث عراقي، وهناك رأي آخر لباحث يمني، يزعم فيه أن الموشحات ظهرت أول ما ظهرت باليمن، ففي كتاب أحمد حسين شرف الدين:

الطرائق المختارة من شعر الخفنجي والقارة:

«لا يوجد بين ظهرانينا أي مصدر يثبت لنا الزمن الذي نشأ فيه الموشح في المحن، إلاّ أننا نستطيع أن نحدد القرن الثالث الهجري تاريخاً له بدليل ظهوره بعد ذلك في القرن الرابع بالتحديد في الأندلس، على يد رجل ضرير يدعى محمد حمود أو محمود القيري، نسبة إلى قبرة.. والذي أراه أن القبري كان تصحيفاً من القيري. وآل القيري مشهورون بخولات الطبال، شرقي صنعاء».

ويمضي المؤلف مفترضاً بعد ذلك-استناداً إلى هذا الضرب من الاستنتاجات-أن الموشح «اليمني» تطور شيئاً فشيئاً على يد زرياب وغيره من الموسيقيين، ويفضل ابن القزاز وابن ماء السماء وغيرهما من شعراء الأندلس، ثم يضيف أن الموشح «انتقل في غضون القرن السابع الهجري إلى رحاب ابن سناء الملك المصري»

ومما لا ريب فيه أن مثل هذه «الاستنتاجات لا تصمد أمام أقوال الثقات من المؤرخين، ممن اتفقوا. على أن الموشحات «مما ترك الأول للآخر، وسبق بها المتأخر المتقدم، وأجلب بها أهل المغرب على أهل المشرق» [11] وهناك غير ما رأينا ما هو أمعن في الغرابة، يأتي في كتاب لمحمد عبد المنعم خفاجي بعنوان: البناء الفني للقصيدة العربية [12] وفيه أنه ورد في كتاب عن الموشحات، لعلاّم خليل (مخطوط بكلية اللغات) نقلاً عن كتاب بعنوان: القصيدة الدرويشية في تحرير السبع فنون الأدبية [13] ما يقال من أن أول التواشيح غنى به أولاد النجار عند هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، إذ استقبلوه والجواري ينشدون:

أشـــــرقـــــت أنــــوار مـــــحـــــمــــد
واخـــتـــفـــت مـــنـــه الـــبـــدور
يـــا مـــحـــمــدْ يـــا مـــحـــمــدْ
أنـــتَ نـــورٌ فـــوق نـــورْ

وليس في النص ولا في المرجع الذي يذكره ما يحمل على الاعتداد به،

لكن الأعجب من هذا أن د. مصطفى الشكعة في كتاب له عن: الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه يأخذ به ويحور فيه و يضيف إليه؟ فهو يقول، في معرض الحديث عن الخرجات في الموشحات:

«ولا زالت ترن في أسماعنا في مطلع كل عام هجري الأنشودة الطريفة التي استقبل بها أهل المدينة محمداً صلى الله عليه وسلم:

طـــلـــَـــعَ الـــبـــدرُ عـــلـــيـــنـــا
مـــن ثـــنـــيّـــات الـــوَدَاعْ
وجـــبَ الـــشُـــكْـــرُ عـــلـــيـــنـــا
مـــا دعـــا لـــلـــه داعْ
أيُّـــهـــا المـــبـــعـــوثُ فـــيـــنـــا
جـــئـــت بـــالأمـــر المُـــطـــاعْ

وفيها يمعن أهل يثرب في إبداء ابتهاجهم بالرسول اسماً وصفة في قولهم:

أشـــرقـــت أنـــوار أحـــمـــد
واخـــتـــفـــت مـــنـــهـــا الـــبُـــدورْ
يـــا مـــحـــمّـــد يـــا مُـــحـــمّـــد
أنـــتَ نـــورٌ فـــوق نـــور

وجدت إذن في بواكير الشعر العربي أنماط من الأوزان تتساوق فيها القوافي في كل مصراع لكي تساعد المنشد أو المغني-محترفاً كان أو هاوياً- على أن يجد إيقاعاً يعتمد عليه... [14].

و د. الشكعة لم يذكر أن هذا النص (وهو في حقيقة الأمر نصان لا علاقة للثاني منهما بالأول) من الموشحات، وإن كان ذكره في ثنايا الحديث عنها، والصلة بينه وبين ما جاء في كتاب خفاجي الذي ذكرناه لا تخفى.

3- ظهور الموشحات الأندلسية:

اشتقت كلمة الموشح، على أرجح الظن، من المعنى العام للتزيين، سواء كان ذلك وشاحاً أم قلادة مرصعة، أم غير ذلك [1].

واستعملت الكلمة في أحايين كثيرة للتعبير عن بعض المعاني البلاغية [2]... لكن الذي يعنينا هنا منها دلالتها على قالب من قوالب الشعر العربي،

عرف على مدى الأيام باسم الموشحات أو التوشيح أو الموشح، وعرف الناظم فيه باسم الوشاح، وان لم يؤثر عن واحد ممن برعوا في الموشحات أنه اقتصر على النظم فيها وحدها، بل المعروف أن شعراء الأندلس كانوا يقرضون الشعر وينظمون الموشحات، وإذا كانت شهرة عدد منهم قد تمثلت في هذا الفن، فليس معنى هذا أنهم اقتصروا عليه.

وفي كتاب: الذخيرة أن «أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو العجمي-ويسميه المركز-، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان» [3].

وفي مقدمة ابن خلدون:

«وأما أهل الأندلس فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخر ون منهم فناً سموه بالموشح.. وكان المخترع (له) مقدم بن معافر الفريري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني، وأخذ ذلك عنه أبو عبد الله احمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد» [4].

ويتناول ابن شاكر الكتبي مؤلف فوات الوفيات الموضوع بدوره فيقول: «وقيل إن ابن عبد ربه صاحب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، ثم نشأ عبادة بن عبد الله، وهو ابن ماء السماء فأحدث التصغير (لعلها: التضمين، الذي جاء ذكره في «الذخيرة» وإن يظل المعنى غامضاً)، وذلك أنه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز [5].

والآراء حول النشأة الأندلسية للموشحات أكثر من أن تحصى، ولكن ليس معنى هذا أن الموشحات. ظاهرة مستقلة لا علاقة لها بالشعر العربي، فمؤلفو الموشحات هم أولاً وأخيراً شعراء عرب، وهذه حقيقة لم ينكرها حتى المستشرقون المنادون بأن في الموشحات عناصر إسبانية محلية.

وقد تطرق كثيرون لهذه القضية في الماضي وفي الحاضر، وهناك نص هام حولها أورده الصلاح الصفدي، نقلاً عن أبي الحسن علي بن سعد الخير:

«ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الديلمي، وأبي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استنبطوا من تلك الأعاريض أقساماً مؤلفة على فقر مختلفة وقواف مؤتلفة. قلت (أي الصفدي): يعني بذلك أشعار العرب في أبحر العَروض-قال (أي أبي سعد الخير: وسموها ملاعب وهي قصيدة قائمة على قواف رباعية أو غير رباعية واستنبط منها أيضاً أهل الأندلس ضرباً قسموه على أوزان مؤتلفة وألحان مختلفة، وسموها موشحات وجعلوا ترصيع الكلام، وتنميق الأقسام، توشيحاً وكانوا أول من سن هذا الطريق ونهجه، وأوضح رسمه ومنهجه» (6).

أما المستشرق الإسباني «ايميليو جارثيا جومث» فإنه يرى أن الموشحات تضمنت عناصر عربية أصيلة، وفي بنائها الفني تشابه كبير مع بناء المسمطات والمخمسات ولكنه يعتقد أن في الموشحات عناصر محلية إسبانية، تتمثل في الجزء الأخير من الموشحة أي في «الخرجات» وسنوضح ذلك بعد قليل [7].

4- تركيب الموشحة:

ونحن نتحدث عن الموشحات سنمر بعدد من المصطلحات، ومن الأفضل أن نتبين معالم هذه المصطلحات من خلال التطبيق على واحد من النصوص الشهيرة، وليكن هذا النص موشحة للأعمى التطيلي [1]:

ضـــــاحـــــكٌ عـــــن جُـــــمـــــانْ
ســـــافـــــرٌ عـــــن بَـــــدْر
ضـــــاق عـــــنـــــهُ الـــــزّمـــــانْ
وحـــــــــــواهُ صَـــــــــــدْري

آه ممَّـــــــــا أجـــــــــد
شـــــفّـــــنـــــي مـــــا أجـــــدُ
قـــــام بـــــي وقَـــــعَـــــدْ
بـــــاطـــــشٌ مُـــــتَّـــــئـــــدُ
كـــــلّـــــمـــــا قـــــلـــــتُ قـــــدْ
قـــــال لـــــي أيـــــن قـــــدْ

وانـــــثـــــنــــى خُــــوطُ بـــــانْ
ذا مـــــهَـــــزّ نَـــــضـــــر
عـــــابـــــثَـــــتْــــهُ يَـــــدانْ
لـــلــــصَّــــبـــا والـــقـــطـــر

لـــيْـــسَ لـــي مـــنـــك بُـــدْ
خــــذ فـــــؤادي عـــــن يـــــدْ
لـــم تَـــدعْ لــــي جَـــلَـــدْ
غـــيـــرَ أنّـــي أجـــهَـــدْ
مَـــكْـــرعٌ مـــن شُـــهُـــدْ
واشـــتـــيـــاقـــي يَـــشـــهَـــدْ

مـــا لـــبـــنـــت الـــدّنـــانْ
ولـــذاك الـــثـــغـــر
أيـــن مَـــحْـــيـــا الـــزمـــانْ
مـــنْ حُـــمَـــيَّـــا الخـــمـــر
بـــي هـــوىً مُـــضْـــمَـــرُ
لـــيـــتَ جَـــهْـــدي وفْـــقُـــهْ
كُـــلَّـــمـــا يَـــظـــهـــرُ
فـــفـــؤادي أفـــقـــهْ
ذلـــك المـــنـــظـــرُ
لا يُـــداوي عـــشـــقُـــهْ
بـــأبـــي كـــيْـــف كـــان
فـــلـــكـــيّ دُرّى
راقَ حـــتّـــى اســـتـــبـــانْ
عُـــذْرهُ وعـــذْري
هـــلْ إلـــيـــكَ ســـبـــيـــلْ
أوْ إلـــى أنْ أيـــأســـا

ذُبْــــــتُ إلاّ قـــــلــــــيــــــلْ
عَــــبـــــرةً أو نَـــــفَــــســـــا
مــــا عَــــــسَــــــى أن أقـــــولْ
ســــاء ظَــــنّــــي بــــعَــــســـــى

وانـــــقـــــضـــــى كُـــــــلُّ شـــــأنْ
وأنـــــا أســــــتــــــشــــــري
خــــالــــعــــاً مــــن عــــنــــانْ
جــــــزَعـــــي وصَـــــبْـــــري

مــــا عَــــلَــــى مَــــنْ يــــلُــــوم
لَــــوْ تــــنَــــاهــــى عــــنّــــي
هـــــل ســـــوى حـــــب ريم
ديــــنُـــه الــــتــــجــــنّــــي
أنــــا فــــيــــه أهــــيــــمْ
وَهْـــــو بــــي يــــغــــنّــــي

قـــــد رأيـــــتـــــكْ عـــــيـــــانْ
لـــــيْـــــسَ عـــــلـــــيـــــك ســـــاتـــــدري
ســـــا يـــــطـــــولُ الـــــزَّمـــــانْ
وســـــتـــــنـــــســـــى ذكْـــــري

وإذا طبقنا المصطلحات التي استعملها ابن سناء الملك في مقدمة دار الطراز [2] قلنا إن هذه الموشحة مما يطلق عليه اسم «الموشح التام» ونص قوله: «الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص، وهو يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات، و يقال له التام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات و يقال له الأقرع، فالتام ما ابتدئ بالأقفال والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.»

ووفقاً لهذا الحكم يكون مطلع الموشحة:

ضـــــاحـــــكٌ عـــــن جُـــــمـــــانْ
ســـــافـــــرٌ عـــــن بـــــدر

ضـــــاقَ عــــنـــــهُ الـــــزَّمــــانْ
وحـــــــــــواهُ صــــــــــــــدري

وهذا المطلع هو القفل الأول من أقفال الموشحة.

القفل:

وقد عرف ابن سناء الملك الأقفال بأنها «أجزاء مؤلفة، يلزم أن يكون كل قفل منها متفقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها».. والقفل، كما تقدم، يتردد في الموشح ست مرات في التام، وخمس مرات في الأقرع وأضاف:

«وأقل ما يتركب القفل من جزأين فصاعداً، إلى ثمانية أجزاء، وقد يكون في النادر ما قفله تسعة أجزاء وعشرة أجزاء [3] «والجزء من القفل لا يكون إلاّ مفرداً» والقفل في موشحة الأعمى التطيلي السابقة يتركب من أربعة أجزاء، بنيت على قافيتين «أ، ب أ، ب»، وذكر من أمثلة الأقفال المركبة من جزأين:

شـــمــــسٌ قـــــارنــــتْ بــــدراً
راحٌ ونــــــــــــــــــديمْ (4)

ومن أمثلة ما ركب من ثلاثة أجزاء:

حـــــلّــــت يــــدُ الأمــــطـــــارْ
أزرّة الـــــنــــوارْ فـــــيـــاخـــدْنــــي

ومن أمثلة ما ركب من خمسة أبيات:

يــــا مــــن أجــــود ويـــــبــــخـــــلْ
عـــــلـــى شُـــحّـــي وافــــتـــقـــاري
أهـــــواكْ وعــــنــــدي زيــــادهْ
مـــنـــهـــا شـــوقـــي وادّكَـــاري

إلى آخر ما يمكن أن يكون عليه القفل من أجزاء.

البيت:

ومعنى البيت في الموشحة غير معناه في القصيدة التي يأتي فيها البيت مكوناً من شطرين:

والبيت الأول، في موشحة الأعمى التطيلي:

آه ممّــــــــــــــــــــا أجـــــدْ
شـــــفّـــــنـــــي مـــــا أجـــــدُ
قـــــام بـــــي وَقَـــــعـــــدْ
بـــاطـــش مـــتـــــّـــئـــدُ
كُـــلـــمـــا قـــلـــتُ قـــدْ
قـــال لـــي أيـــن قـــدُ

وعرف ابن سناء الملك الأبيات بقوله أنها «أجزاء مؤلفة مفردة أو مركبة، يلزم في كل بيت منها أن يكون متفقاً مع بقية أبيات الموشح في وزنها وعدد أجزائها، لا في قوافيها بل يحسن أن تكون قوافي كل بيت منها مخالفة لقوافي البيت الآخر.

والبيت السابق يتركب من ثلاثة أجزاء مركبة، أي أن كل جزء يضم فقرتين.

ومن الأبيات ما قد تأتي مفردة كما في المثال التالي:

أرى لك مُهَنّدٌ
أحاط به الإثمدٌ
فجرّد ما جرّدٌ

وهناك أمثلة عديدة للأبيات ذات الأجزاء المفردة أو المركبة، ونضيف إلى ما ذكرناه المثال التالي، الذي يتضمن خمسة أجزاء، كل جزء منها تركب من فقرتين:

هـــنّ الـــظـــبـــاءُ الـــشّـــمـــسْ
قـــنـــيـــصُـــهُـــنّ الـــضّـــيـــغـــمْ
مـــا إنْ لـــهـــا مـــن كُـــنـــسْ
إلاّ الـــقُـــلُـــوبُ الـــهُـــيّـــمْ
الـــقـــرْبُ مـــنـــهـــا عُـــرْسْ
والْـــبُـــعْـــدُ عـــنـــهـــا مـــأتم
تـــلْـــك الـــشـــفـــاهُ الـــلّـــعـــسْ
يَـــحْـــيـــا بـــهـــنّ المُـــغْـــرَمْ
لـــهـــا لحَـــاظ نُـــعْـــسْ
تـــرنـــو إلـــى مَـــنْ يَـــسْـــقَـــمْ

وقد لا يبدأ الموشح في بعض الأحايين بالقفل بل بالبيت مباشرة، وفي هذه الحالة يطلق على الموشح اسم الأقرع.

الخرجة:

وهي القفل الأخير في الموشحة، وسنعود إليها لنتناولها في شيء من التفصيل بعد قليل.

هذه أهم المصطلحات التي نجدها في مقدمة «دار الطراز» وهي التي ينبغي الاعتماد عليها أساساً حين يتحدث الإنسان عن الموشحات ومصطلحاتها [6].

إلاّ أن هناك بعض مصطلحات ترددت في بعض المصادر الأخرى الهامة، مثلما رأينا فيما قدمنا من مقتطفات عن الموشحات، نقلاّ عن ابن بسام في «الذخيرة»وابن خلدون في «المقدمة»، ومن هذه المصطلحات «المركز» و«الأغصان» و «التضمين» في عبارة ابن بسام و «الأسماط» و «الأغصان» التي «يكثر الوشاحون منها ومن أعاريضها».

والنقاش قد يمتد بنا طويلاً إذا ما سعينا إلى تقليب الدلالات والاحتمالات، ونكتفي هنا بأن نرجح أن المقصود بالمركز هو القفل، أما الأسماط، فليس ببعيد أن يكون المراد منها أجزاء الأقفال وأما الأغصان فيرجح-في ظل هذا التفسير-أن تؤدي معنى أجزاء الأبيات، وتبقى كلمة «التضمين» غامضة لا نعرف ما الذي أرادوه بها، وقد رأينا في «فوات الوفيات» كلمة أخرى هي «التضفير» وليس ببعيد أن تكون هذه اللفظة الأخيرة هي بعينها «التضمين» بعد أن أصابها شيء من التحوير.

ويرى القارئ في بعض المصادر الأخرى مثل «المستطرف في كل فن مستظرف» للأبشيهي مصطلحاً آخر هو «الدور» و يأتي في مقابل «البيت»وقد انتشر استعمال لفظة «الأدوار» في العصور المتأخرة، في كثير من الأغاني والأزجال، بمعنى أن «الدور» أصبح وحدة فنية قائمة بذاتها. [7]

والدارسون المحدثون يختلفون فيما بينهم فيما يتصل بتلك التسميات فالدكتور مصطفى عوض الكريم، مؤلف كتاب هام عنوانه «فن التوشيح» يطلق [8] على القفل الأول اسم «المطلع» أو «المذهب» و يستخدم كلمة «الدور» للدلالة على ما أسماه ابن سناء الملك بـ «البيت».

أما البيت فقال إنه «الدور مع القفل الذي يليه» وأطلق لفظة الغصن على «القسم الواحد من المطلع أو القفلة أو الخرجة» و «الغصن» عنده مساو لـ «الجزء» عند ابن سناء الملك، كذلك استعمل كلمة «الأسماط»، جمع سمط، حين تحدث عن أجزاء البيت (بحسب اصطلاح ابن سناء الملك أو الدور بحسب اصطلاحه هو)، وعلق على هذا الاستعمال قائلاً:

وجدير بنا أن نذكر أن هذا التعريف للغصن والصمت هو الذي ارتضيناه بعد طول النظر في أجزاء الموشحات، فإننا لم نجد أحداً ممن سبقنا له تعريف واضح محدد لها، وقد يستعمل أحدهما أو كلاهما في معنى الدور أو القفل. ولم يرد اللفظان في كتاب دار الطراز، و يستعمل ابن سناء الملك بدلاً منهما معاً لفظة «جزء»، وقد وردت لفظة الأغصان في كلمة لابن بسام يصف فيها اختراع المرشحات وتطورها، ومعناها غير واضح ولا محدد ويخيل لي أنه يقصد بها الأدوار والقفلات، ما عدا الخرجة، التي يشير إليها إشارة واضحة بلفظة

المركز: [9]

أما د. جودت الركابي في كتابه في الأدب الأندلسي فيلتزم بمعظم المصطلحات التي جاءت في «دار الطراز»، ولكنه يضيف أن وشاحي الأندلس حاولوا أن يفتنوا في الأقفال والأبيات وعدد أجزائها، والتزام قوافيها، ليصلوا من ذلك، إلى أنواع جديدة تحمل أسماء جديدة، فمن ذلك أن يسموا القفل لازمة إذا كان القفل بيتين صدراهما قافية واحدة، وعجزاهما كذلك، ثم يأتي بعد ذلك البيت ثلاثة أجزاء، وكل جزء فقرتان، متفقة صدورهما في القافية، فيا يأتي القفل، وبعده بيت، وهكذا إلى النهاية...، وأضاف بعد ذلك:

«وكل قفل مع البيت الذي يليه يسمى السمط، ونرى أن الموشحة تتألف من عدة أسماط متشابهة في أقفالها، مختلفة في أبياتها، وهذا ما يكون نوعاً من الترصيع يقربه من وشاح المرأة الذي شبهت به الموشحات» [10].

اختلف الناس فيما بينهم إذن، وحاول الدارسون على مدى العصور أن يجلوا ما يحيط بالمصطلحات القديمة من غموض، ولكنهم، قدماء ومحدثين، اتفقوا في التسمية الخاصة بآخر أجزاء الموشح، وهي الخرجة.

الخرجة:

ويعود بنا الحديث عن الخرجات إلى دار الطراز ومما فيه عن هذا القسم الهام من أقسام الموشحة:

«الخرجة عبارة عن القفل الأخير من الموشح. والشرط فيها أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة ولغات الخاصة، فإن كانت معربة الألفاظ، منسوجة على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقفال، خرج الموشح من أن يكون موشحاً، اللهم إن كان موشح مدح وذكر اسم الممدوح في الخرجة، فإنه يحسن أن تكون الخرجة معربة كقول ابن بقى:

إنما يحيى: سليل الكرام: واحد الدنيا: ومعنى الأنام [11]

وقد تكون الخرجة معربة وإن لم يكن فيها اسم الممدوح، ولكن بشرط أن تكون ألفاظها غزلة حادة، هزازة سحارة خلابة، بينها وبين الصبابة قرابة، وهذا معجز معوز..

والمشروع بل المفروض في الخرجة أن يجعل الخروج إليها وثباً واستطراداً وقولاً مستعاراً على بعض الألسنة، إما ألسنة الناطق أو الصامت.. وأكثر ما تجعل على ألسنة الصبيان والنسوان، والسكرى والسكران، ولا بد في البيت الذي قبل الخرجة من: قال أو قلت أو قالت أو غنى أو غنيت أو غنت.

ونحن مضطرون إلى متابعة بقية حديث ابن سناء الملك عن الخرجات لأنه بمثابة حجر الزاوية في هذا الموضوع:

« .. وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ، بشرط أن يكون لفظها أيضاً في العجمي سفسافاً نفطياً، [12]، ورمادياً زطياً. والخرجة هي إبراز الموشح وملحه وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة وينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، وقولي السابقة لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها. ويعملها من ينظم الموشح في الأول وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية... فكيف ما جاء اللفظ والوزن خفيفاً على القلب أنيقاً عند السمع، مطبوعاً عند النفس حلواً عند الذوق تناوله وتنوله.. وبنى عليه الموشح، لأنه وجد الأساس وأمسك الذنب، ونصب عليه الرأس».

ويضيف ابن سناء الملك بعد ذلك أن من المتأخرين من يجد مشقة في تأليف خرجة تجتمع لها كل هذه الصفات، ومن ثم يبني موشحته على

خرجة غيره، وهو يرى أن هذا الصنيع من متأخري الوشاحين أفضل من الوقوع في الثقل أو التكلف الذي قد يتعرضون له، لو أنهم سعوا إلى تأليف خرجات من عندهم.

ولعل هذا النص في حاجة إلى شيء من الإيضاح، فما المراد بقوله إن الخرجة ينبغي أن تكون «حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن»؟ إن اللفظة الأولى تشير إلى شاعر بغدادي هو ابن الحجاج (توفى سنة 391 هـ) وفي شعره مجون وأحماض يربو على صنيع أي شاعر عربي آخر (والسخف الذي يشير إليه ابن سناء الملك يعني الميل للهزل ولا يدل على الثقل، كما قد يتوهم فريق من القراء) وفي لفظة «قزمانية» إشارة إلى ابن قزمان (توفى سنة 555 هـ) الزجال الأندلسي المشهور فكأن الشرط في الخرجة-وفقاً لما قرر ابن سناء الملك-أن تكون معبرة عن المجون، وأن تكتب باللهجة العامية، بل أن تأتي أقرب ما تكون إلى لغة الأفاقين واللصوص «الداصة» والرعاع.

ولكن ابن سناء الملك يلاحظ في الوقت نفسه أن هناك خرجات جاءت بالفصحى [13]. وذلك حين تكون الموشحة موشحة مديح وذكر اسم الممدوح في الخرجة وقد لا تكون كذلك، ولكن روعي فيها أن تكون نظمت في ألفاظ غاية في الرقة، مشحونة بالموسيقى والمعاني الآسرة والصور الموحية.

ويلاحظ كذلك أن «البيت» الذي قبل الخرجة يتضمن كلمة «وقال» أو «قلت» أو «غنت»... الخ، أي يتضمن لفظة تدل على أن الخرجة هي الجملة التي ترددت على لسان إنسان ما «العاشق أو العاشقة» أو على لسان الطير أو الشجر الخ...

والخرجة-في موشحة الأعمى التطيلي التي ذكرناها-جاءت على لسان المحبوب، ونصها، مع البيت الذي جاء قبلها:

مــــا عَـــلـــى مَـــنْ يـــلـــومْ
لـــو تَـــنَـــاهَـــى عـــنّـــي
هــــل ســـوى حُـــبّ ريمْ
ديـــنُـــه الـــتَّـــجَـــنّـــي
أنـــا فـــيـــه أهـــيـــمْ
وهْـــو بـــي يُـــغَـــنّـــي

قد رأيتك عيانْ: ليسْ عليكْ ساتدرى: سيطول الزّمانْ: وستَتنسى ذكْرى

وهي خرجة عامية، ولكنها لا تمثل، مع ذلك، ما قرره ابن سناء الملك من شروط المجون، وأداء المعنى في لهجة الرعاع.

ومن الموشحات التي جاءت في «دار الطراز» وفيها قدر وفير من الأحماض الموشحة التي أولها:

مَــــــــنْ أودَع الأجــــــــــفـــــــانْ

صـــــــوارمَ الـــــــهــــــــنْــــــــد

وفي آخرها أن المحبوبة الفاتنة «باتت وهي تشدو:<

حـــبـــيـــبـــي اعـــزمْ وقُـــم واهـــجـــمْ

وقـــبـــلْ فَـــم واجـــي وانـــضَـــم

إلـــى صـــدري وقـــم بـــخـــلـــخـــالـــي

إلـــى أقـــراطِـــى قـــد اشـــتـــغـــلْ زُوجـــي

وتضم مجموعة «جيش التوشيح» للسان الدين بن الخطيب موشحات كثيرة لها خرجات عامية فيها قدر من الفحش والتعبير عن الرغبات الحسية.

وذكر ابن سناء الملك عدداً من الموشحات التي جاءت الخرجات فيها بالفصحى، ولم تكن موشحات مديح ولكن لغة الخرجة بلغت الذروة في السهولة والشاعرية، فن ذلك موشحة ابن بقى التي أولها:

مـــالـــي شَـــمُـــول إلا شُـــجُـــونْ

مـــزاجُـــهـــا فـــي الـــكـــأس دمـــعٌ هـــتـــونْ

والخرجة هي:

لـــيـــلٌ طـــويـــلْ ولا مُـــعَـــين

يـــا قـــلـــبَ بـــعـــض الـــنـــاسْ أمـــا تَـــلـــينْ؟

ومن الموشحات الأخرى التي من هذا الطراز الموشحة التي أولها:

يـــا شـــقـــيـــقَ الـــرّوح مـــن جَـــسَـــدي

أهـــوىً بـــي مـــنـــكَ أم لـــلـــمُ

وهي تنتهي بالبيت والخرجة الآتيتين:

هـــل بـــشـــوقـــي رَدْعُ كُـــلّ صـــبـــا

تجْـــتـــلـــيـــهـــا آيـــة عَـــجَـــبـــا

حـــين أشـــدُوهـــا بـــكـــم طَـــربـــا

يا نسيمَ الروح من بَلَدي
خبّر الأحبابَ كيفَ هُمُ؟

ومن هذا الطراز نفسه موشحة ابن زهر (التي نسبت خطأ لابن المعتز):

أيها الساقي إليك المشتكي
قد دعوناكَ وإنْ لم تسمع

والخرجة فيها، مع البيت الذي يأتي قبلها:

كَبدٌ حرّى ودمعٌ يكفُ
يعرفُ الذنبَ ولا يعترفُ
أيها المعرضُ عمّا أصفُ
قد نما حُبّكَ عندي وزكا
لا تَقُلْ في الحبّ إنّي مُدّعي

وقد يلجأ الوشاح إلى الاتكاء في الخرجة على بيت لشاعر غيره، كما فعل ابن بن في موشحته:

لستَ منْ أسرِ هواكَ مُخَلاّ
إنْ يكُنْ ذا ما طلبتُ سَراحا

والبيت الأخير فيها مع الخرجة:

لستُ أشكو غيرَ هجر مواصلْ
قد منعتُ القلبَ عن عَذْل عاذل
وتغنيتُ لهم قولَ قائلْ:
علّموني كيف أسلو وإلاّ
فاحجبوا عن مقلتّي الملاحا

فهذه الخرجة لا تعدو أن تكون بيتا من قصيدة لابن المعتز أولها:

عَرَفَ الدارَ فحيّا وناحا
بعدما كانَ صحَا واستراحَا
ظلّ يلحاه العذولُ ويأبى
في عنان العَذْل إلا جماحَا

علّموني كيف اسلُو... الخ [14]

الخرجة «الأعجمية:<

الخرجة «الأعجمية» أو «العجمية» جانب من أكثر جوانب الموشحات

تعقيداً وإثارة للجدل منذ زمن بعيد.

ومن جوانب الصعوبة أن المصادر القديمة لم تذكر بصددها إلا عبارات غامضة وجملاً مقتضبة.

فابن بسام اكتفى بأن قال إن الوشاح القديم كان «يأخذ اللفظ العامي أو العجمي و يسميه المركز، ويضع عليه الموشحة»

وابن سناء الملك نفسه، في كتاب آخر له عنوانه فصوص الفصول وعقود العقول [15]، ولا يزال مخطوطاً، يقول في معرض حديثه عن مرشحة له: «وكنت لما أولعت بعمل الموشحات قد نكبت عما يعمله المصريون من استعاراتهم لخرجات موشحاتهم خرجات موشحات المغاربة، فكنت إذا عملت موشحاً لا أستعير خرجة غيري، بل ابتكرها واخترعها، ولا أرضى باستعارتها، وقد كنت نحوت فيها نحو المغاربة، وقصدت ما قصدوه، واخترعت أوزاناً ما وقعوا عليها، ولم يبق شيء عملوه إلا عملته، إلا الخرجات الأعجمية فإنها كانت بربرية [16]، فلما اتفق لي أن تعلمت اللغة الفارسية عملت هذا الموشح [17] وغيره، وجعلت خرجته فارسية بدلاً من الخرجة البربرية».

وقد احتدم النقاش على أثر اكتشاف عدد من الموشحات العبرية الأندلسية [18]، ثم العثور على كتاب ابن بشرى الغرناطي «عدة الجليس» وبه نحو ثلاثمائة موشحة، وعلى مجموعة «جيش التوشيح» للسان الدين ابن الخطيب، وفي هذين الكتابين نصوص عديدة من الموشحات لها خرجات بهذه اللغة التي دعيت حيناً بـ «العجمية» وحيناً آخر بـ «البربرية».

ومن هذه الموشحات واحدة ألفها محمد بن عبادة القزاز والبيت الأخير فيها:

يـــا وَيْـــحَ مَـــنْ يـــتّـــصـــلْ
بـــحـــبـــل مَـــن لا يـــســـعـــفُ
لمـــا رأتـــه بـــطـــلْ
وهـــي غـــرامـــا تـــكـــلَـــفُ
غـــنّـــت ومـــا لـــلأمـــلْ
إلا إلـــيـــه المّـــصْـــرّفُ

ثم تجيء بعد ذلك الخرجة:

ميو سيدي إبراهيم يانوا من دلج

فأنت ميب، دي نخت
أن نون شنون كارش، بيريم تيب
غرمي اوب، لقرت
ومعنى الخرجة:

يا سيدي إبراهيم، يا صاحب الاسم العذب، أقبل إليّ، في المساء فإن لم ترد، جئت إليك، ولكن أين أجدك؟ [19].

وتميل جمهرة المستشرقين إلى الاعتقاد بأن هذه الخرجات ترتكز على أغان أسبانية قديمة كتبت بلغة «الرومانت»، التي عرفنا أنها في جوهرها لهجة انبثقت من اللغة اللاتينية، وأنها كانت شائعة على أرض الأندلس لفترة طويلة من الزمن.

وهم يستمدون فكرتهم أو نظريتهم هذه مما وجدوه من ارتباط شديد بين الموشح والموسيقى، وقالوا إن هذه الخرجات أغان شعبية إسبانية. اهتز لها فريق من الشعراء العرب، وأرادوا النسج على منوالها وإبداع شعر قابل للتغني بنفس أوزانها وألحانها، وأدت هذه المحاكاة إلى إحداث تركيب معقد في بناء هدا النوع من الشعر، ليتوافق وما في هذه الأغاني من إيقاع..

ويقول جونثالث بالنثيا في هذا الصدد:

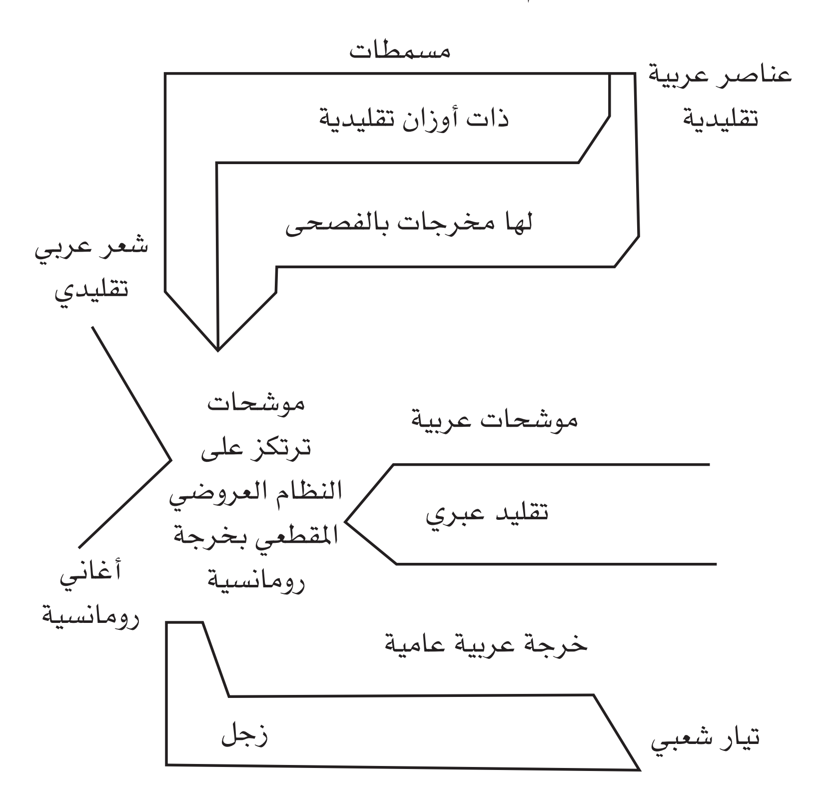
«ولم نوفق إلى الآن في التعرف على المصدر الذي استوحاه مقدم عندما ابتكر فن التوشيح، فيذهب البعض إلى أن أصل الموشح أندلسي محلي ويذهب البعض الآخر إلى أنه جليقي، ويذهب البعض إلى أنه أصله البعيد روماني» [20] ويقول جومث:

«إن وجود نفس الخرجة في موشحة عربية وأخرى عبرية في قصيدتين مختلفتين لشاعرين مختلفين، يؤيد أن هذه الخرجات عبارة عن أغان قصيرة باللهجة الرومانثية كانت معروفة من قبل، وأنه على هذه الأغاني بنيت الموشحات» [21] ويلخص تطور الموشحات وفقاً للشكل الآتي:

وهناك فريق آخر من الدارسين العرب لا يؤمن بأن هذه الخرجات الرومانثية أغان شعبية قديمة أو نحو ذلك، بل يظن أنها من تأليف الوشاحين الأندلسيين أنفسهم.

والموضوع-في واقع الأمر-أعمق من أن يتناول من زاوية ضيقة، أو تقدم

فيه آراء لا تتكئ على العلم والموضوعية.



وما يضير الأدب العربي في شئ أن تكون الموشحات قد تأثرت في الخرجات ببعض الأغاني المحلية الإسبانية، كما لا يضيره أن يكون الدوبيت-أو غيره-يتضمن عناصر أجنبية، فالبحث في ميادين الثقافة الإنسانية يقود إلى التسليم بأن هذه الثقافة ليست إلا ثمرة التزاوج بين حضارات شتى، على مدى الدهور.

وإذا كانت هناك نظرية تشير إلى وجود بعض خرجات رومانثية مستعارة من الغناء الإسباني القديم، فإننا نجد-في مقابلها-نظرية أقوى تأثيراً وأجل أهمية، تنادي بأن الموشحات والأزجال أثرت تأثيراً جوهرياً في نشأة الشعر الأوروبي كله، وتقول بأن أغاني ((الترو بادور)) ليست إلا «الصورة الأوروبية»

لهذين الفنين العربيين اللذين ظهرا على أرض الأندلس. ولهذه النظرية مؤيدون عديدون منهم-على سبيل المثال ريبيرا، ومنندث بيدال، وجونثالث بلنثيا، وجومث، وليفي بروفنسال، وشارل بلا، وهنري بيريس، وجب، ونيكل، وجرومباوم... الخ.

5- أوزان الموشحات:

قسم ابن سناء الملك في كتابه «دار الطراز» الموشحات إلى قسمين:

الأول: ما بنى على أشعار العرب.

الثاني: مالا علاقة له بهذه الأوزان.

وأوضح أن «ما بنى على أشعار العرب من الموشحات ينقسم بدوره إلى قسمين:

الأول: وليس فيه من حيث الوزن أي اختلاف عن الشعر العادي. وقد هاجم ابن سناء الملك هذا النوع من الموشحات هجوماً شديداً، وقال إنه «بالمخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء»، ولكنه استثنى من الذم ما كانت قوافي القفل فيه مختلفة مثل موشحة:

يـــا شـــقـــيـــقَ الـــرُّوح مـــن جـــســـدي

أهـــوىً بـــي مـــنـــكَ أم لَـــمَـــمُ

فالجزء الأول من هذا القفل على قافية الدال، أما الثاني فعلى قافية الميم، والجزءان معاً من بحر المديد، بدون أي تغيير.

وهناك أمثلة كثيرة من هذا النوع، فمن ذلك موشحة:

أيـــهـــا الـــســـاقـــي إلـــيـــك المـــشـــتـــكَـــى

قـــد دعـــونـــاكَ وإن لـــمْ تـــســـمِـــع

وقد جاءت على بحر الرمل [1]

ومثل موشحة ابن بقى:

لـــســـتُ مـــن أســـرِ هـــواك مُـــخَـــلاّ

إنْ يـــكـــن ذا مـــا طـــلـــبـــتُ الـــســـمـــاحـــا

وهي بدورها على بحر المديد، وخرجتها بيت لابن المعتز.

هذا عن القسم الأول من أقسام الموشحات التي تتكئ على أوزان الخليل بن أحمد، أما القسم الثاني من هذا النوع فهو «ما تخللت أقفاله وأبياته

كلمة آو حركة ملتزمة، كسرة كانت أم ضمة أو فتحة، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً وقرضا محضاً. وضرب ابن سناء الملك مثلاً لذلك قول أبن بقى:

صبرتُ والصبرُ شيمةُ العاني
ولم أقلْ للمطيل هجراني مُعَذّبي كفانِي

فلولا الزيادة التي تتمثل في كلمتي «معذبي كفاني» لكنا أمام نص من بحر المنسرح.

وقد يحدث التغيير عن طريق إدخال قافية أخرى مثل:

يا ويحَ صبّ إلى البرقِ
له نَظَرْ
وفي البكاءِ مع الوُرقِ
له وَطَرْ

فهذه الفقرة يمكن أن تعطينا بيتاً عادياً كما في الشعر التقليدي لو أنها جعلت:

يا ويح صبً إلى البرقِ له نَظَرّ
وفي البكاءِ مع الوُرقِ له وَطَرْ

وبذا تصبح من بحر البسيط.

وننتقل الآن للموشحات التي لم تجئ على أوزان أشعار العرب، وأمرها-ولا شك-أكثر تعقيداً، فضلاً عن أننا لا نجد عنها شيئاً ذا بال، باستثناء ما في «دار الطراز»، ويمكن أن يذكر في هذا الصدد كذلك قول أبن بسام إن «أوزان هذه الموشحات خارجة عن غرض هذا الديوان، (يقصد كتابه الذخيرة) إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب» (2).

وابن سناء الملك يذكر أن هذا النوع يمثل الكثرة الغالبة، ويحدثنا أنه حاول أن يستخلص عروضاً لهذا النمط من الموشحات، ولكن محاولته لم يقدر لها النجاح، لأنه وجد أنها كثيرة العدد من ناحية، ورأى-من ناحية أخرى أنه لا يمكن ضبطها إلا بالتلحين: «وأكثرها مبنى على تأليف الأرغن، والغناء بها على غير الأرغن مستعار، وعلى سواه مجاز».

ويشير كذلك إلى لونين من الإيقاع، الأول واضح المعالم تدركه الأذن، كما تدرك الأوزان التي تبنى عليها القصائد، والثاني خافت النغم، لا يكاد

يبين له وزن مستقيم، ويورد مثالاً لذلك:

أنـــــت اقـــــتــــــراحـــــي

لا قـــرّب الـــلـــــهُ الـــلّـــواحـــي

مـن شـاء أن يـقـولَ فـإنّـي لـسـتُ أسـمـع

خـضـعـت فـي هـواكَ ومـا كـنـتُ لا أخـضـع

حـبـي عـلـى رضـاك شـفـيـع لـي مُـشّـفـع

نـــــشــــــوأن صــــــاحـــــي

بـــين ارتـــيــــــاع وارتـــيــــــاح

وعلق على هذا النص قائلاً:

«فها أنت ترى نبو الذوق عن وزن هذا الكلام وما له عند الطبع الضعيف نظام، ولا يعقله إلا العالمون من أهل هذا الفن... وما كان من هذا النمط فما يعلم صالحه من فاسدة، وسالمة من مكسورة، إلا بميزان التلحين».

ومما يتصل بمسألة الصعوبة في الأوزان حديث صاحب «دار الطراز» عن تلك الموشحات التي لا تراعي فيها وحدة الوزن، بل تجيء الأبيات فيها على وزن مخالف للوزن الذي يبتدى في الأقفال. والتغيير في الإيقاع، كما يقرر ابن سناء الملك يتطلب حذقاً بالغاً، لا يقوى على عمله إلا من تمرس على صناعة الموشحات وكان على علم بمتطلبات اللحن والغناء.

وتجدر الإشارة هنا إلى محاولة قديمة قام بها المستشرق ارتمان (في كتابه Das Muwassah) لضبط أوزان الموشحات قادته إلى استخراج 146 شكل يتوافق والعروض العربي، كما ذكر ثلاثة أنواع لا تتوافق وهذا العروض.

وقد حاول أحد الباحثين المعاصرين-وهو الدكتور سامي النشار-أن يحلل أوزان موشحات وأزجال أبي الحسن الششتري، وانتهى إلى نتائج هامة، منها أن موشحات الششتري التي كتبت في المغرب تنشد على نحو مغاير لما ألفه في المشرق وإلا اضطرب الوزن والموسيقى المصاحبة للإنشاد [3].

ويمكن في ضوء ما مر بنا-القول بأن الموشحات تنقسم من حيث الوزن إلى ما يلي:

- موشحات تأتي فيها الأقفال في صورة البيت الشعري، وتأتي أبيات الموشحة على نسق الأشطار، وبمعنى آخر إن الموشحة التي من هذا النوع لا تتضمن خروجاً على الأوزان التقليدية المعروفة.

- وهناك موشحات تأتي فيها الأوزان أقرب ما تكون للإيقاعات التي وضعها الخليل، لكن الوشاح يقسم القفل (والبيت) إلى عدة أقسام، وبمعنى آخر أن صورة الوزن العروضي الخليلي يطرأ عليها تغيير جزئي.

- وقسم ثالث لا يخضع بمجموعه لوزن ثابت لأن المعول فيه يكون على أسلوب الأداء (intonation) وابن سناء الملك يقول إن هذا القسم منها هو الكثير، والجم الغفير».

6- الموشحات ونظام التقفية:

نظر كثير من الدارسين إلى الموشحات فلم يروا فيها-في نهاية الأمر-إلا لوناً من الشعر يعتمد أساساً على التنويم في القوافي، شأنه في ذلك شأن المخمسات والمسمطات وما شاكلها مما عرف في المشرق، وانظر على سبيل المثال ما يقوله د. شوقي ضيف في كتابه «الفن ومذاهبه في الشعر العربي» من أنه: «لا يبقى للأندلسيين في موشحاتهم سوى التجديد في القافية، وهو ضرب من الحرية في صناعة المقطوعة، أوجدته ظروف إنشاد المغنين مع الجوقات للشعر، ونحن لا يمكن أن نعتد بهذا الجانب كمذهب جديد في الشعر، إلا إذا كنا ممن يؤمنون بالشكليات، ويتخذونها أصولاً للمذاهب الفنية» [1].

ويقول د. إبراهيم أنيس في كتابه «موسيقى الشعر:< «وليست الموشحات قبل تلحينها إلا نوعاً من الشعر المسمط، ففيها تتكرر قوافي الأقفال حتى نهاية الموشح» [2].

وفي ظننا أن هذه الأحكام أطلقت بتأثير من أنماط موشحات مثل موشحة ابن زهر:

أيـهـا الـسّـاقـي إلـيـك المـشـتـكـى

قـد دعـونـاكَ وأنْ لـم تـسـمـعِ

وموشحة لسان الدين بن الخطيب:

جـادك الـغـيـثُ إذا الـغـيـثُ هـمـى

يـا زمـان الـوصـلِ بـالأنـدلـسِ

فهذا النوع من الموشحات يشبه من بعض الوجوه أشكال الخمسات والمسمطات التي عرفنا عنها لمحة في التمهيد.

وموشحة ابن زهر مما يطلق عليه ابن سناء الملك تسمية «الموشح الشعري» الذي يأتي الوزن فيه مطابقاً لأوزان الشعر التقليدي «ولا يتخلل أقفاله وأبياته كلمة تخرج به تلك الفقرة عن الوزن الشعري، وما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذول المخذول، وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات، ولا يفعله إلا الضعفاء من الشعراء... اللهم إلا إن كانت قوافي قفله مختلفة، فانه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمسات..»

وابن سناء الملك يسوق في ذلك مطلع موشحة «أيها الساقي» والمطلع التالي:

يـــا شـــقـــيـــق الــــروح مـــن جــــســـدي

أهـــــوى بـــــي مـــــنــــــك أم لَــــمَــــمُ

وكأن الموشح الشعري يشبه المخمسات في قوافيه، وإن كان يختلف عنها في أن قافية الجزء الأول تأتي مغايرة لقافية الجزء الثاني.

والأشكال الأخرى-أي ما كان غير (الموشح الشعري) تأتي أكثر تعقيدا من حيث القافية، تبعاً لتعدد أجزاء كل من القفل والبيت فيها.

وقد لاحظ ابن سناء الملك أن الموشح «يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات» وهناك عدد من النصوص خرج على هذه القاعدة، ومن أشهر النماذج التي تذكر في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب.

جـــادك الـــغـــيـــث إذا الـــغـــيـــثُ هـــمـــى

يـــا زمـــان الـــوصـــلِ بـــالأنـــدلـــسِ

وتضم أحد عشر قفلاً (من ضمنها القفل الأول «المطلع» والقفل الأخير الذي يسمى بـ «الخرجة»).

7- لغة الموشحات:

رأينا في الصفحات السابقة، وفي ما أوردناه من نصوص كيف أن لغة الموشح تعد في مجموعها لغة صحيحة تتفق وقواعد اللغة العربية، ولاشك في أن القارئ قد لاحظ ما تتسم به الموشحات من رقة وعذوبة وصفاء، حتى ليمكن قراءة مجموعة كاملة منها دون أن يصادف فيها لفظة تستعصي عليه، أو تركيباً فيه لون من ألوان التعقيد.

وغني عن القول أن صنيع الوشاحين الأندلسيين يأتي امتداداً لما سار عليه الشعراء المحدثون، من أمثال أبي نواس وأبي العتاهية وابن المعتز وإذا كان من الشعراء العباسيين من حرص في مدائحه على الديباجة القديمة والجزالة العربية، فان الموشحات بحكم قالبها الجديد وموضوعاتها، وغنائيتها كانت في غنى عن الديباجة الفاخرة، والأساليب التي تتسم بطابع البداوة. ونستطيع أن نقول إن الموشحات الأندلسية جاءت بصورة عامة- بعيدة عن الإمعان في المحسنات البديعية والألاعيب اللفظية.

ونحن لا نتعرض هنا بطبيعة الحال للخرجات وما فيها من استعمال للعامية أو للغة الرومانث، فقد سبق أن مررنا على هذه القضية، ولكن ما نريد أن نوضحه الآن هو أن دارسي الأدب متفقون على عدم جواز استعمال العامية في ثنايا الموشحة.

وقد أشار ابن سناء الملك إلى «الموشح المعروف بالعروس، وهو موشح ملحون واللحن لا يجوز استعماله في شئ من ألفاظ الموشح، إلا في الخرجة خاصة، فان جاء اللحن في الموشحة اعتبرت «مزنمة».

وهناك وجهات نظر متضاربة حول لغة الموشحات، فباحث مثل د. جودت الركابي يحمل على الموشحات حملة شعواء في كتابه «في الأدب الأندلسي» ولا يرى في موشحة ذائعة الصيت مثل موشحة ابن سهل:

هــل درى ظــبــيُ الحــمَــى أنْ قــد حــمــى

قــلــب صَــبّ حــلّــة عــن مــكــنــس

إلا المعاني التافهة، والمبالغة في الزينة، مع قدر من العذوبة في نغماتها وقوافيها، وينتهي إلى القطع بأن «لغة الموشحات يغلب عليها الضعف والركاكة، وهي في لينها وحريتها وائتلافها مع روح العامية قادت اللغة الشعرية إلى الركاكة وأساءت من هذه الناحية إلى اللغة العربية. [1].

وفي مواجهة هذا الرأي نجد د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» يعيب على عبادة بن ماء السماء وغيره أنهم في موشحاتهم مالوا لأن يثبتوا «براعتهم واقتدارهم وثروتهم اللغوية، ثم استوحوا الشعر القديم، واقتبسوا منه، وأخذوا أنفسهم بسننه ومعانيه و بأوزانه أحياناً...» [2].

وليس في الموشحات-فيما نظن-لا ضعف ولا ركاكة في اللغة بل إننا لنذهب إن القول بأن لغة الموشحات-في شفافيتها وتدفقها وأسرها-ساعدت

على تدعيم مكانة الفصحى، لأنها أشاعت هذه اللغة الجميلة بين الناس، ومن ثم حالت دون سيطرة العامية، وجعلت للزجل مكانة ثانوية في الأدب، على الرغم من أن بيئة الأندلس كانت تغري بإضعاف مكانة الفصحى، لأنها تتركب-إلى جانب الجنس العربي-من عناصر بشرية أيبيرية وبربرية ويهودية... إلخ.

والذين يطلقون أحكاماً قاسية على لغة الموشحات، إنما ينظرون إلى أعمال المتأخرين، وفي أيامهم كان الضعف اللغوي قاسماً مشتركاً، فلم نحمل على الموشحات وحدها، ونضع على كاهلها أخطاء عصر بأسره؟

القسم الثاني
الأغــــــــــراض

2 أغراض الموشحات الأندلسية

إن أقدم الموشحات المعروفة لنا تعود إلى القرن الخامس الهجري وإذن فهناك فترة طويلة ضاعت معالمها، ومن ثم فان الآراء التي يمكن أن تقال عن أغراض الموشحات في فترة النشأة لا تعدو أن تكون ترجيحية، ومع ذلك فان هناك شبه اتفاق على أن الموشحات ارتبطت منذ أطوارها الأولى بالموسيقى والغناء، ومن الطبيعي-والأمر كذلك-أن تكون الموضوعات الذائعة ذات صلة بالوصف والحنين والغزل والخمريات، و يبدأ الشعراء في طور لاحق في معالجة الفنون الأخرى التقليدية من مديح وهجاء ورثاء وشعر ديني، إلخ...

ولا نجد في «دار الطراز» عن أغراض الموشحات شيئاً ذا بال، فقد اكتفى ابن سناء الملك هنا بجملة قال فيها:

«والموشحات يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجر والمجون والزهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفر، والرسم في المكفر خاصة أن لا يعمل إلا على وزن موشح معروف وقوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدل على أنه مكفره، ومستقيل ربه عن شاعره ومستغفره».

١ - الغزل:

ليس هناك شك في أن الغزل يحتل محل الصدارة في الموشحات الأندلسية وإذا صدقت رواية ابن شاكر الكتبي صاحب «فوات الوفيات»، فان الموشحة التي مطلعها:

مــــــــــــــنْ ولــــــــــــــى
فــــي أمــــة أمــــراً ولــــم يَــــعْــــدِلِ
يُــــــــــــــــعْــــــــــــــزَلِ
إلا لحــــاظُ الــــرشــــا الأكــــحــــلِ

تكون من أقدم النصوص التي وصلت إلينا، إذ أنه نسبها لعبادة بن ماء السماء، (المتوفى نحو سنة 419 هـ) [1] وموشحة «من ولى» كلها في الغزل، وكذلك موشحة أخرى نسبت له كذلك في «الفوات» أولها:

حــــبّ المــــهــــا عِــــبــــادة
مــــن كــــلّ بــــسّــــامِ الــــسّــــواري

ومن أجمل الموشحات الغزلية:

ضــــاحــــكٌ عــــن جُــــمــــان
ســــافــــرٌ عــــن بَــــدْرِ

للأعمى التطيلى، وقد ذكرناها بتمامها. وموشحة لأبي بكر بن زهر، يقول فيها:

حَــــيّ الــــوجــــوهَ المــــلاحــــا
وحــــيّ نُــــجْــــلَ الــــعــــيــــون
هــــل فــــي الــــهــــوى مــــن جُــــنــــاحِ
أو فــــي نــــديم وراحِ
رام الــــنّــــصــــيــــحُ صــــلاحــــي

وكــــيــــف أرجــــو صــــلاحــــاً
بــــين الــــهــــوى والمجــــون
أبــــكــــي الــــعــــيــــونَ الــــبــــواكِــــي
تــــذكــــارَ أخــــتِ الــــسّــــمــــاكِ
حــــتــــى حَــــمــــامُ الأراكِ

بــــكـــى شــــجـــونـــي ونـــاحـــا
عـــلــــى فـــروع الــــغُـــصـــونِ [2]

ومن هذا الطراز «الموشح الشعري» الذي أورده ابن سناء الملك في «دار الطراز:

يـــا شـــــقـــــيـــــق الــــروّح
أهـــــوىً بـــــي مـــــنـــــك أم لَـــــمَـــــمُ
ضـــعـــت بـــين الــعَــذْلِ والــعَــذَلِ
وأنـــا وحـــدي عـــلـــى خَـــبَـــلِ
مـــا أرى قـــلـــبـــي بمـــخـــتـــبـــلِ

مـــا يـــريـــد الـــبـــينُ مـــن خَـــلَـــدي
وهـــــو لا خَـــصْـــمٌ ولا حَـــكَـــمُ

وموشحة الأعمى التطيلي:

دمـــعٌ ســـفـــوحٌ وضـــلـــوعٌ حِـــرارْ
مـــــــــــاءٌ ونـــــــــــارْ
مـــا اجـــتـــمـــعـــا إلا لأمـــر كـــبـــارْ [3]

ويمكن أن نجمل ملحوظاتنا عن الموشحات الغزلية فيما يلي:

- تحتل الموشحات الغزلية المكانة الأولى من حيث الكثرة العددية.
- هناك في الوقت نفسه، موشحات عديدة يختلط فيها الغزل بموضوعات أخرى وصفية أو خمرية أو مدحية.
- الجانب الأعظم من هذه الموشحات الغزلية لا يعكس لنا صدقاً عاطفياً، ولا نحس فيه بلوعة المشاعر وعمق الأحاسيس، ولكن الوشاحين استطاعوا، في أحايين كثيرة، التغلب على هذا الضعف عن طريق اصطناع الألفاظ الرقيقة، والصور الشعرية الآسرة، والموسيقى المدفقة الموحية.
- وتتناول الموشحات الغزلية موضوع الحب من زوايا مختلفة، وهناك تيار عذري قوي في هذه الموشحات، كما في موشحة «ميتات الدمن»، وهي من الموشحات التي ترد في «دارا لطراز» وفيها:

يـــــــا رســــــــم الـــــــــذي
أتـــــاح حَـــــيْـــــيـــــنـــــي
ظـــــــمـــــــئْـــــــت فَـــــذِي
دمـــــــوعُ عـــــيـــــنِـــــي
تَـــــهْـــــمـــــي فـــــاغـــــتـــــدِ
مـــــنـــــهـــــا بـــــعـــــيـــــن
بـــل يـــا مَـــنْ ظَـــعَـــنْ
عـــلـــيـــك ذنـــبـــي
فـــــقـــــد آن لـــــي
أ ن ْ
أقـــضـــي نـــحـــبـــي
فـــويـــلـــتـــاهْ
و آ ه ً
يـــــــا رَبْـــــــعَ الـــــــهـــــــوى
هـــــل أنـــــــت مُـــــــودي
فـــــــذا كـــــــالجَـــــــوى
إلـــــــى مـــــــزيـــــــد
أتـــــــتـــــــك الـــــــنّـــــــوى
إثـــــــر الـــــــصـــــــدودَ
فـــيـــا ممـــتـــحَـــن
بـــكـــلّ خـــطْـــبِ
كـــم تـــأســـى وتَـــحْـــزَن
وتـــشـــقـــى بـــحُـــبّ
ســـــالٍ هـــــواهْ
لا ه ْ
عُـــــــــذّالـــــــــي لا
أرومُ سَـــــــــلْـــــــــوة
أنـــــــا المـــــبـــــتـــــلَـــــي
بـــــــــريم ذرْوَةْ

ذكـــــــــــــراهُ عَـــــــــــلَـــــــــــى
حـــــــشـــــــاىَ حُـــــــــلـــــــــوةٌ.. الــــــخ (4)

وتتردد إلى جانب عبارات الشوق واللوعة-إشارات عن الواشي والعاذل والرقيب....

ويكثر في الموشحات-في الوقت ذاته-التغني بجمال المحبوبة أو المحبوب «وصيغة التذكير لا تعني بالضرورة أن الشاعر يتغزل بالمذكر» مثلما نرى في موشحة ابن سهل «هل درى ظبي الحمى...:

غـــالـــبٌ لـــي غـــالـــبٌ بـــالـــتـــؤده
بـــأبـــي أفـــديـــه مـــن جـــاف رقـــيـــقْ
مـــا رأيـــنـــا مـــثـــل ثـــغـــرٍ نـــضّـــدَهْ
أقـــحُـــوانـــاً عُـــصِـــرَتْ مـــنـــه رحـــيـــقْ
أخـــذت عـــيـــنـــاهُ مـــنـــه الـــعَـــرْبـــدة
وفـــؤاد سُـــكْـــرهُ مـــا إن يـــفـــيـــقْ
فـــاحـــم الجُـــمّـــة مـــعـــسُـــولُ الّـــلـــمـــى
أكـــحـــلُ الـــلّـــحـــظ شَـــهـــيّ الـــلّـــعَـــس
وجـــهُـــه يـــتـــلـــو الـــضـــحـــى مـــبـــتـــسِـــمـــا
وهـــو فـــي إعـــراضـــه فـــي عّـــبَـــسِ (5)

وقاد هذا الوصف لجمال المحبوبة إلى الغزل الصريح المكشوف في بعض الاحايين، كما أن الخرجات، وخاصة ما كان منها باللهجة العامية-احتوت على جانب كبير من الأحماض.

وهناك موشحات تضمنت غزلا في المذكر، كما في خرجة موشحة «من ولى» التي تنسب في العادة لعبادة بن ماء السماء (أو ابن عباد القزاز):

يـــــــــــا عَـــــــــــلـــــــــــى
ســـلّـــطـــتَ جـــفـــنـــيـــكَ عـــلَـــى مـــقـــتـــلـــي
فـــــــــــابـــــــــــق لِـــــــــــي
قـــلـــبـــي وجُـــدْ بـــالـــفـــضِـــل يـــا مـــوئـــلـــي

وكما في موشحة للأعمى التطيلي، أولها «حث الكؤوس روية» وفيها:

عـــــبـــــدَ المـــــلـــــيـــــكِ أحـــــبّـــــك
ولا ســـــبـــــيـــــلَ إلـــــيـــــكَ

مــــولاي حــــســــبــــي وحــــســــبــــكْ
قــــد ذبــــتُ وجــــداً عــــلــــيــــلــــكَ
حــــتــــىّ مــــا تُــــضْــــنِــــى مــــحــــبّــــكْ
وبــــــرُؤه فــــــي يــــــديــــــكَ (6)

وموشحة أخرى له مطلعها:
قــــد دعــــوتُــــك بــــالأشْــــجــــانْ
فَــــكُــــنْ مُــــجــــيــــبْ
والبيت الثاني منها جاء فيه:
ســــهــــامُ الــــبــــين يــــا عُــــمَــــرُ
أقــــعــــدْنَ عــــبــــدَك
فــــقــــلْ لــــي كــــيــــف اصــــطــــبــــرُ
والــــقــــلــــبُ عــــنــــدَكْ
أمــــا لــــو ســــاق الــــقــــدرُ
مــــا ســــاق بــــعــــدَكْ (7)

2- الخمريات:

وهي كثيرة الشيوع في الموشحات، وبخاصة ما دار منها حول موضوعات الحب والوصف، وبعبارة أخرى إن الخمر لا تشغل في العادة الموشحة كلها، بل تأتي كعنصر مساعد، باستثناء نماذج قليلة بنيت أساسا على وصف الخمر ومجلسها، مثل موشحة أبي بقى:
أدرْ لــــــنــــــا أكــــــوابْ
يُــــنْــــسَــــى بــــهــــا الــــوجــــدُ
واســــتــــحــــضِــــر الجُــــلاّسْ
كــــمــــا اقــــتــــضــــى الــــوُدّ (1)

وهذا النص استهل بوصف الخمر وختم بها، وان تخلله مقطع في المديح. ولابن زهر موشحة استهلها بالحديث عن الخمر، ثم ما لبث أن عرج فيها على الوصف والغزل وأول النص:

شَـــمــــــسٌ قـــارنـــــتْ بـــدرا
راحٌ ونــــــــــــــــــــــديمْ
أدر كـــؤوس الخـــمـــر
عــنــبـريــةَ الــنّــشْــرِ
إنّ الــروضَ ذو بـــشـــرِ
وقـــــد درّعِ الـــنــــهــــرا
هـــبـــوُب الـــنّـــسِـــيـــمُ

ومن هذا النمط أيضا موشحة جاءت في «دار الطراز» [2] أولها:
بـــاكـــرْ إلـــى الخـــمـــرِ
واســتـنــشــق الــزّهــرا
فـــالـــعـــمـــرُفـــي خُـــسْـــر
مـــا لـــم يـــكـــن سُـــكْـــرا
فــقـــلّ مـــا أســلـــو
عـــن مـــرشـــفِ الأكـــواسْ
وســامــرِ الــطّــرفِ
مـــســـاعـــد الجُـــلاّسْ
فسقيـني.. بـنـت الـزّراجـينِ
فـــهـــاتِـــهـــا صـــرْفـــا
يـــا ذا الـــرشَـــا الأحـــورْ
راحٌ حــكــت وَصْـــفـــاً
مـــن خـــدّك الأقـــمـــرْ
رشـا هــو الــنّــبــل والــعـدلُ بــين الــنــاسْ
والمـسْـكُ فـي الـعُـرف مـن نـفـحـة الأنـفـاسْ

وقد يمزج الوشاح بين موضوعات الخمر والغزل، لينتهي بعد ذلك للمديح، كما في النص التالي: [3]
رُحْ لـــلـــراح وبـــاكِــرْ
بـــالمُـعْـــلَـــم المَـــشُـــوف

غـــبــوقـــاً وصـــبـــوحْ
عــلــى الــوتــرِ الــفــصــيــحْ
لـــيـــس اســـمُ الخـــمـــرِ عـــنـــدي
مـــــأخـــــوذا فـــــاعـــــلَـــــمْ
إلا مـــــن خـــــــاء الخـــــدّ
ومـــــيـــــم المـــــبْـــــســـــمْ
وراء ريــــــق الــــــشّــــــهــــــدِ
الــــعــــاطــــر الــــفَــــمْ
فــكــن لــلــهــم هــاجــر
وصـــل هـــذي الحـــروف
كـــي تـــغـــدو وتـــروح
بـــجـــســـم لـــه روح
بــالــلــه سَــقّــنــيــهــا
فـــي وُدّ الـــواثـــقْ
فـــإن مـــنـــه فـــيـــهـــا
شـــبـــهَ الخـــلائـــقْ.. الـــخ

3- الوصف:

ويشكل الوصف، بصورة عامة، عنصراً أساسياً من عناصر الموشحة الأندلسية، والوصف يأتي في العادة ممتزجاً بالغزل والحديث عن الخمر، ولكن هناك في الوقت نفسه عدداً من الموشحات بنيت على الوصف، مثل موشحة أبي عبد الله البطليموس المعروف بالكميت [1].

لاح لـــلـــروض عـــلـــى غـــرّ الـــبِـــطـــاحْ
زَهَـــــــــــــــرٌ زاهِـــــــــــــــرُ
وثـــنـــا جـــيـــداً فـــنـــعِـــمَ آلأَقَـــاحْ
نَـــــوْرُه الـــــنـــــاضِـــــرُ
زارنـــي مـــنـــه عـــلـــى وجـــه الـــصّـــبـــاحْ
أرجٌ عـــــــــــاطـــــــــــرُ

نثر الطلّ عليها حين فاحْ

أيُّما عقد

حبّذ البشر لي عند افتتاح

وجنة الورد

يُضْحِكُ الروضُ مسايلَ السحابْ

ملْءُ أجفانِهْ

ومشت فيه لآلئ الحَبابْ

فوق غُدرانِهْ

فتراه كيف يكشفُ النّقابْ

عند تهتانهْ

ينتهي طولُ تناوح الرياحْ

وسط الرعدِ

وترى البرقَ كصارمٍ مُشَاحْ

سُلّ من غمْدِ

رقصتْ وسط رياضِها الغُصونْ

رقصَ نشوان

وأرتَنا من لطائف المجُونْ

كلّ إحسانِ

فنسينا عندَ وشيَه المَصوُنْ

وشيَ صنعانِ

فاغتنِمْ ما قد صفا من الزمان

واخلعِ العُذرا

واشربِ الرّاحَ على سمع القيانْ

مزّة صفرا

واغتبِقْها من سلافة دنَانْ

عُتّقَتْ دَهْراً

كـــأسُـــهـــا مـــبـــســـمُ طـــفـــلـــةٍ رَدَاحْ
نـــــاعِـــــمَ الـــــقـــــدِّ
تمـــزجُ الـــراحَ بـــريـــقـــهـــا الـــقُـــراحْ
شِـــيـــبَ بـــالـــشَّـــهـــدِ.. الـــخ

ومن أجمل الموشحات في وصف الطبيعة موشحة أبي جعفر بن سعيد وأولها:

ذهَّـــبـــت شـــمـــسُ الأصـــيـــلْ
فـــضـــةَ الـــنَّـــهـــرِ
أيَّ نـــهـــرٍ كـــالمـــدامـــةْ
صـــيَّـــر الـــظـــلّ فـــدامـــةْ
نـــســـجـــتُـــه الـــريـــحُ لامَـــهْ
وثـــنـــتْ لـــلـــغُـــصْـــن لامَـــةْ
فـــهـــو كـــالـــعـــضـــبِ الـــصـــقـــيـــل
حُـــفّ بـــالـــشّـــفـــرِ[2]... الـــخ

ولابن بقى من موشحة وردت في «جيش التوشيح» ويحتل الوصف فيها مكان الصدارة:

ســـاعـــدونـــا مـــصـــبـــحـــيـــنـــا
نـــرْتـــشِـــفْـــهـــا قـــد ظـــمِـــيـــنـــا [3]
كـــنـــضـــارٍ فـــي لُـــجـــينٍ
نِـــعْـــم أجـــرا الـــعـــامـــلـــيـــنـــا

وهو يمزج فيها الوصف بالحديث عن الخمر والتغزل في الساقي، كما يتضح من هذا المقطع:

يـــومُـــنـــا يـــومٌ أنـــيـــق
يـــومُ شُـــرْب والـــتِـــذاد
طـــرزتْ فـــيـــه الـــبـــروقْ
لابِـــســـاً أثـــوابَ لاذِ

وســـقـــى الـــنـــعـــيـــمُ الـــرقـــيـــقُ
مـــــــــــــاء وردٍ بـــــــــــــــرذاذِ

أظـــهـــر الـــسّـــحـــرَ المـــبـــيـــنـــا
حـــينَ رشّ الـــيـــاســـمـــيـــنـــا
وبـــــكـــــى مـــــن دون عـــــينٍ
فـــضـــحِـــكـــنـــا فـــاكِـــهـــيـــنـــا
أيـــهـــا الـــسّـــاقـــي المُـــحـــيّـــا
بـــريـــاحـــين الـــتـــمـــنّـــي
ســـحـــر عـــيـــنـــيـــك الحُـــمـــيّـــا
فـــاصـــرف الـــصـــهـــبـــاءَ عـــنّـــي
لا تـــســـلّـــطـــهـــا عـــلـــيّـــا
فـــالـــهـــوى قـــد نـــالَ مـــنّـــي

وهي من الموشحات التي صفت عباراتها، وبلغت الذروة في حيوية الأداء، ودقة الصور. وخرجة هذه الموشحة بالعامية، وقد مهد لها في البيت الذي سبقها قائلا إنه سيقول، لمجرد إدخال الكمد على الحسود:

قـــد بُـــلـــيـــنـــا وابـــتـــلـــيـــنـــا
واش يـــقـــول الـــنـــاسْ فـــيـــنـــا
قـــم بـــنـــا يـــا نـــور عـــيـــنـــي
نجـــعـــل الـــشّـــك يـــقـــيـــنـــا!

وهناك موشحات كثيرة بدئ فيها بالوصف كتمهيد لمقطع المديح، منها- على سبيل المثال-الموشحة التي تستهل بـ:

جيشُ الظلام بالصّبح مهزومْ
فـــقـــم يـــا نـــديمْ (4)

وهي موشحة للأعمى التطيلي وموشحة:

روضـةٌ وسـيـمـةُ الأقـحـوان
تُـجـتَـنـى بـالأمـانـي (5)

لأبي بكر محمد بن الأبيض، وكذلك موشحة «روضة زبرجدية» [6] وموشحة «شق النسيم كمامة» لأبي بكر يحيى الصيرفي [7] وموشحة «كم بالكتيب من غصن نضر [8] لابن لبون، والموشحة التي مطلعها:

حُثّ كأسَ الطلا على الزّهْر [9]

وأدرها الأنجم الزُهْر

لأبي بكر بن مالك السرقسطي..، وهذه الموشحات جميعاً مما ورد في مجموعة «جيش التوشيح» للسان الدين بن الخطيب.

4- المديح:

عرفنا فيما مر بنا من ملاحظات أن الموشحة تحتوي في العادة، على أكثر من فن، وان كانت معظم الموشحات جاءت في أغراض الغزل والوصف والخمريات، وهو ما يتناسب وما سارت عليه الموشحات من طابع غنائي.

وقلنا-في اللمحة السالفة عن فن الوصف-إن هذا الغرض الوصفي جاء في أحايين كثيرة بمثابة التمهيد لغرض آخر، مثله في ذلك مثل المقاطع الغزلية.

وكثير من الدارسين الثقات يميل إلى الاعتقاد بأن الموشحات في ظهورها الأول لم تكن تعالج الموضوعات التقليدية من مديح ورثاء وهجاء، ويقول د. مصطفى عوض الكريم في هذا الصدد:

«كانت الموشحات في أول الأمر وقفاً على الغناء، فكانت تعالج موضوعات الغزل والخمريات ووصف الطبيعة.

وما لبثت أن صارت مطية ذلولاً للأمداح، حينما استغلها الوشاحون للوصول إلى عطايا الملوك والأمراء وهباتهم...»(10). و يقول د. عبد العزير الأهواني إن الوشاح الأول:

«كان قريب العهد بالأصل المشترك-الأغنية الشعبية-فكان فنه قريب الشبه بها، ولعله في أول الأمر لم يكن حريصاً على أن ينقي إنتاجه من اللغة العامية في جميع مقطوعاته.. كما كانت البساطة طابعاً مميزاً لهذا الطور.

ثم انتقل الأمر على يد عبادة بن ماء السماء وغيره من المثقفين، أصحاب الشعر، وناظمي القصائد، ومداحي الأمراء، ومرتادي القصور، إلى مرحلة

جديدة، التزموا فيها اللغة الفصحى التزاماً صارماً، ولم يسمحوا للعامية أن تتجاوز حدود الخرجة، عربية أو أعجمية، وشغفوا بالتعقيد، والإكثار من القوافي..» (11) الخ، وهذا الرأي يقود بدوره إلى الاعتقاد بأن الموشحات القديمة كانت بعيدة عن طابع المديح وغيره من الموضوعات التقليدية.

ونستطيع هنا الاطمئنان إلى صحة الرأي القائل بأن «أكثر الموشحات التي قيلت في المديح إن لم تكن جميعها قد مزجت بين الطبيعة والغزل (والخمر) قبل أن تدلف إلى صميم المديح»(12) ولكن هناك موشحة واحدة على الأقل جاءت كلها في موضوع المديح، وهي للوزير أبي عامر بن ينق، وذكرها لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشيح» وأولها:

سراجُ عَدْلِكَ يُزْهِرْ
قد عمّ كلّ العباد
ونورُ وجهِكَ يَبْهَر
سناهُ للخلق باد (13)

ويستمر المديح بعد هذا المطلع (أو القفل الأول) في بقية أجزاء الموشحة:

أنتَ العزيزُ الأبيّ
والمَلْكُ مَلْكُ الأنامْ
أنت السراجُ الوضيّ
والبدرُ بدرُ التّمامْ
ليثٌ إذا ما الكميُّ
قد هابَ روعَ الحِمامْ

والخرجة في هذه الموشحة باللغة الفصحى، ونصها:

يا حبّذا منه منظرْ
بالنور باد وهادي
كأنّه الصبحُ أسفرْ
على جميعِ البلادِ

وليحيى بن الصيرفي الغرناطي المؤرخ المتوفي سنة 557 هـ (1179م)-

وتنسب كذلك لابن باجة المتوفي 533 هـ (1139م)-موشحة مدحية شهيرة مطلعها:

جَــــرِّرِ الــــذيــــلَ أيمّــــا جــــرّ
وصــل الــســكَــر مــنــك بــالــسُّــكــرِ

ويشغل المقطع الخمري هنا حيزاً كبيراً من الموشحة، ثم يفضي بنا هذا المقطع إلى المديح الذي يستغرق بقية النص كله:

ذاك ضــوءُ الــصــبــاح قــد لاحــا
ونــســيــمُ الــريــاض قــد فــاحــا
لا تــقــدْ فــي الــظــلام مــصــبــاحــا
خَــلّ عــنــه وشــعْــشــع الــرّاحــا

حين تـنـهَـلّ أدمُع الـقَـطْـر
وتـرى الـروضَ بـاسمَ الـزّهـر

نَــظــمَــتْ جــوهــر الــعــلا ســلْــكــا
كــفّ مَــلْــك يــزيّــنُ المُــلْــكــا
مــا بــرا الــلــهُ مــثــلَــه مَــلْــكــا
لاح بَــدْراً وفــاح لــي مــســكــاً

كالحيا كالأمانيّ كالدّهر
كعليّ في الحرب أو عَمْرو

أيّ بــحــر وأيُّ ضــرغــام
أيّ رمــح وأيّ صــمْــصــام
طــاعــنٌ فــي الــصــدر ضــاربُ الــهــمــام
بــيــن كــرّ وبــيــن إقــدام
مُخْلفُ البيض بالحلي الحُمْر
ومُـرويّ الـقـنـاة فـي الـنّـحـر

حـــيـــنـــمــــا لاح وهـــو مـــبـــتـــســـمُ
كـــــهـــــلال تحـــــفــــــه الــــــدّيمُ
خـــــافـــــقـــــاً فـــوق رأســـــه عَــــلَــــمُ
غـــنّـــت الـــعُـــرْبُ فـــيـــه والـــعَـــجَـــمُ
عـقـد الـلـهُ رايـةَ الـنّـصْـر
لأمـيـر الـعُـلى أبـي بـكـر(1)

وهناك في هذا الصدد موشحة لسان الدين بن الخطيب الشهيرة:
جـــادك الـــغـــيـــث إذا الـــغـــيـــث هـــمـــي
يـــا زمـــان الـــوصـــل بـــالأنـــدلـــســـي

وتعد بدورها من مرشحات المديح، وان كان الناس لا يذكرون-في العادة- إلاّ قسمها الأول الذي يدور حول الغزل ووصف الطبيعة.

5- الرثاء:

لم يؤثر عن الوشاحين الأندلسيين أنهم كرسوا للمراثي عناية تستحق الذكر، ولم تشتمل المجموعات المعروفة مثل «دار الطراز» و «جيش التوشيح» و «توشيع التوشيع» و «عقود اللآل في الموشحات والأزجال» و«العذارى المائسات في الأزجال والموشحات»... الخ على موشحات ما في موضوع الرثاء. ولكن كتاب «المغرب في حلى المغرب» يمدنا بموشحة لابن حزمون ذكر ابن سعيد أنه قالها «في رثاء أبي الحملات قائد الأعنة ببلنسية وقد قتله النصارى».

والنص الذي نتحدث عنه في بابه، فيه حيوية وحرارة وصدق، وهذا كله يتمثل للقارئ منذ الكلمات الأولى، وحتى الخرجة، وبمعنى آخر إن المرشحة كلها ليس فيها إلا موضوع واحد هو الرثاء.

يا عين بـكّي الـسّراجْ الأزهّر الـنّيّرا اللامع
وكـــان نـــعْـــمَ الـــرتّـــاجْ فـــكُـــســـرا
كـــي تُـــنْـــشَـــرا مـــدامـــع

مـن آل سَـعْـد أغـرْ
مـثـلُ الـشّـهـاب المـتـقـدْ
بـكـى جـمـيـعُ الـبَـشَـرْ
عـلـيـه لمـا أنْ فُـقـدْ
والمـشـرفـيّ الـذّكَـرْ
والـسّـمـهَـريّ المـطـرد
شـق الـصـفـوف وكَـرّ
عـلـى الـعـدو مـتـئـدْ

والبيت الأخير والخرجة:
مـاءُ المـدامـع صـاب
عـلـيـك أولَـى أنْ يـجُـودْ
سَـقَـى الـبـريّـة صـابْ
رزءٌ أحـلـك الـلّـحـودْ
فـكـلّ خَـلْـقَ أصـابْ
إلا الـنـصـارى والـيـهـوُدْ
نـاديـتُ قـلـبـاً مـصـاب
يُـجْـرى عـلـى المَـيْـت الـعُـهـودْ

يـا قـلـبـيَ المُـهـتـاجْ
تـصـبّـرا زان الـثّـرى مُـدَافـع
ابـن أبـي الـحـجّـاجْ فـهـل تَـرَى
لَـمـا جـرى مُـدافـعْ

ولابن جبير خمس موشحات في رثاء زوجه، ضمن «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرين الصالح»، وهو مجموعة شعرية كلها في رثاء رفيقة حياته[2]، ولكن لم يصل إلينا شيء من هذه الموشحات.

الموشحات الدينية والصوفية:

لا نعرف متى بدأ النظم في هذا اللون من ألوان الموشحات وأقدم ما

هنالك منها ينسب لابن عربي (توفى سنة 638 هـ) وسنعود إلى موشحاته الصوفية، أما في غير ذلك من الأغراض، فهنالك، على سبيل المثال، ما أطلق عليه ابن سناء الملك اسم «لمكفر» ونص عبارته:

«والرسم في المكفر خاصة ألا يعمل إلا على وزن موشح معروف، وقوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدل على أنه مكفرة [3]»، ولكنه لم يورد أمثلة عن المكفرات الأندلسية والمغربية، واكتفى بأن قدم نموذجاً من موشحاته هو [4]، ولكن هذه القاعدة-قاعدة أن يأتي المكفر ملتزماً صورة الموشحة الأخرى الماجنة، منتهياً بنفس خرجتها-قد اهتزت خرجتها، بعد أن «تداوله العامة ومن لا أنس له بالقواعد، ومن عجز عن الإعراب، حتى صاروا ينظمونه ملحوناً وما لأحد منهم في وزنه وقافيته ما يستغفر منه، بل على طريق العبث وذلك خطأ» (وفقاً لتعليق الصفي الحلي.

وهناك وشاح يدعى ابن الصباغ الجذامي خلف عددا من الموشحات مما يمكن اعتباره من نوع المكفر، وأن كانت الخرجات فيها ليست مما ألف هو، بل مما نظم غيره، مثال ذلك موشحته:

آه مــــــن فــــــرطِ الـــــوجـــــيـــــبِ

أورثَــــــتْ قـــــلـــــبــــي خَـــــبْـــــلا

فخرجتها مستلة من زجل زجال يدعى اليعيع:

يـــا لـــنــبـــي إن ريـــتْ حـــبـــيـــبـــي

افـــتـــل اذنـــو بـــالـــرّســـيـــلا

لأنـــه أخـــذ عـــنـــق الـــغـــزيّـــلْ

وســـرق فـــمّ الحـــجـــيـــلا [6]

ومن غرر موشحات ابن الصباغ في المديح النبوي:

لأحـــمـــد بـــهـــجـــةٌ

كـالـقـمـر الـزاهـر فـي

أبـــرج الـــسّـــعـــدِ

عـــلاؤهـــا يَـــسْـــبـــى

بـــنـــوره الـــبـــاهِـــرْ

كـــلّ ســـنـــا مـــجـــد [7]

وموشحة زهدية أخرى مطلعها:

نــــأت بــــيَ الأوطــــانْ
عـن حـضـرة الإحـسـان ولا
مــــــــعـــــــــينْ
فـــمـــن لـــذي إحــســانْ
لــطــيــبــةٍ قــد كــان لــه
حـــــنـــــــينْ (8)

والمقري في «النفح» يقول، وقد وصل إلى الأراضي المقدسة:

«وكان حظي في هذه الحالة تذكر قول بعض الوشاحين من الأندلسيين، الذين كان لهم ارتحال إلى تلك المعاهد الطاهرة، والمشاهد الزاهرة، والتي تشد إليها الرحال:

يـــا مـــن لـــعـــبـــد بـــه افـــتـــقـــار
إلـــــى أيـــــاد لــــــه جـــــســـــامْ
فـــضـــلُـــك مُـــدْن لخـــيـــر مُـــدْن
حـــلّ بـــهـــا ســـيـــدُ الأنـــامْ
لـــم يـــهـــفُ قـــلـــبـــي لحُـــبّ لـــيـــلـــى
ولا ســـــعـــــاد ولا الـــــرّبـــــابْ
لاقـــــى شـــــجـــــونـــــاً ونـــــالَ وَيْـــــلا
مَـــنْ هـــام فـــي ذلـــك الجَـــنَـــابْ
بَـــلْ مـــال مـــنّـــي الـــفـــؤادُ مـــيـــلا
لمّـــنْ لـــه الحُـــبُّ لا يـــعـــاب

ومن مقاطعها الجميلة:

يـــا طـــيـــبـــةُ حـــزتِ كـــلّ طـــيـــبْ
بـــســـيـــدٍ فـــيـــكِ ذي حُـــلـــولْ
نـــداءُ مـــســـتـــضـــعـــف غـــريـــبْ
فـــي غـــرّ أمـــداحِـــهِ يـــقـــولْ

وهـــو مـــن الــــســـامــــع المُـــجـــيـــبْ
لـمــدحـــه يــســـــألُ الــــقَــــبُـــولْ:
مـــســـتــمـــســـك مـــنـــك حـــســـن ظـــنـــي
بـــعُـــرْوة مـــا لـــهـــا انـــفـــصـــامْ (9)

ومن الطراز العالي قول ابن زمرك:
لـــو تـــرجـــعُ الأيـــامُ بـــعـــدَ الـــذهـــاب
لـــم تـــقـــدح الأيـــامُ ذكـــرى حـــبـــيـــبْ
وكـــل مـــن نـــام بـــلـــيـــل الـــشّـــبـــابْ
يـــوقـــظُـــهُ الـــدهـــرُ بـــصـــبـــح المَـــشِـــيـــبْ

وفيها يتحدث عن ضعف الإنسان واغتراره بالدنيا، وهو لا يعلم أن «العيش نوم والردى يقظة» ويتعامى عن رؤية الحقائق، منخدعاً بلمع السراب، وهو يذكر الإنسان بألا ملاذ له سوى العلي القدير ولا مناص من الأوبة إليه، مهما طال بنا المسرى في ركب الحياة، وينهي الموشحة بقوله:
يـــا مـــصـــطـــفـــى والخـــلـــقُ رهـــنُ الـــعَـــدَمْ
والـــكـــون لـــم يـــفـــتـــق كِـــمـــامَ الـــوجـــودْ
مَـــزيّـــة أعـــطـــيـــتـــهـــا بـــالـــقـــدمِ
بـــهـــا عـــلـــى كـــلّ نـــبـــيّ تـــســـودْ
مـــولـــدُك المـــرقـــوبُ لمّـــا نَـــجَـــمْ
أنجَـــز لـــلأمـــةِ وَعْـــدَ الـــسّـــعـــودْ
نـــاديـــتُ لـــو يـــســـمـــح لـــي بـــالجـــوابْ
شـــهـــرُ ربـــيـــع: يـــا ربـــيـــعَ الـــقـــلـــوبْ
أطـــلـــعـــتَ لـــلـــهُـــدى بـــغـــيـــر احـــتـــجـــابْ
شـــمـــســـاً ولـــكـــن مـــالـــهـــا مـــنْ غُـــرُوبْ (10)

وأما ابن عربي فإن ديوانه الأكبر يتضمن عدداً كبيراً من الموشحات والأزجال والمزنمات، وكلها تسبح في جو الرموز الصوفية من قبيل الموشحة التي تبدأ بـ:

تـــــدرّع لاهُـــوتـــي بــــنــــاسُــــوتـــــي
وحــصّــل مُــوســى الــيَــمّ تــابُــوتــي[11]

ومن هذه الموشحات واحدة جاءت على نسق موشحة ابن زهر «أيها الساقي» أولها:

عـــنـــدمــا لاحَ لــعــيــنــي المُـــتّــكــا
ذبــتُ شــوقــاً لــلــذي كــانَ مــعـــي

أيها البيتُ العتيقُ المُشْرقُ
جاءك العبدُ الضعيفُ المسرفُ
عينهُ بالدمعِ شوقاً تذرِفُ

غــريــةٌ مــنـــه وسُــكْــرٌ فــالــبُــكَــا
لــيــس مــحــمــوداً إذا لَــمْ يــنــفــع

وتنتهي الموشحة بـ:

أيها الساقي اسقني لا تأتل
فلقد أتعبَ فكري عُذّلي
ولقد أنشِدُه ما قيل لي:

أيــهــا الــسّــاقــي إلــيــك المــشــتــكــي
ضــاعــتْ الــشــكــوَى إذا لــم تــنــفــع [12]

أما ديوان الششتري فإن الأزجال تطغى فيه على الموشحات، هذا بالإضافة إلى قدر كبير مما تختلط فيه الفصحى بالعامية (المزنمات)، أو التي تبنى على غير الأنماط التقليدية للموشحة. ومن الموشحات التقليدية قوله:

صـــاحِ هـــذه الأســـرارْ
قـــد أشْـــعَـــلـــتْ فـــي
الحـــشـــامِـــنّـــي الـــنـــارْ

مـد لاح لـي سر مَـنْ نـهْواه
لـم أسـتـطـعْ كـتـمَ مـا ألـقـاهْ
مـنْ شـجـوِ قـلـبـي ومَـنْ شـكـواهْ
ويـحَ قـلـبـي قـد طـارْ
فـي ذا الـهـوى سـابـحـاً
ذا اسـتـهـتـارْ [13]

وكذلك موشحة أخرى لاحظ د. النشار-محقق الديوان-أن الششتري متأثر فيها بفكرة الكهف الأفلاطونية:

عَـدّ عـن الـوهـمِ والخـيـالِ
واسـتـعـمـلِ الـفِـكْـرَ والـنّـظَـرْ
مـا الـنـاسُ إلا كـمـا الخَـيَـالِ
فـانـظُـرْ إلـى مـاسِـكِ الـصّـورْ
مَـنْ يـعـتـبِـرْ يـجـد اعـتـبـارَهْ
وَيـشْـهَـد الحـقّ فـي الـشُـهـودْ
مَـثّـلْ-هُـدِيـتَ-الـوجـودَ سـتـارَهْ
وانـظـرْ لَمَـنْ أطـلَـعَ الـوجُـودْ
بـدا لـه قـبـل أنْ أدارهْ
وأولُ الـسّـعـدِ فـي الـصُـعـودْ
مَـنْ يـرقَ مـن سـافـلٍ لـعـالِ
يُـعـايـنِ الـعَـيْـنَ فـي الأثـرْ
مـا الـنـاسُ إلا كـمـا الخـيـالِ
فـانـظـرْ إلـى مـاسـكِ الـصـوَر [14]

وهذه اللازمة الأخيرة تتردد في الأقفال جمعياً، وهذا مما استحدثه المتأخرون، أما الموشحات الأندلسية كما وصلت إلينا من مؤلفات مثل «دار الطراز» و «جيش التوشيح» و «توشيع التوشيح» و «المغرب» و «عقود اللآل» ونحوها فلا تتضمن شيئاً من هذه الأجزاء المتكررة، وربما كانت هذه الظاهرة من سمات الإنشاد الجماعي بمعنى أن المنشد يترنم بالمقاطع الأخرى حتى

إذا ما وصل إلى هذا الجزء صاحبته المجموعة.

وكان لانتقال متصوفة المغرب-من أمثال ابن عربي والششتري-إلى المشرق أثره البعيد في انتشار هذا اللون من الموشحات الصوفية في كل أنحاء العالم الإسلامي، والى تغلغله في أوساط الشعب، حتى أصبحت كلمة «التوشيح» مرتبطة في الأذهان بالأناشيد الدينية والصوفية.

وتتضمن مجموعة «الموشحات المغربية» للدكتور الجراري ومجموعة «الأغاني التونسية» للصادق الرزقي العديد من هذه المنظومات، التي تقترب حيناً من بنية الموشحة التقليدية، وتبتعد حيناً آخر عن ذلك، نتيجة لإقدام غير العارفين بصنعة التوشيح على التأليف في هذا المضمار.

لقد تعددت موضوعات الموشحات-كما مر بنا-وعالج الشعراء في إطار هذا الفن الجديد مختلف الأغراض (15) التي عولجت في إطار القصيدة التقليدية لكن الشيء الثابت أن الموشحات تبقى-أولاً وأخيراً-قالباً شديد الصلة بالموسيقى والإنشاد ومن ثم كانت أهم موضوعات الموشح ما اتصلت بالغزل والخمريات والوصف، يضاف إليها-في فترة لاحقة-الموشحات الصوفية.

القسم الثالث
وشاحو الأندلس والمغرب

3 وشاحو الأندلس

لا نسعى في هذا الفصل لأكثر من محاولة أولى تهدف إلى جمع أطراف الحديث-المتناثر هنا وهناك- عن وشاحي الأندلس والمغرب، ورصد لأعمالهم في هذا المضمار تاركين التفصيلات لدراسات اكثر رحابة، ولإمكانيات اكبر مما هو متاح لنا في الوقت الحاضر.

ولا نريد أن نخضع هذه المحاولة للترتيب التاريخي الصارم، فلا شك أن هذا الترتيب يعتريه الاضطراب، خاصة حين يتم فحص ما هنالك من مجموعات خطية، ومؤلفات أندلسية لم يزح النقاب عنها بعد-كذلك لن نلتزم بما التزم به مؤرخون مثل ابن بسام صاحب «الذخيرة» وابن سعيد في «المغرب» من تصنيف الشعراء وفقا للمدن والأنحاء، فهؤلاء الشعراء لم يكونوا أبنية لا تبرح الموضع الذي نشأت فيه، وما اكثر ما انتقل وشاحونا من مدن لأخرى، ومن قطر لغيره فضلا عن أن هذه التقسيمات المكانية لا تكاد تفصح عن شيء ذي بال، ولا تنتج إلا حشدا من التفريعات المعقدة.

بل إننا لم نر كبير فائدة في إخضاع ترتيب هؤلاء الوشاحين لتقسيمات العصور [1] التي كثيرا ما يلجؤون إليها في المؤلفات التاريخية والأدبية

العامة عن الأندلس، لأن هذه المراحل-فضلا عن تداخلها-لا تعكس تحولات فنية تستحق الذكر، وان كنا لم نغفلها إغفالا كليا، وحرصنا على أن نحدد المرحلة الزمنية لكل وشاح، طالما كان ذلك متاحا .

4 طور النشأة

لا شيء أصعب من الحديث عن نشأة فن من الفنون، فالمصادر عادة ما تكون شحيحة، والمعلومات متناقضة مبتورة، والصورة غائمة مطموسة، ولا يكون أمام الباحث إلا التزام الحذر وعدم الانسياق للاستنتاجات المتسرعة وإلا هوت به إلى الحضيض قدمه-شأنه في ذلك شأن الذين يغامرون في ساحة الشعر، وهم من غير سلاح.

وإذن فإننا في إطار هذه الدراسة العامة عن الموشحات، نؤثر ألا نخوض في خضم هذه القضية الشائكة، آخذين بوجهة النظر القائلة بأن الموشحات جاءت وليدة الأغنية الشعبية [1]، ويمكن الارتكاز في هذا الصدد على عبارة تعد من أقدم الإشارات عن نشأة الموشحات، وقائلها هو

ابن بسام صاحب «الذخيرة»، ونص العبارة:

«وأول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا واخترع طريقتها، فيما بلغني، محمد بن حمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار الأشعار، غير أن أكثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي والعجمي ويسميه المركز ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان..» [2]

وهذه العبارة من الإيجاز والغموض بمكان، خاصة فيما يتصل بالدلالات الاصطلاحية لكلمات مثل «التضمين» و «الأغصان» و«المركز»، فضلاً عن أنها تغامر بتحديد اسم «أول من صنع الموشحات»، رفي رأينا أن الموشحات مرت بطور مجهول إلى أن كانت أخريات القرن الثالث الهجري، حيث بدأ شعراء معروفون يؤلفون في هذا القالب.

* محمد بن محمود القبري (نسبة إلى قبرة، قرية من أعمال قرطبة):
* مقدم بن معافي القبري:
* ابن عبد ربه، صاحب «العقد:<

نسب ابن بسام-على ما رأينا-«اختراع» الموشح لمحمد بن حمود القبري أو بالأحرى لمحمد بن محمود القبري، كما جاء اسمه في معظم المصادر..

وفي «بغية الملتمس» للضبي: «محمد بن محمود المكفوف القبري، أديب شاعر، ذكره ابن حزم، وأنشد له في خيل السباق:

تــرى مَــنْ يــرى المــيــدانَ يــجــهــلُ أنــه
لأهــل الــتــبــاري فــي الــشــطــارة مــيــدانُ
كــأنّ الجــيــادَ الــصــافــنــات وقــد عَــدَتْ
ســطــورُ كــتــاب والمــقــدّم عــنــوانُ (3)

هذا كل ما ذكره عنه صاحب «البغية» والنص نفسه (وما خلا البيت الأول) جاء في (المغرب)، ونقله ابن سعيد عن الحميدي صاحب «جذوة المقتبس» (4)

ويذكر د. شوقي شيف أن الثعالبي ترجم له في «اليتيمة» ولا نعرف إلى أي طبعة رجع (فقد ذكر طبعتين مختلفتين في قائمة المراجع) وقد عدنا للطبعة القاهرية فوجدنا في الجزء الثاني منها:

«المكفوف محمد بن محمود بن أيوب الغنوي، قال:

لا يُبــعِــدُ الــلــهُ أيــامــاً نــعــمــتُ بــهــا
بــين الــغــوانِــي وشَــمْــلُ الحــيّ مــلــتــئــمُ
بــكــلّ نــاعــمــةِ الأطــرافِ مــشــرقــةٍ
تــكــادُ تُــســفِــرُ مــن إشــراقِــهــا الــظــلــمُ (5)

الخ...

والمرجح أن «الغنوى» هذه ليست سوى «القبري» بعد أن اعتراها

التصحيف...

وأيا كان الأمر فإن هذه الجمل الموجزة لا تكشف عن شيء ذي قيمة، يبرز لنا صورة الرجل وشاعريته وموشحاته، بل لا تقدم تحديداً للحقبة التي عاش فيها وان كان المرجح أنه كان من شعراء أخريات القرن الثالث الهجري.

وإذا كانت المعلومات قليلة عن محمد بن محمود فإنها-على النقيض من ذلك مستفيضة عن ابن عبد ربه صاحب العقد، الذي يجيء عنه في «الذخيرة:

«وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا» (وابن عبد ربه توفى سنة 328 هـ).

وأما ابن سعيد في «المقتطف من أزاهر الطرف» فإنه يقول:

(واستند إلى الحجاري صاحب «المسهب في غرائب المغرب»): «إن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد

وهذه العبارة نفسها وردت في مقدمة ابن خلدون [8] مع اختلاف يسير، ذلك أنه جعل كنية عبد ربه (أبو عبد الله) بدلا من الكنية المعروفة (أبو عمر)، ووردت العبارة نفسها بعد ذلك في كل من «نفح الطيب» [9] و «أزهار الرياض» [10] ولكن بغير كنية.

وعجيب أن يكون ابن عبد ربه من أوائل الذين ألفوا في الموشحات، لأن كتابه الموسوعي «العقد الفريد» لا يحتوي على شيء عن هذا الفن، ويتضمن في الوقت نفسه العديد من قصائده ومقطعاته (وكان ابن عبد ربه غزير الإنتاج في الشعر، وقد ذكر الحميد أنه رأى من شعرة نيفاً وعشرين جزءاً من جملة ما جمع للحكم بن عبد الرحمن الناصر) [11] ومن جانب آخر، فإن ابن عبد ربه هاجم في «العقد» جنوح الناس إلى الأساليب السوقية، وتخليهم عن الفصاحة، والموشحات-كما هو معروف-فيها، وبخاصة في الخرجات، عامية-بل أعجمية-في اللفظ والمعنى.

وقد قدم د. الكريم في كتابه «فن التوشيح»«مجموعة من التساؤلات حول هذه النقطة، فقد شكك في أن يكون لابن عبد ربه صاحب العقد دور في نشأة الموشحات» وأضاف: «ويخيل لي في بعض الأحيان أن ابن عبد ربه

الذي كان علاقة بالتوشيح ليس هو هذا الرجل، بل ابن أخيه سعيد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد ربه، فقد ذكر (في المغرب): أن الناصر المرواني استحضره لينظر عليه في العلم القديم، فقابله من الكلام العامي الجلف بما كرهه من أجله وأبعده. فهذا الرجل، صاحب الكلام العامي الجاف، أدنى إلى أن يكون ممن نظم الموشحات-خارجاً بذلك على التقاليد القديمة- من صاحب العقد» ويضيف:

«هذا وقد ذكر بعض المؤرخين (عبد الواحد المراكشي: المعجب ص 299 المقري: نفح الطيب جـ 1 ص 368) أبا عبد الله محمد بن عبد ربه من أحفاد ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد، وكانت له رحلة إلى مصر، لقي فيها ابن سناء الملك، وأخذ عنه من شعره. وهو أول من سمعه عبد الواحد المراكشي يذكر ابن سناء الملك بالأندلس و يروي شعره. فربما كان اتصال هذا الرجل المنتمي إلى صاحب كتاب العقد بابن سناء الملك الوشاح المشرقي العظيم سبباً في ذكر جده عند التعرض لبدء الموشحات، وربما يكون هو الذي خلق تلك الفرية، محاولاً رفع قدر جده، وهو من الموشحات براء [12].

وقضية نسبة اختراع الموشحات لابن عبد ربه صاحب العقد محيرة حقاً، ولكن من العسير دفعها بمثل التساؤلات التي أثارها د. الكريم في دراسته عن التوشيح لأنها تخطيء مصادر أساسية مثل «الذخيرة» و«المقتطف» على أساس ظنون لا تستند إلى برهان. لقد تحدثت بالفعل مصادر مختلفة عن أبي عثمان سعيد بن أحمد بن عبد ربه-ابن أخ صاحب العقد على اعتبار أنه كان-على حد تعبير ابن أبي أصيبعة-«طبيباً فاضلاً وشاعراً محسناً» [13] كما أن صاحب «اليتيمة» [14] أورد له شعراً لا بأس به، ولكننا-على كل حال-لا نعرف مصدراً واحداً قرن اسمه بفن التوشيح.

وأما الحديث عن دور ما في هذا الأمر لحفيد ابن عبد ربه، فلا نجد له مبرراً على الإطلاق، لأن الإشارة إلى دور ابن عبد ربه (صاحب العقد) في الموشحات ترد في «الذخيرة» لابن بسام المتوفى سنة 542 هـ ونحن نعلم أن ابن سناء الملك ولد نحو سنة 550 هـ، وبمعنى آخر أن ابن بسام الذي روى الخبر توفى قبل أن يولد ابن سناء الملك، فكيف يفترض أن منشأ نسبة اختراع الموشحات لابن عبد ربه يعود إلى فرية قصها حفيد ابن عبد ربه على ابن سناء الملك؟

وهكذا يفضي بنا الحديث إلى «مقدم بن معافي القبري» الذي تحير في أمره مؤرخو الأدب الأندلسي، وإن كانت المعلومات عنه-على كل حال-أكثر وضوحاً مما وصل إلينا عن محمد بن محمود القبري.

وقد جاءت عنه في «المقتطف» لابن سعيد عبارة يتيمة تقول: «فأما الموشحات، فقد ذكر المجاري في كتاب «المسهب في غرائب المغرب» أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري من شعراء الأمير عبد الله المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب العقد [15]، وهذه العبارة وردت عند ابن خلدون، وظهر اسم معافي في بعض طبعات المقدمة-وبخاصة طبعة كاترمير على النحو التالي:

«مقدم بن معافر الفريري» [16] فقاد هذا التصحيف إلى حشد من سوء الاستنتاج [17] كما أدى اشتراك معافي ومحمد بن محمود في النسبة (القبري) إلى الظن بأن الاسمين قد يكونان لشخص واحد، لكن المتفق عليه، الآن غير ذلك [18].

والمعروف أن الأمير عبد الله المرواني توفى سنة 300 هـ، كل ألف مقدم موشحاته في ظل هذا الأمير أم بعده؟

لسنا نعلم شيئاً واضحاً عن هذا الأمر، والحميدي في «الجذوة» [19] يقول إن مقدما هذا كان من شعراء بلاط عبد الرحمن الناصر (300-350 هـ)، وهذا كله لا يساعد في شيء إلاّ في إيضاح أن مقدما عاش حقبة من عمره في القرن الرابع الهجري.

ونتقدم إلى الأمام نحو قرن من الزمان، لنتقابل مع «الجيل الثاني» من الوشاحين إذا صح التعبير.

5 الجيل الثاني

والمعلومات التي لدينا عن هذا الجيل أغزر بكثير مما كان عليه الحال مع محمد بن محمود القبري ومع مقدم بن معافي، هذا إذا استثنينا المكرم بن سعيد وابن أبي الحسن، وقد ذكرهم ابن بسام في كلمته عن أوائل الوشاحين، ولكن لا يعرف عنهم شيء في المصادر المعروفة.

وصاحب «الذخيرة»-بعد ذكر محمد بن محمود ومقدم وابن عبد ربه-يضيف:

«ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، فكان أول من اكثر فيها من التضمين في المراكيز، يضمن كل موقف يقف عليه في المركز خاصة، فاستمر على ذلك شعراء عصره كمكرم بن سعيد وابني أبي الحسن، ثم نشأ عبادة هذا (يعني ابن ماء السماء)»[1].

والملحوظ أن ابن سعيد في «المقتطف» (ومن أخذ عنه كابن خلدون والمقري) لا يشير إلى اسم الرمادي بين الوشاحين الذين ذكرهم، ولا يقدم عنه في «المغرب» [2] شيئاً ذا بال، وكل ما هنالك مقتطفات تملأ صفحة وبعض صفحة، تتصدرها عبارة نقلها عن الحميدي في «الجذوة» نعرف منها أن شاعرنا هذا «قرطبي كثير الشعر سريع القول،

مشهور عند الخاصة والعامة هنالك، لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك، حتى كان كثير من شيوخ الأدب في وقته يقولون: «فتح الشعر بكندة، وختم بكندة، يعنون امرأ القيس، والمتنبي ويوسف بن هارون (3)- المتوفى سنة 403 هـ. وفي المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لمجموعته «دار الطراز» ترد عبارة تتعلق-فيما يبدو-بالرمادي، وهي:

«وقد تكون الخرجة عجمية اللفظ بشرط أن يكون لفظها أيضاً في العجمي سفسافاً نفطياً، ورمادياً زطياً» فما دلالة رمادياً هنا؟

لقد ظن الحميدي أن نسبة شاعرنا «الرمادي» جاءته من أن «أحد آبائه كان من أهالي الرمادة، وهي موضع بالمغرب» لكن د. أحمد هيكل ينفي هذا الظن، ويقول إن هذا اللقب «هو الصورة العربية للقب رومانثي كان يطلق على الشاعر، كأثر من آثار امتزاج العربية بالرومانثية في المجتمع الأندلسي. ومما يؤكد هذا أن بعض المصادر الأندلسية قد حفظت لنا هذا اللقب بصورته الرومانثية، ونبهت كذلك إلى نقل هذا اللقب من صورته غير العربية إلى صورته العربية، فقال ابن بشكوال صاحب كتاب الصلة، في ترجمته للشاعر يوسف بن هارون: كان يلقب بأبي جنيش، فنقل إلى الرمادي، فكلمة جنيش هي الكلمة الرومانثية التي صارت في الإسبانية (Cenisa) تثيسا، ومعناها رماد. فأبو جنيش هي أبو رماد أو الرمادي» (4).

وقد ضاع ديوان الرمادي ولم تصل منه إلاّ شذرات، وضاعت موشحاته التي أشار إليها ابن بسام. عبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز:

ونتحدث عنهما معاً لما بين أخبارهما من تداخل، لأنهما كانا معاصرين من جانب، وللتشابه بين الاسمين في لفظة «عبادة»من جانب آخر.

وإلى عبادة بن ماء السماء يشير ابن بسام قائلاً: «نشأ يوسف بن هارون الرمادي فكان أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز.. ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التغيير وذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها، كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز» ويقول في بيان فضله:

«وكان أبو بكر في ذلك العمر شيخ الصناعة، وإمام الجماعة، سلك في الشعر مسلكاً سهلاً، فقالت له غرائبه مرحباً وأهلاً. وكانت صنعة التوشيح التي نهج أهل الأندلس طريقتها، ووضعوا حقيقتها غير مرقومة البرود، ولا منظومة العقود، فأقام عبادة هذا منآدها، وقوم ميلها وسنادها، فكأنها لم

تسمع بالأندلس إلا منه، ولا أخذت إلا عنه، واشتهر بها اشتهاراً غلب على ذاته، وذهب بكثير من حسناته» (5)

ويقدم ابن بسام نبذة لا بأس بها عن عبادة القزاز، منها:

«من مشاهير الأدباء الشعراء، واكثر ما ذكر اسمه وحفظ نظمه في أوزان الموشحات، التي كثر استعمالها عند أهل الأندلس.. وهو ممن نسج على منوال ذلك الطراز، ورقم ديباجه ورصع تاجه، وكلامه نازل في المديح، فأما ألفاظه في التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشفوف» (6)

وفيما يبدو أن موشحات ابن عبادة (شأنها في ذلك شأن موشحات عبادة بن ماء السماء) كانت عزيزة الوجود منذ قرون وقرون، كما قد يستدل على ذلك من قول ابن فضل الله العمري عن ابن القزاز:

« .. صاحب الموشحات الموشعات، والكؤوس المشعشعات، والبدائع التي لم يحصرها وزن، والوشائع التي لم يلبس مثلها روض الحزن، والروائع التي لا عيب في درها إلاّ أنه لم يذخر بالحزن..» (7)

أما ابن سعيد، فإنه في «المغرب» لا يكاد يقدم شيئاً يستحق الذكر عن حياة ابن عبادة. (وإن أورد نماذج من شعره، وبعض موشحات-سنذكرها بعد قليل) ولم يجيء شيء عن عبادة بن ماء السماء في النسخة المطبوعة من الكتاب، كما لا يذكر اسم ابن ماء السماء في الفصل الذي عقده عن الموشحات والأزجال ضمن كتابه «المقتطف» ولكنه يورد عن ابن عبادة القزاز:

«فأما الموشحات، فقد ذكر الحجاري في كتاب المسهب في غرائب المغرب أن المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبري.. وأخذ عنه ابن عبد ربه.. ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت موشحاتهما، وكان أول من برع في هذا الشأن يعدهما عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية. وقد ذكر الأعلم البطليوسي أنه سمع ابن زهر يقول: كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز في ما اتفق له من قوله:

بدرُ تَمّ	شمسُ ضُحى	غصْنُ نقا	مسكُ شمّ
ما أتَمّ	ما أوضَحَا	ما أروَقا	ما أنَمّ
لاجَرَمْ	من لَمَحَا	قد عَشقَا	قَد حُرمْ

وزعموا أنه لم يشق غباره وشاح من معاصريه الذين كانوا في زمن الطوائف (8).

وقد توفى عبادة بن ماء السماء سنة اثنتين وعشرين وأربعمائة، أو سنة تسع عشرة وأربعمائة [9] أما ابن عبادة القزاز، فإنه كان الشاعر المقدم في بلاط المعتصم بن صمادح صاحب المرية، وفي ذلك يسوق صاحب «النفح» أن ابن عبادة أنشد المعتصم شعراً يقول له فيه:

ولــو لــم أكُـنْ عــبــداً لآل صُــمــادح
وفــي أرضـهـْـم أصــلـي وعـيـشـي ومـوْلـدي
لمـا كـان لـي إلا إلـيـهـمْ تـرَحُّـلٌ
وفــي ظـلّـهـم أمـسـي وأضـحـي وأغـتـدي

فارتاح وقال: يا ابن عبادة، ما أنصفناك، بل أنت الحر لا العبد، فاشرح لنا أملك. فقال:

أنا عبد جودكم كما قال ابن نباتة:

لـم يـبـق جـودك لـي شـيـئـاً أؤمـلـه
تـركـتـنـي أصـحـب الـدنـيـا بـلا أمـل

فالتفت إلى ابنه الواثق ولي عهده، وقال: إذا اصطنعت الرجال فمثل هذا فاصطنع، ضمه إليك، وافعل ما تقتضيه وصيتي به، ونبهني إليه كل وقت، فأقام نديماً لولي العهد المذكور. وله فيهما المرشحات المشهورة كقوله:

كم في قد ود البانْ تحت اللّمَم من أقْمر عَواط
بأنمل وبنانْ مثل العنَمْ لم تَنْبَر لِعَاط» [10]

وفي «معجم السفر» للسلفي إثارة أخرى لإحدى موشحات ابن القزاز في مدح المعتصم أولها:

هل يُتاحَ للأرواحَ من ظُباكَ يا سفّاحَ
أنْ تُراحَ أو تراحَ أو ترتاحَ في مَرَآكَ [11]

وهو نص نادر لا نجده في غير كتاب السلفي.

أما ابن سعيد في «المغرب» فانه يذكر لــه قسماً كبيراً من موشحة أولها:

أذابَ الخَــــــــــلَــــــــــدْ
نـــــهـــــدٌ مـــــهـــــنّـــــدْ

وغـــــــصـــــــنٌ تـــــــأوّد
فـــــي دِعْـــــصٍ مـــــلـــــبّـــــدْ
عن سُقْمٍ مُكْمَدْ
لاهْ
فـــــــدع عَـــــــذَلـــــــي
يـــــا مَـــــنْ يـــــلـــــومُ
فـــــلـــــومُـــــكَ لـــــي
فـــــي الحـــــبّ لُـــــومُ
أقـــــصَـــــى أمـــــلِـــــي
ظـــــبـــــيٌ رَخـــــيـــــمُ [12]

وقسماً من موشحة أخرى أولهما:

صِـــلْ يـــا مُـــنـــى المُـــتَـــيّـــمْ مَـــنْ راحْ
مـــقـــصـــوصَ الجَـــنَـــاحْ
صـــاغ الجـــمـــالَ مـــن كـــل لآلاءِ
خـــدٌّ أديمُـــه مـــن الـــصـــهـــبـــاءِ
ووجـــنـــةٌ أرقُّ مـــن المـــاءِ
كـــأنّـــهـــا شـــقـــيـــقـــةٌ تُـــفّـــاحْ
لـــم تُـــلْـــمَـــسْ بَـــراحْ [13]

وهناك نصوص لا يعرف على وجه الدقة أهي لعبادة بن ماء السماء، أم لابن عبادة القزاز، ففي «فوات الوفيات» [14] موشحتان لابن ماء السماء، الأولى تبدأ بـ:

مَـــــــنْ وَلَـــــــى
فـــي أمـــه أمـــراً ولـــم يـــعـــدلِ
يُـــــــعـــــــزَلِ
إلا لحـــاظُ الـــرشـــأ الأكْـــحـــلِ

والثانية:

حُـــبّ المّـــهَـــا عـــبـــادَهْ
مـــن كُـــلّ بـــسّـــام الـــسّـــوارِ

لكن الصلاح الصفدي في «الوافي بالوفيات» [15] يجعل الأولى لمحمد

بن عبادة القزاز ويجعلها هو نفسه في كتابه «توشيع التوشيح» [16] لعبادة بن ماء السماء! ويذكرها ابن المواعيني في «ريحان الألباب» [17] مصدرة بـ «وغريب التوشيح ما أنشد به أبو عامر ابن ينق قال: أنشدني عبادة بن ماء السماء لنفسه من موشحة قليلة الأمثال..» النص

وإذن فلا يبقى لابن ماء السماء سوى موشحة واحدة لا خلاف عليها في المصادر وهي التي أولها:

حُـــــبّ المـــــهـــــا عـــــبـــــادَة

مـــــن كـــــلّ بـــــسّـــــام الـــــسّـــــوار

ولكن د. إحسان عباس يقول عنها إنها «شبيهة بموشحات القزاز، والخرجة فيها معربة. وإذا كان كذلك فقدنا آخر مثل من الموشحات المبكرة نسبياً» [18]، ونحن لا نطمئن كثيراً لمثل هذا الاستدلال، لأن ابن القزاز فيما وصل إلينا من موشحاته لا يسير على نمط ثابت، وهناك فروق فنية واضحة بين موشحاته التي تتعدد فيها الأجزاء في القفل، أو في البيت، مثل قوله في موشحة «بأبي. ظبي حمى:<

بَدْرُ تَم   شمسُ ضُحى   غصنُ نقا   مِسْكُ شَمّ

وبين قوله:

صِـــلْ يـــا مُـــنـــى المُـــتَـــيـــمِ مَـــنْ راحْ

مـــقـــصـــوصَ الجَـــنَـــاحْ

ومن جانب آخر، فان الترجيح لا يمكن أن يقوم، إلا إذا كنا نملك قدراً من موشحات ابن ماء السماء، يسمح بأن نتبين من خلاله الخصائص الفنية عنده، ونقارنها بموشحات ابن القزاز، ثم نحكم بعدها على موشحة «حب المها عبادة».

والقضية تصبح اكثر تعقيداً عندما ينظر المرء في نصوص «دار الطراز»، وفي المقدمة التي وضعها ابن سناء الملك لكتابه، لأن صاحب «الدار» لا يذكر إلا «عبادة» من غير تحديد، مثال ذلك موشحة:

بِـــأبِـــي عِـــلْـــقُ

بـــالـــنّـــفـــسِ عَـــالِـــيـــقْ

وقد أوردها بتمامها [19] وذكر في المقدمة: «هذا الموشح لعبادة» وقد يظن ظان أن الاكتفاء باسم «عبادة» يفرض على الباحث أن يرجح نسبة

النص لعبادة بن ماء السماء لا لابن عبادة القزاز، لكن المشكلة أن هذا الأخير يذكر كذلك على أنه «عبادة القزاز» فضلاً عن أن بعض الموشحات التي اكتفى ابن سناء الملك بنسبتها إلى «عبادة» تأتي منسوبة لابن عبادة القزاز في عدد من المصادر، كما تنسب لابن ماء السماء في غيرها، مثل:

بأبي ظبيُ حمى تكْنفُهُ أسّدُ غيلْ

التي عرفنا أن ابن المواعيني جعلها لابن ماء السماء [21]، أما ابن سعيد في «المقتطف من أزاهر الطرف» فنسبها إلى «عبادة القزاز»، وقد مر بنا قول ابن زهر إن «كل الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله:

بَدْرُ تَمّْ شَمْسُ ضُحى غصُن نقا : مسْكُ شمّْ.. الخ

وهذا المقطع لا يعدو أن يكون أو «البيت» الثاني من أبيات موشحة «بأبي: ظبي حمى». والموشحة نفسها ترد في «جيش التوشيح» [22] منسوبة هذه المرة لأبي بكر بن بقى!

وهناك موشحتان أخريان في «دار الطراز» تحويان في ثناياهما ما يؤكد نسبتهما لابن عبادة القزاز، الأولى هي موشحة:

دعنِي أشُمّْ: برقاً جمدْ: مرجانْ: قد انتظمْ فيه البَرَدْ: فازدَان

فالخرجة فيها تقول:

قُلْ هل عُلمْ: أو هل عُهدْ: أو كانْ: كالمعتصم والمعتضِدِ مَلِكَانْ

والثانية أولها.

رُحْ للراحْ وباكِرْ بالمُعْلَم المُشَوُفْ غبوقاً وصبُوحْ على الوترِ الفصيحْ

وخرجتها:

ما أملَحَ العساكِرْ وترتيب الصفوفْ والأبطالْ تصيح الواثِقْ يا مَليحْ

ففي الخرجة الأولى إشارة إلى المعتصم والمعتضد (صاحب أشبيلية) وكان بينهما تحالف في فترة من الفترات، وأما الواثق المشار إليه في الخرجة الثانية فهو عز الدولة ابن المعتصم، وفي هذا ما يدل على أن الموشحتين من نظم ابن عبادة القزاز شاعر المعتصم وابنه.

على أن الاشكالات لا تنتهي عند هذا الحد مع عبادة بن ماء السماء وابن عبادة القزاز، فهناك اسم ثالث يتردد في بعض المصادر الأندلسية هو اسم «عبادة بن محمد بن عبادة-القزاز» وهذا الاسم يرد في «الخريدة»-

على سبيل المثال-دون أي تحديد لعصره أو مكانته أو الفنون التي برع فيها، ويأتي بعد الاسم مباشرة بيتان هما:

إنّمـــا الـــفـــتـــحُ هِـــلالٌ طـــالِـــعٌ
لاحَ مـــن أزراره فـــي فَـــلَـــكِ
خـــدُّه شـــمـــسٌ ولـــيـــلٌ شـــعـــرُهُ
مـــن رأى الـــشـــمـــسَ بـــدت فـــي حَـــلَـــك (24)

وعلق محققا هذا القسم الخاص بشعراء الأندلس وأدبائها على الاسم بأن المعنى هنا «أبو بكر عبادة بن عبد الله بن محمد بن عبادة.. ويعرف بابن ماء السماء» وبذا حسما الأمر دون اعتبار لصفة «القزاز».

وتوقف هذا المستشرق شترن أمام هذا الاسم فتساءل عما إذا كان «عبادة» هذا ابنا لمحمد بن عبادة القزاز أو ابن القزاز الذي نعرفه، ولم يستطع أن يحسم في المسألة. (25)

والحق أن المغامرة بتقديم حل حاسم لمثل هذه المشكلة قد تقود للشطط، خاصة حين تتدخل مصادر أخرى فتقدم إشارات عن «عبادة بن محمد بن عبادة الأقرع»، صاحب الموشحات، فهل هذا شخصية أخرى تشترك في تأليف الموشحات كما تشترك في نعت «عبادة»، أم أن الأمر لا يعدو أن يكون هفوة من هفوات التأليف أو النسخ، وأن المقصود بهذا الاسم الثالث محمد بن عبادة القزاز؟ ولم لا نجد عن عبادة «الثالث» هذا إلا إشارات مقتضبة تتسم بالغموض؟

إن تكرار الحديث عن الشخص الواحد في كتاب مثل «الخريدة»-بما يوهم أحيانا انهما شخصيتان منفصلتان-(26) يجعلنا نشك في وجود وشاح ثالث يحمل اسم عبادة (27) غير ابن ماء السماء وابن «القزاز».

أم الكرم بنت المعتصم:

جاء عنها في «المسهب» ونقل صاحب «المغرب» (28):

«كان المعتصم قد اعتنى بتأديبها، لما رآه من ذكائها حين نظمت الشعر والموشحات» لكن شيئا من هذه الموشحات لم يصل إلينا، ولم يبق من شعرها إلا أبيات متفرقة تدور حول موضوع الحب.

وأم الكرم هي أول شاعرة أندلسية يذكر أنه كان لها إسهام في تأليف

الموشحات والملحوظ أن شاعرات الأندلس-إلا قلة قليلة-لم يؤثر عنهن أنهن ألفن موشحات.

6 فترة النضج والازدهار

● ابن عمار (ذو الوزارتين، أبو بكر بن محمد، المهدي، الأندلسي، الشلبي) [1] المتوفى سنة 477:

لخص ابن سعيد في «المغرب»-استنادا إلى «القلائد» و«الذخيرة» و«المسهب» حياة ابن عمار العاصفة في سطور، فذكر أنه من قرية شنبوس، من المملكة الشلبية وكان من أصحاب المعتمد في زمن الصبا، فلما آل الأمر للمعتمد، قرب ابن عمار وصار عنده كجعفر عند الرشيد، إلى أن داخل ابن عمار العجب،.. فوثب على مرسية لما أخذها للمعتمد، وانفرد فيها بنفسه، وهجا ابن عباد وزوجته الرميكية «وانتهى الأمر إلى الوقوع في الأسر وقتله المعتمد بيده».

ولا يذكر ابن عمار في أي من المصادر المعروفة على أنه من الوشاحين، وتفرد الصفدى في «توشيع التوشيح» [2] بعده من بين كبار وشاحي الأندلس.

● ابن زيدون (أحمد بن عبد الله): [3]

الوزير الشاعر الكاتب، صاحب الرسالتين الهزلية والجدية، والقصائد الوجدانية ذات الشهرة المدوية، وبخاصة «النونية» التي طالما عارضها الشعراء عبر العصور:

أضحى التنائي بديلا من تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا ولم يذكر ابن زيدون في المصادر المعروفة على انه من الوشاحين كما أن ديوانه لا يضم شيئا في هذا المضمار، وفيه مسمطتان «سقى الغيث أطلال الأحبة بالحمى» و «تنشق من عرف الصبا ما تنشقا» ومن الدارسين المحدثين [4] من يعدهما-خطأ-من الموشحات.

● ابن ارفع رأسه (أبو بكر محمد) [5]:

جاء عنه في «المقتطف» في معرض الحديث عن أوائل الوشاحين الذين ظهروا بعد ابن عبادة القزاز:

«وجاء مصليا خلفه منهم ابن ارفع رأسه، شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة. قالوا قد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له، حيث يقول:

العُودُ قد تَرَنّمْ
بأبدع تلحين
وشَقّتْ المذانبْ
رياضَ البَساتين

وفي انتهائه حيث يقول:

تخطرْولیس تسَلّمْ
عساك المأمونْ
مُروّع الكتائبْ
يحيى بن ذي النونْ

وذكره ابن سعيد في «المغرب» ولم يورد عنه شيئا يذكر: «نبه الحجارى على بيته بطليطلة، وان المأمون بن ذي النون اشتمل عليه وشهر عنده ذكره.. وله موشحات مشهورة يغنى بها في بلاد المغرب، منها في مدح المأمون بن ذي النون» ولم يذكر إلا ثلاثة أبيات قالها في مدح ابن ذي النون يجيء في مصادر أخرى أنها قيلت على البديهة، وفي حسباننا أن عبارة «المغرب» توحي بأنه سيسوق شيئا من هذه الموشحات، لكن الأمر وقف عند هذا الحد [6].

ومن موشحة «العود قد ترنم» قطعة ترد في «مجموع الأغاني والألحان

من كلام الأندلس» منها:

وغـــــنـــــــاءُ الـــــطـــــيــــــورْ

عـــلـــــى غـــصــــون الـــــبـــــانْ (7)

وضَـــــحـــــــــك الـــــــسّـــــــرورْ

وانـــســــــلّ لــــــلــــمـــــيــــدانْ

وكـــــــلّــــــنــــــا أمــــــيـــــرْ

بـــالـــــراّح والــــســــلــــطــــانْ.. الــــخ

ومن حسن الحظ أن مجموعة «جيش التوشيح»تضمنت عشر موشحات لابن ارفع رأسه، وقد صدرها لسان الدين بن الخطيب بعبارة مسجوعة فيها:

«رفع في التوشيح رايته، وبلغ منه غايته، واستوفى أمره ونهايته، فجلا برائق مبانيه أنوار معانيه، فجاءت ألفاظه يرف رونقها، و يشف تأنقها، إن مدح جاءت المدائح إليه تترى، أو تغزل رأيت جميلا بوادي القرى، جدد بني ماء السماء المتقدمين في التمييز، وانضوى به إلى الملوك والتحييز..»

والموشحات التي بين أيدينا تدور حول الغزل والمديح، وفي بعضها ما يمكن أن يعد من «التزنيم»-أي الخروج على الفصحى-إلا إذا كان مرد ذلك إلى سوء النسخ، وانظر موشحته:

قد كنتُ في عدَن فاختلتُ والهَفى كأنّ ابليسا قد وشَى إلى إلْفي

واصَـــــــلَ إيــــــحـــــــاشـــــــى

مـــــنْ عـــهـــــده انــــــســــــى...

بـــــــدرٌ بــــــدا مـــــاشـــــــى

كـــي يــكـــســــف الــــشـــمـــس (8)

ومن أقفالها:

حاشاك ياخدني أن تُدينَ بالخُلَف فبوُسني يوماً وحده منَ الألف

وغيره:

أجل من الحُسن قبلَ رجعة الطّرف مَنْ عرشُ بلقيسا مُتّعتّ بالنصّف

وهناك فضلا عن ذلك جمل لا نحسب أنها كانت تغنى على النحو الذي تنطق به بالفصحى مثل:

الخُـــلْـــــفُ لــــلــــــوعْـــــد

نـــــاقــــــض عُــــــرى الُـــــــودّ

ففي اعتقادنا أنه كان يوقف بالسكون في «ناقض». ومن أشهر الموشحات المنسوبة لابن ارفع رأسه قوله:

مَنْ علّق القُرطا في أذن الشّعرَى وأكفَفَ المْرطَا الغُصنَ النّضرا [9]

وبعض خرجات موشحاته تمتزج فيها العامية بالرومانث كقوله في موشحته «الراح والرضا:

يامْ شنت لاب ذا الوعدْ ذا الحجج دَعْ هَجْر مم قطَعْ فالقطع في سمج

أو قوله في خرجة موشحته «للهوى في القلب أسرار:

بـــعـــــنـــــايـــــش لمحـــــت إنْ لحـــــتْ

كــــم هـــــلـــــش مــــــنْ يـــــدى

بــــــون بــــــلاش امــــــتــــــارْ

أو لحــــت عــــمـــــن عــــن كـــــفـــــرى

* ابن اللبانة (محمد بن عيسى بن محمد، أبو بكر اللخمي):

الدانى (نسبة إلى مدينة دانة، بالأندلس) وكان شاعر المعتمدين عباد، وتوفى في سنة 507 [10]

أورد له ابن سناء الملك في «دار الطراز» ثلاث مرشحات الأولى (وتجئ بدورها في مجموعة «جيش التوشيح»):

عَلَى عيون العينْ رعىُ الدرارى مَنْ شَغَفَ بالحُبّ

الثانية (وترد كاملة في المغرب):

كم ذا يؤرّقُني ذو حدقْ مَرْضَى صحَاحَ لا يُلينَ بالأرقْ

والثالثة: (ومنها قطعة في «المغرب» وتجيء كاملة في «جيش التوشيح»):

كذا بقتادْ سنا الكوكب الوقّادْ إلى الجُلاّسْ مشعشةَ الأكواسْ

ومن أشهر موشحاته-وعارضها كثيرون-موشحة:

فــــــي نــــــرجــــــس الأحــــــقــــــادْ

وسَــــــوْسَــــــن الأجــــــيــــــادْ

نَــــبْــــتُ الــــهــــوى مــــغــــرُوسْ

بــــين الــــقــــنــــا المــــيّــــادْ [11]

ويستغرق الغزل جل الموشحة، ولكنه يختمها بمديح بني عباد.

وأشهر من الموشحة السابقة قوله:

هلا عَذُولي قد خلعتَ العذَار   لا اعتذَارْ   عن ظُبا الإنس وشُرْب العُقَارْ

وخرجتها بلغة الرومانث:

وغــادة تــشــكــو بــعــادَ الخــلــيــلْ

غُــدُوّهــا تــبــكــي ويــوم الــرّحــيــلْ

بــضــفَّــة الــبــحــر وظــلّــت تــقــولْ:

... امــار الــفــرار ولــيــش دمــار

ومن الموشحات المنسوبة لابن اللبانة، وترد في «توشيع التوشيح»[12] وفي «عقود اللآل في الموشحات والأزجال» [13] وفي غيرهما [14]

شــاهــدي فــي الحُــبّ مــن حُــرَقــي

أدمــعٌ كــالجــمــرْ تــنــذرفُ

تــعــجــز الأوصــافُ عــن قَــمَــر

خــدّه يَــدْمَــى مــن الــنّــظَــر

بَــشَــرٌ يــســمــو عــلــى الــبَــشَــر

قــد بــراه الــلــهُ مــن عَــلَــق

مــا عــسَــى فــي حُــســنــه أصــفُ

ويعد نموذجا للموشح «الشعري» بل لعله-إذا صحت نسبته لابن اللبانة- أقدم ما وصل إلينا من هذا النوع.

* ابن لبون (أبو عيسى، لبون): [14]

أمير مربيطر Murviedro

له في «جيش التوشيح» عشر موشحات من أجملها موشحته:

ما بدا منّ حالي   قد كفى عُذّالي   عاذلي لا تكثرْ   في الهوى تعذَالى

عَــذلَــكــم يُــغــريــنــي

فــانــتــهــوا عــن عَــذْلــي

كَــلَــفــي بــالــعــين

زَادَ فــي فــضــلــي

وموشحة:

مــن أطــلــعَ الــبــدرَ فــي كــمــال

غــصــنُ اعــتــدال

بمُــــهـــجَـــتـــي شـــادنٌ غـــريـــرْ
يـــجــورُ حــكـــمـــا ولا يُـــجـــيـــرْ
ومـــا ســـوى أدمـــعـــي نـــصـــيـــرْ
تـــفـــعـــل عـــيـــنـــاه بـــالـــرّجـــال
فـــعْـــلَ الـــعـــوال

وتنتهي-وكلها حول موضوع الحب-بالحبيب وقد لان بعد طول تدلل:

لـــلـــه يـــومـــا بـــه نَـــعـــمـــنْـــا
راق أصـــيـــلاً فَـــرَاقَ حُـــســـنـــا
عـــاتـــبـــتـــه مـــازحـــاً فـــغـــنـــى:
إيـــاكْ يـــغـــرنّـــك صـــرف مـــال
يـــا مـــن بـــدا لـــي [15]

وهذه الخرجة معربة، وفي موشحات ابن لبون ما تكون فيه الخرجات بالعامية مثل موشحة «كم ذا يعذل» وينتهي بالحديث عن هذه الحسناء التي:

تـــشـــدُو خـــلّـــهـــا
تـــدعـــوه لـــلـــوصـــل والـــعـــنـــاق:
ســـمـــارك حـــلـــوْ
انـــده مـــن شـــار بـــالـــعـــدد

كما أن لابن لبون موشحة ذات خرجة اختلطت فيها العربية بلغة الرومانث، وهي موشحة «شكا جسمي» وفيها تشدو المحبوبة حزنا لما علمت بما حل به:

عزيز مي كمد سيد يا قومْ تُرى باللّه سم الاسم ند رلو

* ابن الزقاق (أبو الحسن علي بن إبراهيم بن عطية) [16] المتوفي نحو سنة 530 هـ [17]: جاء عنه في «المسهب»):

«من فتيان عصرنا الذين اشتهر ذكرهم وطار شعرهم، وهو جدير بذلك، فلشعره تعشق بالقلوب، وتعلق بالسمع، وأعانه على ذلك مع الطبع القابل كونه استمد من خاله أبي إسحاق بن خفاجة ونزع منزعه».

ولسنا نملك شيئا ذا بال عن موشحات ابن الزقاق، باستثناء ما يجيء في «توشيع التوشيح» [18]، فقد عده الصفدي «ممن سبق إلى التوشيح،

وسبق إلى الغاية من أهل المغرب»، ونسب إليه موشحة (تجيء بدورها في مخطوطة «عقود اللال» [19] منسوبة كذلك لابن الزقاق) يقول فيها:

خُذْ حديثَ الشوق عن نفسي
وعن الدّمع الذي هَمَعَا
ما تَرى شوقي قد اتقدا
وهَمي بالدمع واطّرَدَا
واغتدى قلبي عليه سُدى
آه من ماء ومن قَبَس بين طرفي والحشَا جُمعَا

وهي موشحة رفيعة المستوى، من نوع «الموشح الشعري» فألفاظها غاية في الرقة ومعانيها تلفها غلالة من البساطة، والصور الخلابة، والنغم الحار

والمشكلة أن المصادر الأخرى لا يذكر فيها شيء عن موشحات ابن الزقاق، ولا يوجد إلا نص واحد منسوب له، وهذا النص نفسه يرد في «نفح الطيب» على أنه من موشحات ابن بقى [20].

وسواء كانت هذه الموشحة من شعر ابن الزقاق أو ابن بقى، فإنها تعد من عيون الموشحات الأندلسية، وخرجتها معربة، ينشد فيها العاشق:

أين ظبيُ القَفْر والكُنس
من عزال في الحَشَا رتَعَا

* ابن جاخ (الصباغ البطليوسي):

وصفه المقري بأنه «من أعاجيب الدنيا، لا يقرأ ولا يكتب» [21] وروي عنه أخبارا مع الوزير ابن عمار، تدل على سرعة بديهة، وحسن ارتجاله، كما أورد خبر قدومه إلى بلاط المعتضد بن عباد، وازدراء الشعراء به وسخريتهم منه، حتى جاءت ساعة الإنشاد، فإذا به يقول مدحة من عيون الشعر (ذكر المقري منها ثلاثة عشر بيتا) عندئذ قال له المعتضد: «اجلس، فقد وليتك رئاسة الشعراء، وأحسن إليه ولم يأذن في الكلام في ذلك اليوم لأحد بعده».

وقد ترجمت بعض المصادر لابن جاخ، ولكن أيا منها لم يذكر شيئا عن موشحاته، وعده الصفدي في «توشيع التوشيح» من المبرزين في هذا الفن الأندلسي [22].

* ابن الأرقم (أبو الاصبغ عبد العزيز بن محمد، النميري):

قال ابن الآبار في «التكملة» إنه كان:

«كاتبا بليغا شاعرا، أقام بدانية، عند إقبال الدولة على ابن مجاهد، ثم صار إلى المعتصم بن صمادح، فكان من وجوه رجاله، ونبهاء صحابة. وله رسائل وتأليف في الأدب. وتوفى في عهد المعتمد بن عباد» [23]

ووصفه المقري بأنه «كان آية الله تعالى في الوفاء»، وذكر خبر إعجاب المعتمد بن عباد به، وسعيه لضمه إلى دولته، ورفض ابن الأرقم وفاء منه لابن صمادح. وفي معرض الحديث عن موضحة الأعمى التطيلي «ضاحك عن جمان» يضيف المقري:

«وممن عارض هذه الموشحة ابن أرقم، إذ قال<:

مـــبَــسْــمُ الـــبــهــرمـــانْ
فـــي المُـــحَـــيّـــا الـــدرّي
صـــادَ قـــلـــبـــي وبـــانْ
وأنـــا لـــمْ أدْر [24]

وهذا كل ما يعرف من أمر موشحات ابن الأرقم. ولا يستبعد شترن [25] أن يكون المقري قد أخطأ عندما ذكر أن ابن الأرقم هو الذي عارض التطيلي، وأن يكون العكس هو الصحيح، على اعتبار أن ابن الأرقم أقدم عهدا من التطيلي، إذ كان الأول في أخريات عمره، عندما كان الثاني في سن الشباب.

* ابن الفرج (ذو الوزارتين أبو عامر): [26]

وزير المأمون بن ذي النون، ملك طليطلة ثم وزير ابنه عبد القادر.

ذكر ابن سعيد-نقلا عن «المسهب» أن بني الفرج كانوا من أعيان بلنسية «الذين توارثوا الحسب، وجلوا عن أن يحيط بهم نظم من الشعر أو نثر من الخطب، وما منهم إلا من تهادته الملوك..» ثم ذكر خبر تفرقهم على حواضر ملوك الطوائف، واستقرار أبي عامر بن الفرج في بلاط بني ذي النون، وأضاف:

«قال (يعني الحجاري، صاحب «المسهب:>) وله في التوشيح طريقة حسنة»، ولا نملك من هذه الموشحات شيئا.

* والحصري (أبو الحسن علي بن عبد الغني الفهري الضرير): [27]

وصفه صاحب الخريدة «بأنه» حب تصنيفات وتأليفات وإحسان في النظم» [28] (ولا ينبغي الخلط بينه وبين ابن خالته أو خاله أبي إسحاق

إبراهيم الحصري، صاحب «زهر الآداب»)، وأشهر ما عرف له قصيدته «يا ليل الصب» التي عارضها كثيرون في الماضي والحاضر.

والحصري ينتمي إلى مدينة القيروان، وتركها بعد المحن التي حلت بها واستقر فترة من الزمن في سبتة، وانتجع بلاط المعتمد بن عباد في اشبيلية، كما قصد غيره من ملوك الطوائف. وأقام في أخريات حياته بطنجة، وفيها توفى سنة 488 هـ.

وقد عده الصفدي في «توشيع التوشيح» «ممن سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغرب» (ولا يذكر غيره شيئا عن صلة الحصري بفن التوشيح) ونسب له موشحة هي:

مَنْ علّق القُرطا   في أذن الشعرى   وألحف المرّطَا الغُصنَ النّضرا [29]

وهي من غرر الموشحات الأندلسية، على الرغم من ثقل قافية الطاء التي تتخلل كل أقفالها. والمشكلة أن هذه الموشحة وردت بدورها في «جيش التوشيح» منسوبة لابن ارفع رأسه [30] وهي بموشحات هذا الأخير ألصق منها بالحصري، الذي لا يعرف له أي إسهام في مجال الموشحات.

● ابن نزار (أبو الحسن):

أحد الشعراء الأمراء، ذكر المقري في «النفح» [31] شيئا من أخباره، وقال انه «لما انتثر سلك نظام ملك لمتونة-(من البربر المرابطين) تفرق ملك الأندلس رؤساء البلاد، وكان من جملتهم الأمير أبو الحسن بن نزار، لما له من أصالة في وادي آش، فحسده أهل بلده، وقصدوا تأخيره عن تلك المرتبة، فخطبوا في بلدهم لملك شرق الأندلس «محمد بن مردنيش»، وانتهى الأمر بأن جيء به وهو في الأغلال إلى مرسيه، وأودع السجن ويضيف المقري أنه: «لم يزل على حاله في السجن إلى أن تحيل في جارية محسنة للغناء حسنة الصوت وصنع موشحته التي أولها:

نازَعَك البدرُ اللّياحْ

بِنْتَ الدّنان

فلم يَدّعْ لك اقتراحْ

على الزّمان

وفيها يقول:

يـــا هَـــلْ أقـــولُ لــــلـــحَـــسُـــودْ
والــــعـــيـــسُ تُـــحْـــدَى:
يـــا لائـــمـــي عـــلـــى الـــسّـــراحْ
كــــانــــت أمـــانـــي
أخـــرجـــهـــا ذاك الـــســـمـــاح
إلــــى الـــعــيـــان

وجعل يلقيها على الجارية حتى حفظتها وأحكمت الغناء بها، وأهداها إلى ابن مردنيش بعدما أوصاها أنها متى استدعاها إلى الغناء غنته بهذه الموشحة..، واتفق أن ظفر بما أوصاها به، وأحسنت غناء الموشحة، فطرب ابن مردنيش..» وفي بقية الحكاية أنه لما عرف أن الموشحة لابن نزار أمر على الفور بفك قيوده، وقال له: «يا أبا الحسن، قد أمرنا لك بالسراح على رغم الحسود، فارجع إلى بلدك، مباحاً لك أن تطلب الملك بها وبغيرها إن قدرت، فأنت أهل لأن تملك جميع الأندلس لا وادي آش» وقدر لابن نزار أن يتولى الرئاسة من جديد في وادي آش، والياً عن ابن مردنيش.

ويخلو المغرب من ترجمة لابن نزار ولكن ابن سعيد ذكر موشحة جميلة أولها:

اشربْ على نغمة المثاني   ثاني

قال إنها «لابن نزار، وتروى لابن حزمون»، وخرجتها:

يا ليلَة الوَصْل والسّعود   عُودي [32]

* الأعمى التطليلي [33]: (أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي):

نشأ بأشبيلية، وفيها عظم شأنه في الموشحات، ويقول ابن سعيد عنه في «المقتطف»-بعد أن ذكر ابن عبادة القزاز وابن رافع رأسه:

«ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة الملثمين، فظهرت لهم البدائع، وفرسا رهان حلبتهم الأعمى التطليلي ويحيى بن بقي. سمعت غير واحد من أشياخ هذا الشأن بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس بأشبيلية، فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها، فقدموا الأعمى للإنشاد فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضـــاحـــكٌ عـــن جُـــمـــانْ
ســـافـــرٌ عـــن بَـــدْرْ

ضـــــاقَ عـــــنـــــه الـــــزّمـــــانْ
وحـــــــــــواهُ صَـــــــــــدْري

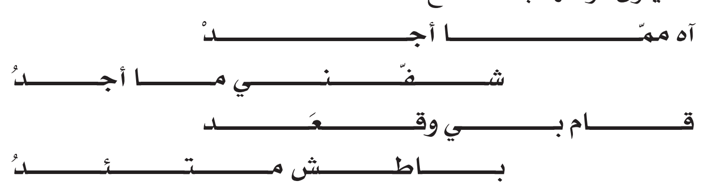
خرق ابن بقي وتبعه الباقون. (34)

والحق أن الأعمى التطيلي وصل إلى درجة لا نظن أن واحداً من الوشاحين بلغها من قبله أو من بعده، وربما احتاج الأمر إلى طول تحليل لكي يبرهن على صحة هذه النظرة، ولكن بحسبنا الآن الإشارة إلى أن لسان الدين بن الخطيب اختار له تسعة عشرة نصاً بينما لم يختر لأي من الآخرين أكثر من عشر موشحات (هذا إذا افترضنا أن جيش التوشيح وصل إلينا كاملاً) وقدم لموشحات التطليلي بقوله:

«أي آية أعجاز، وتطويل في البراعة وإيجاز، وألفاظ أرق من الهواء، مقسم البدائع بالسواء، من اختراع في الطرائق، والسبك البديع والمعنى الرائق، حتى صار توشيحه مثلاً في سائر الناس. وهاك من توشيحه ما يرف نسيمه ويروقك»

وقد سلم للتطليلي عدد كبير من الموشحات، يجدها القارئ في ديوانه، (اثنان وعشرون موشحاً) (35)، وترد مبعثرة في مصادر مختلفة، أهمها إلى جانب «جيش التوشيح» مجموعة دار الطراز وبها ست موشحات يرجح أنها للتطليلي (وابن سناء الملك لا ينسب الموشحات التي يوردها ولكن هناك قرائن تدل على أنها من موشحات التطليلي) كما يذكر ابن سعيد بعضاً منه في «المغرب»، ويتفرد «توشيع التوشيح» بإيراد موشحة، «يا نازح الدار سل خيالك».

وأجمل موشحات التطليلي هي «ضاحك عن جمان» التي مر مطلعها، وقد وصفها ابن سعيد بأنها «موشحة مشهورة». وهي أول نص يسوقه ابن سناء الملك، وما أكثر ما عارضها الوشاحون على مر العصور. والنص-وموضوعه الغزل-يتدفق في سلاسة وعذوبة ألفاظ وبساطة لا يقدر عليها إلا القليلون. ومنها بعد المطلع:


آه ممّـــــــــا أجـــــــــدْ
شـــــفّـــــنـــي مـــــا أجـــــدُ
قـــــام بـــــي وقـــــعَـــــد
بـــــاطـــــش مـــــتـــــئـــــدُ

كـــــلّـــــمــــا قـــــلـــــتُ قـــــدْ..

قـــــالَ لـــــي أيـــــنَ قـــــدُ؟

وانـــــثـــــنَـــــى غُـــــصْـــــنَ بـــــانْ

ذا فـــــنن نَـــــضْـــــر

لاعـــــبـــــتـــــهُ يـــــدانْ

لـــــلـــــصّـــــبـــــا والـــــقَـــــطْـــــر

ولها خرجة بالعامية. وهناك موشحات لها خرجات بالفصحى، أما موشحة:

دمعٌ سفوحٌ حرارٌ ماءٌ ونارٌ ما اجتمعا إلا لأمر كبارٌ

فان خرجتها بلغة الرومانث، وترد في «جيش التوشيح» على هذا النحو:

ما والحبيبٌ دمو صار فادّر شنارٌ بنفس آست كسادمو عارٌ

ووردت في «عدة الجليس:

مـــو الحـــبـــيـــبْ انـــفـــرد ذي مـــوأمْـــر

كن دشـتـر ننـفـيـس امـبـي كـسـد نـولـيـغـر

وترجمها غومث على النحو التالي:

حبيبي مريض بسبب الحب-وكيف لا يكون ذلك؟ ألا ترى أنه لن يرجع إلي أبداً؟

Mev'l habib enfermo de meu amar

Que no d'estar ?

Non yes a mib que se ha de no llegar

* الأبيض (36) (أبو بكر محمد بن أحمد، الأنصاري، الاشبيلي):

جاء عنه في «المغرب»-نقلا عن «المسهب»-: أصله من قرية همدان، وتأدب باشبيلية وقرطبة، وهو شاعر مشهور.. «قتل على يد أمير قرطبة سنة 525 هـ»، أو نحو ذلك. (37) قال لسان الدين بن الخطيب عن موشحاته: «.. صقل ألفاظه وجلاء، وهو في التوشيح ابن جلا، فقلد الزمان حليه، وأمطر بروض الإحسان وسميه ووليه، فاخترع وولده، واشتمل بالسحر وتقلد، ونظم شعره وتوشيحه في قالب الأعجاز» (38)

أما ابن سعيد في «المقتطف» فيسوق هذا الخبر:

«وأخبرني أبو الخصيب بن زهر أنه جرى في مجلس أبي بكر بن زهر

لأبي بكر الأبيض الوشاح المتقدم الذكر فغض منه أحد الحاضرين فقال: كيف تغض ممن يقول:

مـــــا لــــــذ لــــــي شُـــــربُ راح
عـــــلَــــى ريـــــاض الأقــــــاحْ
لـــولا هـــضـــيـــم الـــوشـــاح
إذا انـــثـــنـــى فـــي الـــصـــبـــاح [39].. الـــخ

ولعل هذه الموشحة كانت النص الوحيد المعروف من موشحات الأبيض، قبل أن يزاح النقاب عن مجموعة «جيش التوشيح»، التي تضم عشر موشحات من نظمه، من أجملها موشحة:

مَـــنْ ســـقـــى عـــيـــنـــيـــكَ كـــأسَ المُـــدّامْ
يـــا مـــنَـــى المُـــسْـــتـــهـــامْ
رشـــأ أســـهـــرنـــي وهـــو نـــائـــمْ
رق لـــي والمـــوتُ بـــين الحـــيـــازمْ
عـــجـــبـــاً مـــن دمـــعـــه وهـــو بـــاســـم
خـــنـــثٌ يمـــزجُ تحـــت الـــلـــثـــامْ
عـــبـــرة بـــابـــتـــســـامْ

وفيها مقطع في مدح وزير صاحب قرطبة، والخرجة تأتي هنا-لا على لسان العاشق أو المحبوبة أو الحمام، بل على لسان مدينة غرناطة:

شَـــرُفَ المـــلـــكُ بـــه حـــين حـــاطَـــهْ
فـــشـــدَت وجـــداً بـــه غـــرنـــاَطـــه
إذْ تـــوخّـــى بـــســـواهـــا ارتـــبـــاطَـــهْ:
كـــلّ يـــوْم أقـــريـــكْ يـــا حـــبـــيـــبْ ســـلامْ
ونـــســـيـــتْ أنـــتَ ذمـــامْ! [40]

* ابن رحيم (ذو الوزارتين، المشرف، أبو بكر محمد بن أحمد) [41] المتوفى نحو سنة530 هـ:

جاء عنه في «قلائد العقيان»-ونقل عنه ابن سعيد في «المغرب»-

«رجل الشرف سؤددا وعلاء، وواحده اشتمالا على الفضل واستيلاء. استقل بالنقض والابرام، وأوضح رسم المجاملة والإكرام» ولا يعرف-على وجه التحديد، تاريخ مولده، أو وفاته، لكن ابن سعيد ذكر له مطلع قصيدة

قالها في مدح تميم بن يوسف بن تاشفين:

علـى المـرهـفـات الـبـيـض والـسـمـر المـلـد

تـــدور رحـــى المـــلـــك المـــتـــوج بـــالمحـــد

وذكر له الفتح في «القلائد»-ونقل عنه العماد الأصفهاني في «الخريدة»- قصيدة مدح بها الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين سنة خمس عشرة وخمسمائة وفي «الخريدة» كذلك: «ذكره لي الفقيه أليسع بمصر، قال: أدركته سنة عشرين وخمسمائة» [42]

وقد عده الصفدي في «توشيع التوشيح» من كبار وشاحي أهل المغرب والأندلس، ولدينا له في «جيش التوشيح» عشرة نصوص تعد من عيون الموشحات من ذلك:

مَنْ صَبا كما أصبو فهو للصّبا نهبُ واعلم أيها القَلبُ

لو أذابكَ الحَزَنْ ما حييتُ لا أسلو اقض في الهوَى عزمَكْ

لا يـــــضُـــــرُك الـــــعَـــــذَلُ

كتمكَ الهوى حُرَق هكذا حَكَت فرقُ أنّهم متى علقوا

وسباهُم الحُسْنُ بُرّحوا به قبلُ إنني أرى كتمكْ للهوى هو الذُلُّ

وخرجتها عامية. وهناك موشحتان أخريان تختمان بخرجتين بلغة الرومانث، وقد مهد لأحدهما (موشحة: من لقلبي بإدراك الوصال) بقوله:

وفـــتـــاة ذات حُـــسْـــن بَـــهـــيّ

أعـــريَـــتْ عـــن مـــنـــطـــق أعـــجـــمـــيّ

تـــتّـــقـــي مـــنـــع الجَـــمـــال الـــسـنـــي

لمـــــرنـــــي اوكـــــدش دبـــــيـــــب

حـــســـب ســـم بـــغـــا درد مـــســـيـــد

ومعظم خرجات ابن رجم تأتي على لسان المحبوبات كما في المثال السابق وكذلك موشحة «نسيم الصبا» وفي خاتمتها يأتي له المحبوب ليغنيه:

لأيّ قـصــهْ تـبـيــتْ وحـدكْ وأنـا وحــدي

كمـا بـتّ عـنـدك حـتـمـا تـبـيـت عـنـدي [43]

ابن باجة (أبو بكر محمد بن الحسين، و يسميه الأوروبيون Avenpace المتوفى في سنة 533 هـ) [44]

قال عنه ابن سعيد في المغرب: «فيلسوف الأندلس وأمامها في الألحان..

أطنب في الثناء عليه صاحب المسهب والسمط، وكان جليل المقدار، وقد استوزره أبو بكر بن تيفلويت ملك سرقسطة، وأكثر ابن باجة من رثائه وغنى بها في ألحان مبكية».

وليس في «المغرب» إشارة لعلاقة ما بين ابن باجة والموشحات، وقد جاء في «المقتطف»-ونقل عنه ابن خلدون والمقري:-

«وكان في عصره (يعني عصر ابن بقى) من الوشاحين المطبوعين، وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة صاحب التلاحين المشهورة. ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحة فيها:

جَــــــرّرِ الـــــــذّيــــــلَ أيمّـــــــا جـــــرّ

وصـــل الــــسُّـــكْــرَ مــــنــك بـــالـــسُّـــكْــر

طرب الممدوح. ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين:

عـــقــــد الــــلــــــهُ رايـــةَ الـــنـــصـــر

لأمــــــيـــــر الــــعُـــلَـــى أبـــى بــــكْـــر

صاح: واطرباه، وشق ثيابه، ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلّفه بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب، خاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهبا في نعله ومشى عليه» [45]

والمشكلة أن هذه الموشحة ترد في «جيش التوشيح»(46) منسوبة لأبي بكر يحيى الصيرفي، وزير صاحب غرناطة، وربما قيل أن كلام ابن سعيد أرجح، على اعتبار انه اسبق زمناً من لسان الدين بن الخطيب، وأن ابن باجة توفى سنة 533 هـ بينما توفى ابن الصيرفي بعد هذا التاريخ بربع قرن تقريباً، ومع ذلك فانه ليس من اليسير الجزم بشيء في هذا الصدد، لأننا لا نجد لابن باجة موشحات غير هذا النص، ولان عبارة ابن سعيد نفسها فيها قدر من الإبهام، إذ لا تتحدث عن ابن باجة كمؤلف للموشحة، بل تقول إنه علّم قينات ابن تيفلويت إنشادها، فكأن ما يثبت من العبارة أن ابن باجة وضع لهذه الموشحة لحنا، ويبقى التساؤل قائما-بلا جواب-عن واضع الموشحة نفسها.

ونضيف في النهاية أن ابن باجة ينعت في بعض المصادر بابن الصايغ [47] فهل للتشابه بين (ابن الصيرفي) و (ابن الصايغ) أثر في الخلط بينهما؟ خاصة وأن اسم الأول (أبو بكر يحيى بن محمد) والثاني (أبو بكر محمد بن

يحيى)؟

* الكميت (48) (أبو عبد الله [49] محمد بن الحسن البطليوسي): له في «جيش التوشيح» عشر موشحات، من أشهرها:

سَـــــرَى طـــــيـــــفُ الخَـــــيَـــال

مـــــن أمّ جُـــــنْـــــدُب

وقد جاء منها في «المغرب» قسم لا بأس به.

وجل موشحات الكميت تدور حول موضوعات الحب والمديح، وإن كان الوصف يستغرق معظم موشحته:

لاحَ لـــلـــروض عـــلـــى غـــرّ الـــبـــطـــاحْ

زَهَـــــرُ زاهـــــرُ

وثـــنـــا جـــيـــداً مـــنـــعّـــم الأقـــاحْ

نَـــوْرُهُ الـــنـــاضـــرُ

زارنـــي مـــنـــه عـــلـــى وجـــه الـــصّـــبـــاحْ

أرجٌ عـــاطـــرُ

ولكنه ينثني بعد الوصف إلى الدعوة للشراب من سلافة دنان:

كـــأنـــهـــا مـــبَـــســـمُ طـــفـــلـــة رداحْ

نـــاعـــمُ الـــقَـــدّ

تمـــزجُ الـــراحَ بـــريـــقـــهـــا الـــقُـــراحْ

شـــيـــبَ بـــالـــشّـــهـــد

وفـــتـــاة فـــنّـــنَـــتْ بـــحُـــســـنـــهـــا

وتـــثّـــنـــيـــهـــا

تـــشـــتـــكـــي طـــولَ جـــفـــاء خـــدْنـــهـــا

حـــيـــن يُـــؤذيـــهـــا

وتُـــغَـــنـــي بـــرفـــيـــع لحـــنـــهـــا

ومـــغـــانـــيـــهـــا

ذبـــت والـــلـــه اســـى (50) نـــطـــلـــقْ صـــيـــاح

قـــد كـــســـْـــر نـــهـــدى

وعـــمـــلْ لـــي شـــفـــيـــفـــاتـــي جـــراحْ

ونَـــثَـــرْ عـــقـــدي

وتأتي الخرجة في بعض الأحايين بلغة الرومانث، مثل قوله في موشحة «لواحظ الغيد:<

لا كـــــان فـــــي بـــــون أســـــى مـــــرور

بمـــا

الـــــوذ ســـــم نـــــون مـــــومـــــر زيـــــر

يـــــــــــــا امـــــــــــــــــــا

وموشحات الكميت مفعمة بالحيوية والرشاقة، و بخاصة في خرجاته التي تذكر-من بعض الوجوه-بحيوية أزجال ابن قزمان، وقدرته على التقاط الأشياء الصغيرة الموحية.

● ابن بقى [51] (أبو بكر يحيى بن عبد الرحمن):

وتختلف المصادر في تحديد بقية اسمه، كما تختلف في ذكر البلد الذي ينتسب إليه، ففي «المطمح» و «الذخيرة» و «الوفيات» و «معجم الأدباء» انه قرطبي، ونسبه الحافظ السلفي إلى سرقوسة، وفي «المغرب» و «التكملة» أنه من طليطلة، أما ابن الزبير صاحب «صلة الصلة» فينسبه إلى «وادي آش» (Gaudix). وتعليل ذلك أن ابن بقى ما كان يستقر في مكان. وقد وصفه صاحب «القلائد» بأنه «ضفا عليه حرمانه، وما صفا له زمانه، فصار قعيد صهوات، وقاطع فلوات، مع توهم لا يظفره بأمان وتقلب دهر كواهي الجمان» [52]. وتوفى ابن بقى سنة 540 هـ أو نحو ذلك [53].

ولدينا من شعر ابن بقى قدر لا بأس به، يصلح أن يجمع في ديوان، أما موشحاته فكانت كثيرة للغاية، وفي «الخريدة»-نقلا عن ابن بشرون صاحب «المختار في النظم والنثر لأفاضل أهل العصر»-وهو مفقود-أن «جل شعره من التوشيح، وله ما ينيف على ثلاثة آلاف موشحة، ومثلها قصائد ومقطعات منقحة» [54] ويقول لسان الدين بن الخطيب عن موشحات ابن بقى:

«رب الصنعة ومالكها وناهج الطريقة المثلى وسالكها. أكثر فأجاد، وتقلد ذلك الصارم المحلى والنجاد، بما اخترع فيه من الشعر وابتدع.. وكثرة توشيحه وإحسانه في تنميق الكلام وتوشيحه».

وقد تحدثنا من قبل عن مكانة الأعمى التطيلي في الترشيح، و ينبغي أن نقول هنا إن منزلة ابن بقى لا تقل عن منزلة التطيلي، وقد بلغا معا (ومن

بعدهما ابن زهر، وسيأتي) درجة عالية من السلاسة والرقة والموسيقية والصفاء.

ولم يصل إلينا من موشحات أبي بكر بن بقى إلا شيء يسير وضاع-إذن- الجانب الأكبر من آثاره (وإن كنا لا نكاد نصدق قول ابن بشرون، فما نظن أن شاعراً بعينه يمكن أن يؤلف ثلاثة آلاف موشحة) وترد معظم الموشحات في «دار الطراز» (عشر موشحات) و «جيش التوشيح» (عشر موشحات، عدد منها مما جاء في الدار)، ولم يجيء له في «المغرب» إلا قسم من موشحه «ما الشوق إلا زناد» وعلق د. شوقي ضيف بهامشها: «يبدو من نهاية هذه الموشحة أن خرما تلاها، سقطت فيه بعض الموشحات لابن بقى»[55] وهو افتراض نأخذ به، لأننا لا نتصور أن ابن سعيد يكتفي بأن يورد قسما واحدا من موشحة لابن بقى وهو من هو شهرة وأصالة.

ومن موشحات ابن بقى التي تجيء في «دار الطراز» واحدة أولها:

أعجبُ الأشْياء رعيي ذمامْ مَنْ أبَى الرّعيا وَشاء حمامي

تمّ مــــا قـــــدْ تَـــمْ

مــــن حُــــبّ المـــــلاحْ

لـــيـــس مـــن تُـــيّـــمْ

كـــمَـــنْ هـــو صــــاحْ

مــــا تُــــرَى أســـلَـــمْ

مــــنْ مَــــرْضَــــى صـــحــــاحْ

فَــــوّقَـــتْ أســـهُـــمْ

لـــلـــحَــيْـــن المُـــتـــاحْ

والخرجة معربة:

إنّما يَحْيَى سليلُ الكرامْ واحدُ الدّنيا ومعنى الأنامْ [56]

ومن موشحاته الأخرى الشهيرة: «مالي شمول» وموشحة:

لـــسْـــتُ مـــنْ أســـر هـــواكَ مُـــخَـــلاّ

إنْ يــكُــنْ ذا مــا طــلــبــتُ سَــرَاحــاَ [57]

وجعل خرجتها بيتا لابن المعتز:

عـــلّـــمـــونـــي كـــيـــفَ أســـلُـــو وإلاّ

فــاحــجُــبــوا عَــنْ مــقــلــتــيّ المــلاحــاَ

وقد عارضها كثيرون. ومن أجمل موشحاته مما يرد في «جيش التوشيح:<

ساعدونا مصبحينا نرتشفْها قد ظمينا كنُضار في لُجيْن نعْمَ أجْر العاملينا

وأجمل ما فيها خرجتها، وهي غير معربة، يقول فيها العاشق لمجرد إقلاق الحسود:

قد بُلينا وابتُلينا واشْ يقول الناسُ فينا قم بنا يا نور عيني نجعَل الشّك يقينا

وهناك موشحة مشهورة مطلعها:

أعيا على العُودْ رَهينَ بلْبال مُؤرّقْ.. الخ

وخرجتها:

أما ترى أحمدْ في مجده العَالي لا يُلْحَقُ

أطلَعَهُ الغَرْبُ فأرنا مثلَه يا مَشْرقُ

وقد جعلها صاحب «جيش التوشيح» ضمن موشحات الأعمى التطيلي، أما ابن سعيد فيجلعها لأبي بقى.[58]

● المرسي الخباز (أبو الوليد يونس بن عيسى):

شاعر وشاح، لا يكاد يعرف عنه شيء، قال عنه محقق جيش التوشيح: «لا توجد له ترجمة في أي مرجع مطبوع-على ما نعلم-ويستنتج من الترجمة الفريدة التي أثبتها ابن الخطيب في جيش التوشيح هذا أن أبا الوليد لم يتتلمذ على أحد، ولا اختلف إلى مدرسة..

وقد ورد ذكر هذا الوشاح في كتاب المطرب عرضا، إذ ذكره ابن دحية ضمن من قرأ عليهم الوزير الشاعر محمد أبي العافية الازدي القتندي الغرناطي»[59] و «في» زاد المسافر «بعض مقتطفات من شعره. والنبذة التي جاءت في «جيش التوشيح» لا تقدم شيئا ذا بال، سوى أن المرسي الخباز أديب من عامة الشعب علم نفسه بنفسه، حتى «عذب سبكه وراق ترصيعه وحبكه مع طبع في نظم الكلام سيال... والذي حداه الاختراع والتوليد... ذكاء أرهف فؤاده، وأقام في البديهة منآده».

وذكر لسان الدين بن الخطيب له عشر موشحات لعل أجملها موشحته:

من لي بظبي ربيب يسطو بأسد الغياض لوى بديني لما أملته للتقاضي

وترد بدورها في مجموعة ابن بشرى «عدة الجليس»[60] وتدور كلها حول موضوع الغزل وتختم بـ:

لـــــلّــــه ظــــبْــــيــــةُ
قـــد رُوِّعَـــتْ بـــالـــفـــراق
بـــنـــتُ ثـــلاث وعَـــشْـــر
تُـــســـيـــلُ دمـــعُ المـــآقـــي
تـــقـــولُ فـــي حـــال سُـــكْـــر
لأمّـــهـــا فـــي اشـــتـــيـــاق [61]

يامم مو الحبيب   تيبش أن نزترباض   غار كفري ياmما   أنن يجنال للشاض [62]

وموشحات المرسي الخباز مفعمة بروح التدفق والعذوبة، وهي لا تقل في انسجامها عن أعمال مشاهير الوشاحين.

● ابن ينق (أبو عامر، محمد بن يحيى بن محمد بن خليفة، الطبيب، الوزير) [63]:

أحد الشعراء العلماء من أهالي شاطبة جاء عنه في «التكملة» أنه تلقى العلم في قرطبة، ومال إلى الأدب، والعربية، والعروض، فمهر في ذلك، و بلغ الغاية من البلاغة في الكتابة والشعر، ولقي أبا العلاء ابن زهر، فلازمه مدة، وأخذ عنه علم الطب. وفي «الخريدة:

«قال أليسع: طبيب كاتب شاعر، وأنا اروي عنه شعره كله وأجازني، ومصنف «القلائد» وصفه بالذكاء الباهر، والذهن الزاهر، والفهم الحاضر وحدة القريحة والخاطر»، وتوفي ابن ينق سنة 547 هـ.

أما في مجال الموشحات فإن الصفدي عده ممن «سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغرب» (64(ولكن أعماله في هذا المجال ضاعت ولم تحفظ منها إلا عشرة نصوص ضمتها مجموعة «جيش التوشيح» ومن غريب الأمر أن ابن الخطيب صدرها بقوله:

«وشعره رائق المحيا والأقسام، مسفر عن المعاني والوجوه الوسام، إلا أنه قليل المادة في التوشيح، يسير السبك له والتوشيح» والذي نظنه أن موشحات ابن ينق فيها الطواعية والتناسق والعذوبة، فن ذلك:

يا حا دي العيس بالرّحال   عُجّ بالطلوّلْ   وسَلْ بها بالأربُعَ البَوالي   أين الخليلْ
حُـــثـــت بـــه الـــبُـــزْلُ والـــعـــشـــارُ
يـــومَ الـــنّـــوى

يـــا هَـــلْ لـــه الـــعَـــقـــيـــق دارُ
أم بـــــــــالـــــــــلّـــــــــوى
أمـــنّـــه بـــالـــوابـــل الـــقَـــطـــار
حـــــــــيـــــــــثُ ثَـــــــــوى

وجادَهُ الغَيْثُ بانهمال كُلّ أصيلْ يَحْدُوه من نفحة الشّمال ريحُ أصيلْ

والموشحة-من مستهلها إلى نهايتها-يسيطر عليها جو عذري بدوي شفيف.

والملحوظ أن خرجة موشحة «شم ذائب العسجد»

أما ترى السيّدْ في المُرتَقَى العالي لا يُلْحَقُ
كان له الغَرْبُ إذْ حازَهُ كُلّهُ والمَشْرِقُ

تتشابه وخرجة موشحة «أعياد على العود» التي تنسب في العادة لابن بقى [56] وجعلها صاحب «جيش التوشيح» للأعمى التطيلي.

* ابن سعيد (أبو جعفر أحمد بن عبد الملك) المتوفى سنة 550 هـ [66]:

هو عم علي بن موسى بن سعيد مؤلف «المغرب» وكان أديباً شاعراً، ولاه عثمان ابن عبد المؤمن الوزارة، ثم قتله لما كان من اشتراكهما في حب حفصة الشاعرة، وانتهز ابن عبد المؤمن فرصة فرار عبد الرحمن (شقيق أبي جعفر بن سعيد) إلى ابن مردنيش ملك شرق الأندلس، فضرب عنقه.

وله في «المغرب» مرشحة وصف فيها حور مؤمل، وهو من متنزهات غرناطة، وأول الموشحة:

ذهَـــبـــتْ شـــمـــسُ الأصـــيـــل
فـــضّـــة الـــنّـــهـــر
أيّ نـــهـــر كـــالمُـــدَامـــه
صـــيّـــر الـــظـــلّ فـــدامـــه
نـــسَـــجـــتـــهُ الـــرّيـــحُ لامَـــهْ
وثَـــنَـــتْ لـــلـــغُـــصْـــن لامَـــهْ
فـــهـــو كـــالـــعَـــضْـــب الـــصّـــقـــيـــل
حُـــفَّ بـــالـــسّـــمْـــر

وقد مزج فيها المؤلف الوصف بالحديث عن الشراب ثم انتهى إلى ذكر المحبوب:

وَعَـــدَ الحـــبّ فـــأخْـــلَـــفْ

واشـــتــهـــى المَــطْـــلَ فــــســـوّف
ورســـــولـــــي قـــــد تـــــعَـــــرّفْ
مــــنـــــه مـــــا أدري فــــحـــــرّفْ:
بــــالــــلــــه قُـــلْ يــــا رســــولـــــي
لـــــش يـــــغـــــب بـــــدري؟

● ابن هانئ الأصغر (أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن مفضل الأزدي الأندلسي): ذكره الصفدي في «التوشيع» (67) من بين مشاهير وشاحي الأندلس، أما العماد الأصفهاني فإنه تحدث عنه في القسم المصري من «الخريدة» وقال إنه «معروف بالنظم المهذب وتوفى في آخر أيام الصالح بن رزيك، قبل سنة ستين على ما سمعته من المصريين، وطالعت ديوانه بمصر (68)، ولم يؤرخ له الصفدي في «الوافي» كما لم يذكره القفطي في «المحمدون من الشعراء»، ولعله ممن هاجر من أهل الأندلس إلى مصر.

ورجح الزركلي (69) أنه توفى نحو سنة 555 هـ، وهو ترجيح مقبول.

* ابن قزمان (أبو بكر محمد بن عيسى بن عبد الملك بن عيسى الأصغر) المتوفى سنة 555 هـ (70):

أحد مشاهير الأدب الأندلسي وفيه يقول ابن سعيد في «المغرب:< إمام الزجالين بالأندلس. وذكر الحجاري أنه كان في أول شأنه مشتغلا بالنظم المعرب، فرأى نفسه تقصر عن أفراد عصره كابن خفاجة وغيره، فعمد إلى طريقة لا يمازجه فيها أحد منهم، فصار إمام أهل الزجل المنظوم بكلام عامة الأندلس».

ووصفه المقري بـ «صاحب الموشحات» (71) ولعله كان يعني «الأزجال» لأنها الفن الذي اشتهر به ابن قزمان، ومن جانب آخر فإن مفهوم الموشح سيختلط في بعض الأحايين بمفهوم الزجل في العصور المتأخرة وسنرى أن المقري يصف الزجال مدغليس قائلاً إنه «صاحب الموشحات» كما أن الحلي في (العاطل الحالي) يقول إن أهل العراق لم يكونوا يميزون بين الموشحات والأزجال وفيه أن ابن قزمان:

«نظم موشحة معربة خمسة أبيات، وأثبتها في ديوانه، ولم يسلم له منها بيت من التزنيم (أي وجود كلمات غير معربة في ثنايا الموشحة) والموشحة

المقصودة تبدأ بـ:

مَعْشَرَ العُذّل * بي منَ الأقمار * أغصنٌ ميّادَةْ * مسّنَ في أكفال

قـــد جـــنَـــى مَـــنْ لامـــا

كُـــلّ عـــان صَـــبّ

بـــبُـــدور ذا مـــا

طـــلـــعـــتْ فـــي قُـــضْـــب

مـــنْ قُـــدود هـــامـــا

فـــي هَـــواهـــا قـــلْـــبـــي

رَبّة الخَلْخال قد براها الباري لعَذابي غادةْ هَيّجتْ بلْبالي

وهذه الموشحة ذات خرجة غير معربة، ويقول الحلي إن كل بيت فيها لم يخل من التزنيم والألفاظ الزجلية، وهو غير معذور فيها، والبيت الذي أوردناه «فيه لفظة ذا ما يريد بها إذا ما، وهي زجلية لا تجوز في الموشح أبداً وربما لم يكن هذا بالعيب الخطير لو أن هذه الموشحة المنسوبة لابن قزمان قد حفلت بما في أزجاله من حيوية وعذوبة وظرف نفتقده في هذه الموشحة.

● مدغليس (عبد الله بن الحاج) المتوفى سنة 555 هـ [72]:

نعته المقري في «النفح» بـ «صاحب الموشحات» ولا يستبعد أبداً أن يكون صواب النعت «صاحب الأزجال» فهذا هو الفن الذي برز فيه مدغليس والمقري نفسه يقول:

«وكان مدغليس هذا مشهوراً بالانطباع والصنعة في الأزجال، خليفة ابن قزمان في زمانه، وكان أهل الأندلس يقولون: ابن قزمان في الزجالين بمنزلة المتنبي في الشعراء، ومدغليس بمنزلة أبي تمام بالنظر إلى الانطباع والصنعة، فابن قزمان ملتفت إلى المعنى، ومدغليس ملتفت إلى اللفظ. وكان أديباً معرباً لكلامه مثل ابن قزمان ولكنه لما رأى نفسه في الزجل أنجب اقتصر عليه».[73]

وكان لمدغليس أزجال رآه الصفي الحلي ونقل عنه عدداً من الشواهد أودعها «العاطل الحالي» كما جاء بعضها في سفينة ابن مباركشاه [74] وفي «المغرب».

ولا نعرف معنى كلمة مدغليس، والحلي يزعم أنها اسم «مركب من كلمتين، أصله: مضغ الليس، والجمع ليسة، وهي ليقة الدواة، وذلك أنه كان صغيراً بالمكتب يمضغ ليقته، فسمى بذلك، ولسان المغاربة والمصريين يبدلون الضاد دالاً» [75]

● ابن مسلمة القرطبي (أبو الحسين) [76] المتوفى سنة 585 هـ

● ذكر ابن سعيد في «المغرب:< «وله رسائل وموشحات وأزجال»ولم يصل إلينا من موشحاته. إلا قطعة من موشحة في وصف وادي رية (قرب مالقة)، أولها:

بـــــــــــــــــوَادي رَيّـــــــــــــــــة
اخْــــلَــــعْ عــــذارَ الـــــتّـــصــــابــــي
أمـــــا تَـــــرَى مُـــــفْــــرَع
مـــثــــلَ الـــصـــبـــاح المُــــرَصّـــعْ
بـــالــــرّوْض عـــــادَ مُــــجَـــزع
ســــــــقــــــــاه ريّــــــــــةٌ
مـــن صـــفـــو مـــاء الـــسّـــحـــاَب

وهناك بعد الوصف مقطع خمري، ثم تأتي الخرجة، على لسان هذا الشادن (حلو الهوى متماجن) الذي:

يُـــــنـــــــادي ســــــيّـــــــة
يـــا عـــم احـــرزْ ثـــيـــابـــي

وفسر ابن سعيد النداء بأنه «من اصطلاح الصبيان الذين يسبحون هنالك».

● ابن الصيرفي [77] (أبو بكر يحيى بن عمد بن يوسف الأنصاري) المتوفى سنة 557 هـ:

ذكره ابن سعيد في «المغرب» تحت اسم أبو بكر يحيى بن الصيرفي المؤرخ الغرناطي، وأضاف: «أخبرني والدي أن له تاريخا ومرشحاته مشهورة..» وأشار ابن الآبار في «التكملة» إلى تاريخه هذا الذي وضعه في ذكر الدولة اللمتونية.

أما لسان الدين بن الخطيب في «الجيش» فيلقبه بـ «الوزير» إذ كان من كبار رجال دولة اللمتونيين (المرابطين) وقال إن «له في الدولة اليوسفية مدائح لاختصاصه بأربابها وتعلقه بأسبابها» [78] وذكر له عشر موشحات، هناك اثنتان منهما محل خلاف، الأولى وأولهما:

جَـــزِّرِ الـــذيـــلَ أيّـــمـــا جَـــرّ

وصــل الــسُــكْــرَ مــنــك بــالــسّــكــر

فقد جعلها ابن سعيد في «المقتطف» (ومن نقل عنه كابن خلدون والمقري) للفيلسوف أبي بكر بن باجة [79] والثانية موشحة:

شَـــقّ الـــنّـــســـيـــمُ كـــمـــامَـــهْ

ونسبها الصفدي في «الوافي بالوفيات» [80] لابن اللبانة.

ومن موشحات ابن الصيرفي واحدة تتضمن مديحا في تاشفين وأولها:

رَوْضة زَبَرْجَديّةٌ ونَسيمٌ يَتَبخْتَرْ في غلائل نَديّة أشربت مسْكاً وعَنْبَرْ

سُـــحـــبٌ مـــنْ لازَوَرْد

وبُـــروقٌ مـــنْ نـــضـــار

كـــلّـــمـــا أتـــتْ بـــوعـــد

كُـــحّـــلـــتْ بمـــثـــل نـــار

فـــبـــكـــت مـــن مَـــاء وَرْد

فـــي خُـــدود مـــن بَـــهـــار

ولا يكاد يمضي فيها قليلا في الوصف حتى ينفلت منه إلى المديح الذي يمتد إلى نهاية الموشحة:

فـــانـــبـــرى الـــكُـــلّ يـــنـــادي

وصـــفَ مـــرآةُ الجـــمـــيـــلْ

يا حمَى المُلك عَشيّةٌ وعلى الجَواد الأشقر غرةُ الشمس المُضيّة

تاشفين الله اكبرْ

ومن موشحاته الجميلة موشحة «طلعت من مباسم الزهر» وكلها تدور حول الغزل (في المذكر) وفي خاتمتها:

قـــد دعـــانـــي إلـــى الـــهَـــوَى داعـــي

فـــأجـــبـــتُ الـــهَـــوَى

أمّـــنَ الـــلـــــــــــهُ كُـــلَّ مـــــرتــــاع
مـــــنْ حُـــلـــــــول الــــنّـــــوى

أنت يا مهجتي به همت فاجملي[81] واصبري ثم يا عين أنت أبصرت فادمعي واسهري

● عصا الأعمى (أبو القاسم بن أبي طالب الحضرمي المنيشي):

ينسب إلى قرية منيش، من كورة اشبيلية، ولقب بعصا الأعمى لأنه كان يقود الأعمى التطليلي.

أرخ له كثيرون، منهم ابن دحية في «المطرب» وابن سعيد في «الرايات» وفي «المغرب» والفتح بن خاقان في «المطمح» وقال عنه إنه «لم يزل يعشو لكل ضوء، وينتجع مصاب كل نوء، فيوما يخصب ويوما يجدب، وآونة يفرح أخرى ينتدب.. وما تصوف إلا في أنزل الأعمال ولا تعرف إلا بأخون العمال،.. له أدب ولسن ومذهب فيهما يستحسن، لكنه نكب عن المقطع الجزل، وذهب مذهب الهزل... وليس من شرط كتابي هذا إثبات بذائه، ولا أن أقف حذاءه..»

وقد قرأ د. الكريم صاحب «فن التوشيح» هذه الجملة فرأى أن الفتح ابن خاقان لمح فيها «للموشحات تلميحا خفيفا فيه كثير من الاستهانة والتحقير» [82] وما نظن أن للعبارة صلة بالموشحات، بل جاءت تبرما بما في شعره من فحش ومجون وتصريح ولو أن الأمر على ما ظن د. الكريم لوجدنا في «المطمح» و «القلائد» عبارات من هذا القبيل عن الوشاحين الآخرين، ولكن ابن خاقان يتحدث في كتابيه عن كبار الوشاحين فيذكرهم بالتقدير (وإن لم يورد شيئا من موشحاتهم) وقد ذكر في «القلائد» ابن بقى فقال فيه «رافع راية القريض، وصاحب آية التصريح فيه والتعريض» [83]، وذكر عن الأعمى التطيلي شيئا يشبه ما قال عن ابن بقى. [84]

وتحدث لسان الدين بن الخطيب في «الجيش» عن موشحات المنيشي حديثا يفيض بالإعجاب، أوضح فيه أنه اقتفى آثار أستاذه الأعمى التطيلي، حتى «كاد يدرك شأوه» وذكر له عشر موشحات (ولعله المصدر الوحيد المعروف، الذي يحتفظ بموشحات له) وما نظن إلا أن ابن الخطيب بالغ في تقدير مكانة موشحات المنيشي هذا، وهناك فارق كبير بينها وبين موشحات

الأعمى. ومن أحسن ما وقع له قوله:

يا قَمَراً للعاشقينْ   وهو تَمّ   يُعْصَى النّصيحْ   ويُذمّ

لـــــــــــه مـــــــا أبـــــــدي
وأعـــــــــــــيـــــــــــــدْ
مـــــــنْ لـــــوعـــــة تُـــــعْـــــدي
وتُـــــــــــزيـــــــــــدْ
فـــــــي رَشـــــــأ يـــــــروى
مَـــــــنْ يـــــــريـــــــدْ

● ابن غرلة (؟):

شاعر مجهول لا يعرف عنه إلا ما جاء في «العاطل الحالي:

«كان ابن غرلة الشاعر المغربي، وهو من أكابر أشياخهم، ينظم الموشح والزجل والمزنم، فيلحن في الموشح ويعرب في الزجل، تقصداً منه واستهتارا ويقول إن القصد من الجميع عذوبة اللفظ وسهولة السبك، وكان الوزير (!) ابن سناء الملك يعيب عليه ذلك، ولهذا لم يثبت شيئا من موشحاته في «دار الطراز»، فمن موشحاته المزنمة الموشحة الطنانة المشتهرة الموسومة بالعروس، التي نظمها عند عشقه رميلة أخت عبد المؤمن الأموي (!) (يقصد عبد المؤمن الكومي خليفة الموحدين) ملك الأندلس، وقتله الملك بسببها لتوهمه من مطلعها وما يليه اجتماعه بها، والواقعة مشهورة، وكان حسن الصورة جميل القدر، ذا عشيرة، وكانت هي أيضا جليلة القدر، جميلة الخلق، فصيحة اللسان، تنظم فيه الأزجال الرائقة الفائقة» (85)

وذكر قسما من موشحة أولها:

مَنْ يصيدُ صيداً   فليكُنْ كما صَيّدي   صيدي الغزالة   من مراتع الأسد

ويضيف الحلي «أنه لما أخرجه الملك ليقتله، نظر إلى الناس وارتجل بيتا في الوزن، يستنجد به عشيرته لأخذ ثأره:

خـــــدّهـــــا الأســـــيـــــلُ
بَـــــدَتْ مـــــنـــــه أنـــــوارُ
طـــــرفُـــــهـــــا الـــــكـــــحـــــيـــــل
سُـــــلّ مـــــنـــــه بـــــتّـــــارُ

هـــــاأنــــا الــــــقـــــتـــــيـــــلُ
فـــــهــــل يُـــــؤخَــــــذُ الــــــثّـــــارُ
قد أسرّتُ عبداً ولم أكُ بالعَبْد متٌّ لا محالة فاطلبوا دَمي بَعْدي

وواضح من عبارة الحلي أنه يشير إلى قول ابن سناء الملك في «دار الطراز» عند حديثه عن القفل المركب من سبعة أجزاء: «الموشح المعروف بالعروس، وهو موشح ملحون، واللحن لا يجوز استعماله في شيء من ألفاظ الموشح إلا الخرجة خاصة، فلهذا لم نورد مثاله»

وقد لوحظ أن القفل في الموشحة التي أوردها الحلى يتألف من أربعة أجزاء لا سبعة، واستنتج د. الاهواني أن حديث الحلي عن الزجل الأندلسي «يفتقر إلى كثير من الدقة وينبغي أن يؤخذ بكثير من الحذر» [86] أما د. الكريم فيرى أن حديث الحلي عن ابن غرلة يدل على أنه يتحدث عن شيء يعرفه حق المعرفة [87] لكن المحير أن المصادر لا تذكر شيئا عن ابن غرله هذا، ولا يخفى أن حكاية إخراجه لقتله، وارتجاله بيتاً على نفس الوزن، واستنجاده بعشيرته للأخذ بثأره، مما يغري بالشك في صحة ما جاء بكتاب «العاطل الحالي» عن ابن غرله هذا.

● اليكي (أبو بكر يحيى بن سهل): [88]

يوصف بـ «هجّاء المغرب»، وقال عنه صاحب «المسهب:< «ابن رومي عصرنا وخطيئة دهرنا، لا تجيد قريحته إلا في الهجاء».

وجاء في «الخريدة» انه توفى سنة ستين وخمسمائة.

ولسنا نملك من موشحات اليكي شيئا، وفي «المغرب» موشحة أولها:

مـــــا لــــــبـــــنـــــات الـــــهـّــــديـــــلْ
مـــــنْ فــــــوق أغــــــصـــــــان
هــــيّـــجـــنَ عـــنـــد الــــصـــبـــاحْ
شـــــوقـــــي وأحــــــزانــــــي

ذكر أنها «موشحة لابن المريني، وتروى لليكي».

● ابن مهلهل (أبو الحسن علي الجلياني): [89]

في «المغرب» قطعة من قصيدة له مدح بها أبا بكر بن سعيد، صاحب

أعمال غرناطة في مدة الملثمين، وذكر جزءا من موشحة له يقول فيها:

النّهرُ سَلّ حُساما
على قدود الغُصون
وللنّسيم مَجَال
والروضُ فيه اختيالُ
مُدّتْ عليه الظّلالُ
والزّهرُ شَقّ كماما
وَجْداً بتلك اللّحون

وبقيتها في الوصف، وهي تمضي على هذا النسق المفعم بالنغم والبساطة، والصور الفنية الرقراقة.

● الإدريسي (محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس) المتوفى سنة 560 هـ الجغرافي الشهير صاحب «نزهة المشتاق في اختراق الآفاق» انظر ما بعده:

● اليثربي (محمد بن محمد، القرطبي)[90]

جاء عنه في «الخريدة» أن معظم ما يذكره ابن بشرون في «المختار» من أخبار متعلقة بالأندلسيين يرويه عنه، ويذكر أنه لقيه في صقلية «لمتملكها رجار الإفرنجي (وألف له) في مسالك الأرض وممالكها كتابا كبيرا أسماه نزهة المشتاق في مخترق الآفاق.. ووصفه ابن بشرون بتوليد المعاني في الشعر.. لاسيما في توشية التوشيح، وتوسيع نظمه المليح، فإنه حاذق زمانه، وسابق ميدانه»

وقد قرأ شترن [91] الفقرة السابقة فاستدل منها على أن المقصود هو الشريف الادريسي صاحب «نزهة المشتاق» وأما محققا «الخريدة» فإنهما يشيران إلى أن ترجمة هذا الشاعر (محمد بن محمد، القرطبي اليثربي) مضطربة في الأصل، و يبدو من ثناياها أنها للشريف الإدريسي، وان كانت المصادر لا تسميه باليثربي والقرطبي.

والملحوظ أن المخطوطة التي اعتمدا عليها في التحقيق يتخللها نقص بعد عبارة (لمتملكها رجار الإفرنجي) مما يرجح احتمال أن يكون «اليثربي»

غير الشريف الإدريسي.

● ابن الزيتوني (علي): [92]
نقل العماد عن ابن بشرون إنه «صاحب توشيع وتوشيح، وتقصيد وتطليع».

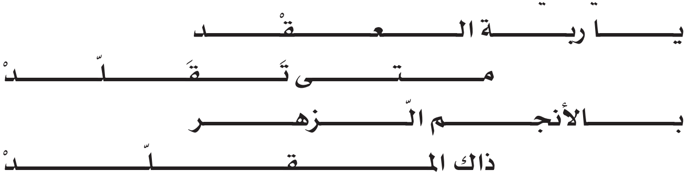
● ابن الهازي (إبراهيم): [93]
جاء في «الخريدة»-نقلا عن ابن بشرون-أنه «صاحب توشيح مليح، وربما قصر إذا قصد»

● المرسي (أبو بكر): [94]
نقل العماد عن ابن بشرون أنه «من اشبيلية، وأقام بمرسية فنسب إليها، وله يد في التوشيح قوية».

● ابن حمديس [95] (عبد الجبار، أبو محمد، الصقلي) المتوفي سنة 527:
شاعر صقلية الشهير، وله ديوان طبع أكثر من مرة، ولا يضم كل شعره، وليست فيه موشحات كما إن المصادر لا تعده من بين أصحاب التوشيح، لكن الصفدي في «التوشيع» عده من المبرزين فيه.

● ابن شرف (أبو عبد الله محمد بن أبي الفضل):
سليل أسرة أسهمت أيما إسهام في الأدب، فجده (أبو عبد الله محمد بن شرف القيرواني) كان أحد أعلام المغرب هو وابن رشيق، وكانا متعاصرين، فلما خربت القيروان اتجه إلى الأندلس، وبها توفى سنة 460 هـ، ووالده (أبو الفضل جعفر بن أبي عبد الله بن شرف) كان من الشعراء المجودين في بلاط المعتصم بن صمادح، وقد ترجم له كثيرون منهم ابن سعيد في «المغرب» والفتح في «القلائد» وابن دحية في «المطرب» الخ... وتوفى سنة 534 هـ [96]
وأما أديبنا هذا فتأتي عنه نبذة في المغرب هي: «أخبرني والدي: أنه كان فيلسوفا أديبا، ومن «السمط:< ذو السلف والشرف، والنخب والطرف. وذكر أنه اعتبط شابا، وانشد له [97] ثم أورد نماذج من شعره، وموشحة

كاملة له، هي التي مطلعها:



يـــــا ربــــــة الـــــعــــــــقْـــــــد

مــــــتــــــى تَـــــــقَـــــــلّـــــــدْ

بـــــــالأنجــــــم الّـــــــزهــــــــر

ذاك المــــــــــقــــــــــلّـــــــــدْ

وما تعرضنا له بهذا القدر من التفصيل إلا لأن بعض المراجع اضطربت في شأنه، فن ذلك ما يقوله هلال ناجي في التعليق على ابن شرف (أبي عبد الله بن الوزير أبي الفضل بن شرف):

«بالنسبة لهذا الوشاح توجد عدة ملابسات في ترجمته، فالذي اختار له ابن الخطيب في جيش التوشيح هو أبو عبد الله ابن الوزير أبي الفضل بن شرف، وقد ذكره بكنيته ولم يذكر اسمه. واسمه-فيما توصلنا إليه محمد... فوشاحنا إذن هو حفيد ابن شرف، ومن بيت علم وشعر. والمشكل بالنسبة له أن المصادر التي بين أيدينا تترجم لأبيه وجده ولا تأتي على ذكره إلا لماما... أما موشحاته فقد ضاعت ولم يبق منها سوى قطعة من توشيح أوله:

عـــــــقــــــــارب الأصـــــــــداغ

فــــــي ســـــــوســـــــن غـــــــض

ذكرها المقري في نفح الطيب ولم بنسبها له...» [98]

وفي حسباننا أن الأمر لا يحتمل ملابسات ولا مشكلات، فكلام لسان الدين ابن الخطيب في انه يعني ابن شرف (الحفيد)، وقد صدر ما اختار من موشحاته بـ: «الوزير الكاتب أبو عبد الله، ابن الوزير الحكيم ذي المعارف أبي الفضل ابن شرف رحمه الله»[99] وفيما يبدو أن هلال ناجي غاب عنه ما جاء في «المغرب» عن وشاحنا، بدليل أنه لم يشر إلى كتاب ابن سعيد هذا وهو يتحدث عن ابن شرف، وبدليل عدم التفاته إلى أن موشحة «يا ربة العقد» تجيء كاملة في «المغرب»واشهر موشحات ابن شرف تبدأ بـ:

عقارب الأصداغ   في سوسن غض   تسبى تقى من لاذ   بالفقه والوعظ

وقد عارضها بعض الوشاحين، وتردد ذكرها في مؤلفات مختلفة مثل «نفح الطيب» [100] و «العذارى المائسات» (101) ولا تعد-في نظرنا-أفضل موشحات ابن شرف، وربما ذكروها لصعوبة قوافي أقفالها، وقدرة الشاعر-

مع ذلك-على إضفاء شيء هن الحيوية عليها:

ظبيٌ له خَدٌّ   مُفَضّضٌ مُذْهَبْ   وَأغْيَدٌ وَرْدْ   في صُدغه عَقْرب

رقه زهر الياغْ   في جسمه البضَّ   وقسوةُ الفولاذْ   في قلبه الفَظَّ

وفي «المقتطف» لابن سعيد، بعد ذكر أسماء عدد من كبار الوشاحين، مثل الأبيض وابن باجة:

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين-أعزهم الله-محمد ابن أبي الفضل بن شرف. قال الحسن بن دور يده، رأيت حاتم بن سعيد يقبل رأسه على هذه البدأة:

شَــــمْــــسٌ قــــارنَــــتْ بَــــدْراً

راحٌ ونَــــــــــــــــــــديمٌ

والمشكل أن هذه الموشحة-التي ترد في «دار الطراز» بدون ذكر لاسم قائلها-جاءت في مصادر أخرى منسوبة لابن زهر، فن ذلك الصفدي في «الوافي بالوفيات» وابن أبي أصيبعة في «عيون الأنباء» [(102)]

● السرقسطي الجزار (أبو بكر يحيى): [(103)]

جاء عنه في «المغرب:

كان في دكان يبيع اللحم، فتعلقت نفسه بقول الشعر، فبرع فيه، وصدر له أشعار مدح بها الملوك من بني هود ووزرائهم...» وقد وصلت بعض نماذج من شعره تفصح عن مقدرة فنية عالية، وصفها لسان الدين بن الخطيب بقوله:

«ولّد واخترع،   وفي كلتا الحالتين برع،   ... حداه إلى ذلك، وعرفه بما هنالك، طبع وذكاء وقاد...» [(104)]

واشتهر السرقسطي الجزار في فن التوشيح شهرة جعلت الصفدي يعده من بين «من سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغرب» [(105)] لكن موشحاته ضاعت، ولم يبق منها إلا ما حفظ في «جيش التوشيح»ويضم عشرة نصوص.

وموشحات ابن الجزار من النمط العالي، الذي يجمع بين ثراء الموسيقى، وبساطة التعبير، وحيوية الصور، كقوله في موشحة «ويح المستهام:<

فَتَاةٌ كعابٌ نعيمُ الشّبابْ عليها مُذابْ

كروض الغَمامْ لها المسكُ رَيّا والدُّرّ ابتسامْ

فكيف السبيلْ أن يُشفَي الغَليلْ إذ ظلّتْ تقولْ

مما شو الغلام لابد كلو ليا حلال أو حرام [106]

أو قوله في أخرى:

أمـــا والـــهـــوَى إنّـــنـــى مُـــدْنَـــفُ

بـــحُـــبّ رَشـــاً قـــلـــمـــا يـــنْـــصـــفُ

أطـــاوعـــه وهـــو لـــي مُـــخْـــلـــفُ

فَـــعـــمـــا قـــلـــيـــل بـــه أتْـــلَـــفُ

وواعـــدنـــي الـــسّـــقـــمَ حـــتـــى انـــتـــهـــكْ

فُـــؤادي، فـــيـــاوَيـــحْـــتَـــاَ قـــد هَـــلَـــكْ

وتبدو بعض خرجات موشحاته وكأنها أغان فلكلورية مفعمة بروح السذاجة والحيوية:

احمد محبُوبي بالنّبي تيجي حبيبي بالله جيني حين جي

● ابن مالك السرقسطي (أبو بكر أحمد، الأنصاري): [107] شاعر وشاح، عمل كاتبا لدى محمد بن سعد بن مردنيش (المتوفى سنة 567 هـ) ملك شرق الأندلس [108] ومن هنا يلقبه لسان الدين بن الخطيب بـ «الوزير الكاتب» ويقول عنه:

«أي منصب علاء، وإشراف على المعارف واستيلاء... كلفت به الملوك استنجاحا وتيمنا وعلما.. قرط في التوشيح وشنف، ونور في الإعجاز فيه وصنف، وأخذ نفسه في توشيحه، بتوليد الكلام وتنقيحه.. رحل إلى مصر فانجلت هناك أنواره.. وله نظر في العلم الفلسفي...» وذكر له ثماني موشحات، أولها:

حُـــثّ كـــأس الـــطّـــلا عـــلـــى الـــزهـــر

وأدرهـــا كـــالأنجـــم الـــزّهـــر

أنـــســـيـــمٌ يـــفـــوحُ أم عـــطـــرُ

وغـــصـــونٌ أمـــالَـــهـــا الـــقَـــطْـــرُ

تـــتـــثـــنـــى ومـــا بـــهـــا سُـــكْـــرُ

وطــيــورٌ نــطــقــن بــالــســحــر
حــين هــب الــنّــســيــمُ فــي الــسّــحَــر

وهذا النص مما سماه ابن سناء الملك بـ «الموشح الشعري» وقال إن «ما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذول المخذول وهو بالمخمسات أشبه منه بالموشحات.. اللهم إلا إن كانت قوافي قفلة مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمسات» والمشكلة أن أقفال هذه الموشحة جاءت متحدة القافية، كما القافية، كما أن الحرجة جاءت معربة، وكل ما في الأمر أنه جعلها على لسان المحبوبة:

رُبّ هــيــفــاء شــفّــهــا بُــعــدا
عَــفّ عــنــهــا فــلــم تجــدْ بُــدّا
مــنْ هــواه فــأنــشــدت وَجْــداً
رَبّ قــوّ فــي الــهــوى صَــبْــري
إنّ هــجــرَ الحــبــيــب كــالــصّــبــر

أما بقية موشحات ابن مالك فإنها لا تخرج على قواعد التوشيح في شيء.

● نزهون (بنت الوزير القليعي):

هكذا جاء اسمها في مجموعة ابن بشرى [109]، أما ابن سعيد فيسميها «نزهون بنت القلاعي» [110] وقال إنها كانت «شاعرة ماجنة كثيرة النوادر»، وذكر لها بعض مواقف سخرت فيها من ابن قزمان الزجال، ومن الأعمى المخزومي الشاعر الهجّاء والملحوظ أن المقري في «النفح» [111] يروي بصدد نزهون هذه أخباراً قال إنه نقلها عن «المغرب» ولكنها تختلف عما في النسخة التي حققها د. شوقي ضيف، وفيه أن الحجاري صاحب «المسهب» قال عنها إنها كانت موصوفة «بخفة الروح، والانطباع الزائد، والحلاوة، وحفظ الشعر، والمعرفة بضرب الأمثال، مع جمال فائق، وحسن رائع»، وذكر أن الوزير أبا بكر بن سعيد كان مولعاً بها..

وتعرض لها ابن سعيد كذلك في ترجمته للأعمى المخزومي، وقال إنه «أكثر الإقامة في غرناطة، وتعرض لشاعرتها نزهون، وهجاها» [112]

وقد وصل إلينا من موشحة لها مطلعها:

بأبي مَنْ هدّ منْ جسمي القُوَى طرفه الأحورُ

وصفه د. الأهواني بأنه موشح جميل، وردت في أثنائه مقطوعات فيها حياة ورقة مثل قولها:

مَـــرّ بـــي فـــي ربـــرب مـــنْ سـربـــه
يـــقـــطـــفُ الـــزّهْـــرَا
وهـــو يـــتـــلـــو آيـــة مـــن حـــزبـــه
يـــبـــتـــغـــي الأجْـــرَا
بَـــعْـــدَ مـــا ذكّـــرنـــي مـــن حُـــبّـــه
آيـــــــــة أخـــــــــرى
والـــذي لـــو شـــاء مـــا ذكّـــرنـــي
بَـــعْـــدَ نـــســـيـــانـــي
قـلّـبَ الـقـلـبَ عـلـى جـمـر الـغـضـاَ
فَـــهْـــو فـــي شـــان

وتنتهي الموشحة بالبيت والخرجة التاليتين

لـــم تَـــزَلْ تُـظـهـرُ فـيـه الـكَـلَـفـا
عـــنـــدمـــا غَـــنّـــتْ
غـــادةٌ لـــو رَامَ مـــنـــهـــا الـــنّـصـفـا
غـــيْـــرةَ ضَـــنَّـــتْ
فـهـو يـهـواهـا ويُـبْـدي الـصّـلـفـا
فـــلـــذا غـــنـــت:
يـــتـــمـــنـــانـــي إذا لـــم يَـــرَنـــي
يَـــتَـــمَـــنّـــانـــي
فـــإذا رآنـــي تـــَـــوَلَّـــى مُـــعْـــرِضَـــا
كـــنْ مـــا رآنـــي (113)

● ابن مؤهل (114) (؟):

وشاح مجهول، عده ابن سعيد في «المقتطف» من بين مشاهير هذا الفن، واستشهد له بـ:

مـــا الـــعـــيـــدُ فـــي حـــلّـــة وطـــاق
وشـــــــمّ طـــــــيـــــــب
وإنمـــا الـــعـــيـــدُ فـــي الـــتـــلاقـــي
مـــــع الحـــــبـــــيـــــب

والنص نفسه يأتي في «مقدمة» ابن خلدون وفي «نفح الطيب» منسوب لابن مؤهل، ولا أثر لهذا الاسم في «المغرب» وان كنا نجد فيه «موشحة لابن موهد الشاطبي، وسكن مرسية، ومدح بها ابن مردنيش ملك شرق الأندلس»، وهي موشحة محكمة النسج، مفعمة بالنغم والرشاقة:

أمـــا طَـــربـــتَ إلـــى الحُـــمـــيّـــا
مـــا بـــين نـــدمـــان وســـاق
والـــبـــدرُ فـــي عَـــقـــب الـــثّـــريـــا
والـــلـــيـــلُ ممـــدودُ الـــرّواق
خـــدهـــا عـــلـــى رغـــم الـــعَـــذول
خـــرقـــاء تـــلـــعـــبُ بـــالـــعُـــقُـــول
والـــنـــهـــر كـــالـــسّـــيـــف الـــصّـــقـــيـــل
عـــلـــى ريـــاض فـــاح رَيّـــا
ولاح مـــصـــقـــولَ الـــتـــراقـــي
تـــلـــك المُـــنـــى يـــا صـــاحـــبـــيَّـــا
لا مُـــلـــك مـــصـــر مـــع الـــعـــراق

وينسل من المقطع الخمري إلى الحديث عن حبه لعزة الذي لا يبيد، وان بلى الحديد، وفي البيت الأخير والخرجة يدعو محبوبه أن يحنو عليه ويستجيب له:

مَـــنْ لـــي بمَـــنْ أهـــوَى ومَـــنْ لـــي
لـــيـــس الـــهَـــوَى إلا لمـــثْـــلـــي
وأنـــت يـــا بـــعـــضـــي وكُـــلّـــي:
أبـــعـــدتَـــنـــي بُـــعْـــدُ الـــثّـــريـــا
وأنـــت تـــعـــلـــمُ مـــا ألاقـــي
يـــا مَـــنْ هـــويـــتْ ابـــقـــي عـــلـــيـــا
كـــمـــا أنـــا عـــلـــيـــك بـــاق

وليس في النص كله إشارة لابن مردنيش ولا لأحد غيره، والموشحة-في

الوقت ذاته-تأتي تامة، أي أنها تتركب من ستة أقفال، مما يرجح أن ابن سعيد لم يحذف منها المقطع المدحي، ولعلها أنشدت في بلاط ابن مردنيش، ومن ثم حملت على أنها في مدحه، وابن مردنيش هذا توفى سنة 567هـ.

وغني عن القول أننا نعتقد أن ابن موهد هذا هو نفسه ابن مؤهل المذكور في «المقتطف».

● الزويلي (أبو إسحاق):

ذكره ابن سعيد في المقتطف من بين مشاهير الوشاحين في عهد دولة الموحدين، وفيه:

«سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه (أي الزويلي) دخل على ابن زهر وقد أسن وعليه زي البادية، إذ كان يسكن بحصن استبه، فلم يعرفه، فجلس حيث وجد وجرت المحاضرة أن أنشد لنفسه موشحة وقع فيها:

كُحْلُ الدّجى يجري من مقلة الفجر على الصباحْ

ومعْصَمُ النّهَر في حُلَل خُضْر منَ البطاحْ

فتحرك ابن زهر وقال: أنت تقول هذا؟ قال: اختبر. قال: ومن تكون؟ فعرفه فقال: ارتفع، فوالله ما عرفتك.» [115]

والنص نفسه يجيء في مقدمة «ابن خلدون» و «أزهار الرياض» و «نفح الطيب» [116] وفيها جميعاً أن اسمه الدويني بدلاً من الزيلي.

● ابن خلف الجزائري:

جاء في «المقتطف» [117]:

«واشتهر ببر العدوة ابن خلف الجزائري، صاحب الموشحة المشهورة التي مطلعها:

يد الاصباح قدحت زناد الأنوار في مجامر الزهر

● ابن خزر البجائي [118]:

قال ابن سعيد في «المقتطف» إنه «صاحب الموشحة المشهورة:

ثـــغـــر الــــزمــــان المــــوافـــق

حـــيـــاك مـــنـــه ابـــتـــســـام

● ابن هردوس (أبو الحكم أحمد) المتوفى سنة 572 هـ [119]

كاتب عثمان بن عبد المؤمن، ملك غرناطة، وعده ابن سعيد في «المقتطف» من بين مشاهير الوشاحين في عصر الموحدين وذكر له مطلع موشحته:

يـــا لـــيـــلـــة الـــوصْـــل والـــسّـــعـــود

بـــــالـــــلـــــــه عُــــودي [120]

وغني عن القول أنه استعاره من خرجة موشحة «اشرب على نغمة المثاني» التي تنسب تارة لابن نزار، وتنسب تارة أخرى لابن حزمون.

والموشحة تدور في قسمها الأول حول موضوع الغزل والإقبال على اللهو:

كـــم بـــتُّ فـــي لـــيـــلـــة الـــتّـــمـــنّـــي

لا أعـــرفُ الـــهَـــجـــرَ والـــتـــجـــنّـــي

ألـــثُـــمُ ثـــغـــرَ المُـــنَـــى وأجْـــنـــي

مـــن فـــوق رمـــانـــتْـــي نُـــهـــود

زَهـــــرَ الخــــــدود

يـــا لائـــمـــي اطـــرحْ مـــلامـــي

فـــلا بـــراحٌ عـــن الـــغَـــرام

إلاّ انـــعـــكـــافـــي عـــلـــى مُـــدام

بـــســـمـــع صـــوت ونـــقـــر عُـــود

مـــن كـــــفّ خُــــود

لكنه سرعان ما يتذكر أن «مدح الأمير الأجل أولى» وهكذا يترك الغزل والكأس ليخاطب الممدوح:

لـــلـــه يـــومٌ أغـــرٌ زاهـــرْ

قـــد حـــلّ بـــالأنـــدلـــس آمـــرْ

قـــالـــوا وقـــد وافـــتْ الـــبـــشـــائـــرْ

بـــالمـــلـــك الـــســـيّـــد الـــسّـــعـــيـــد

أبـــي الـــسُّـــعـــود

● ابن المريني (أبو الحسن علي) [121]

قال عنه ابن سعيد في «المغرب:<

«شاعر وشاح مشهور ببلاد المغرب، صحبه والدي، ومات في مدة منصور بني عبد المؤمن، وكان كثير التجول «وأورد موشحة قال إنها لابن المريني، وتروى لابن اليكي» [122] أولها:

مـــا لـــبـــنـــات الـــهَـــديـــل
مـــن فـــوق أغْـــصـــان
هـــيّـــجـــنَ عـــنـــد الـــصـــبـــاح
شَـــوْقـــي وأحـــزانـــي

وهي من روائع التوشيح الأندلسي، وله موشحة أخرى لا تقل عنها جمالاً، مطلعها:

فـــي نـــغـــمـــة الـــعُـــود والـــسّـــلافـــه
والـــروضُ والـــنـــهـــرُ والـــنّـــديم
أطـــالَ مَـــنْ لامـــنـــي خـــلافـــه
فَـــظَـــلّ فـــي نُـــصـــحـــه مُـــلـــيـــمْ [123]

● ابن الفرس (عبد الرحيم، الغرناطي، المعروف بابن الفرس) [124]

جاء عنه في «المغرب:

«قرأ مع والدي، وكان يصفه بالذكاء المفرط والتفن والتقدم في الفلسفة، وهو الذي أعلن الثورة على دولة الموحدين، وزعم أنه «القحطاني» الذي سيدين البشر له بالطاعة، وبث دعوته في قبائل لمطة البربرية، ولكن دعوته لم تنجح، وقتل».

وذكر ابن سعيد في «المغرب» قسماً كبيراً من موشحة وصفها بأنها مشهورة، أولها:

يـــا مَـــنْ أغـــالـــبـــهُ والـــشـــوقُ أغـــلـــبْ
وأرتجـــي وصـــلَـــه والـــنـــجـــمُ أقـــربْ
سَـــدَدْت بـــابَ الـــرّضـــا عـــن كـــلّ مـــطـــلـــبْ
زُرْتَـــنـــي ولـــوْ فـــي المـــنـــام
وجُـــدْ ولـــو بـــالـــســـلام
فـــأقـــلّ الـــقـــلـــيـــلْ
يُـــبْـــقـــي ذمـــاء المـــســـتـــهـــام

وجاء في الموشحة نفسها قفل أورده بعد موشحة ابن عتبة [125] وهو:

نُــــفُــــضٌ مــــسْــــكَ الخــــتــــام
عــــن عَــــسْــــجَــــديّ المُــــدام
ورداء الأصــــيــــلْ
تــــطــــويــــه كــــفُّ الــــظّــــلام

وذكر أن ابن الفرس كان يزهى بهذا المعنى، وهذا الزهو سيتردد صداه بعد ذلك في «النفح» ففي معرض الإشادة بفضائل أهل الأندلس يقول المقري:

«وهل منكم من يقول في موشح فيما يجره هذا المعنى..» [126] وذكر شيئاً من القفل السابق وقال إن الموشحة لأبي القاسم بن الفرس.

ومن هذه الموشحة قسم آخر في «المقتطف» [127] وفيه-بعد أن ذكر ابن زهر وابن حيون:

«واشتهر معهما في العصر بغرناطة المهر بن الفرس، ومن المشهور أن ابن زهر لما سمع قوله:

لــــلــــه مــــا كــــانَ مــــنْ يــــوم بــــهــــيــــج
بــــنــــهــــر حــــمــــص عــــلــــى تــــلــــك المُــــروج
ثــــم انــــعــــطــــفــــنــــا عــــلــــى الخــــلــــيــــج
نَــــفُــــضّ مــــسْــــكَ الخــــتَــــام
عــــن عــــســــجــــديّ المُــــدَام
ورداءُ الأصــــيــــلْ
تــــطــــويــــه كــــفّ الــــظّــــلام

قال: أين نحن من هذا الرداء!»

● ابن أبي حبيب (أبو الوليد): [128]

ذكر ابن سعيد أن ابن أبي حبيب من أعيان شلب، ونقل من «السمط» أن أبا الوليد هذا كان «نكتة الزمان، ونخبة الأعيان، الذي ملك الحيا عنانه، وأيدت الحكمة لسانه» وذكر له شيئاً من موشحة أولها:

عَــــسَــــى لــــديــــك يــــا ربَــــة الــــقَــــلْــــب
زادٌ لــــرَاحــــلْ

فــودّعــي-فــديــتُـــك-هَــيْــمــانــا
لا يــســتــطــيــعُ دونــك سُــلْــوانــا
إذا تَــذَكّــرَ الــبــيــن أوبــانــا
بــكــى وحَــنّ إلــى شــلْــب
حــنــيــنَ ثــاكــلْ

● ابن حبيب (القصري الفليسوف): [129]

قال عنه ابن سعيد:

«برع في العلم القديم، واشتهر اشتهار البدر في الليل البهيم، فلاحظته الأعين، وخاضت فيه الآلسن، وصادف اشتهاره إظهار مأمون بني عبد المؤمن طلب الزنادقة، وتطهير الأرض منهم، فكان فيمن ضرب عنقه.»

وذكر له بعض نماذج من شعره، وقال إن «له موشحات» منها موشحة تستهل بـ:

اشــربْ عــلــى ضــفّــة الــغَــديــر
وبــهــجــة الــرّوض فــي المــطــرْ
وانــظــرْ إلــى الــكــوكــب المــنــيــر
يــسْــعَــى بــكــأس لــهــا شَــرَرْ

ابن نغرلة (إسماعيل بن يوسف، اليهودي): [130]

قال عنه ابن سعيد «من بيت مشهور في اليهود بغرناطة، آل أمره إلى أن استوزره يا ديس بن حيوس ملك غرناطة، فاستهزأ بالمسلمين، وأقسم أن ينظم جميع القرآن في أشعار وموشحات يغني بها فآل أمره إلى أن قتله صنهاجة أصحاب الدولة..»

● ابن حزمون (أبو الحسن، علي): [131]

ذكره ابن سعيد في «المقتطف»، بعد الحديث عن ابن حيون ومطرف وابن الفرس: «واشتهر بعد هؤلاء ابن حزمون بمرسية، أخبرني ابن الدارس أن يحيى الخزرج دخل عليه في مجلس، فأنشده موشحة لنفسه، فقال له ابن حزمون: ما الموشح بموشح حتى يكون عارياً عن التكلف. قال: على مثال ماذا؟ قال على مثال قولي:

يا هاجري هَلْ عن هواكَ سالي　　　قلبي العَليلْ؟» [132]

وفي «المغرب» أنه كان «صاعقة من صواعق الهجاء.. وأكثر قوله في طريقة التوشيح»، وهذا ما أوضحه صاحب «المعجب» حين قال:

«ولعلي بن حزمون هذا قدم في الآداب، واتساع في أنواع الشعر، ركب طريقة أبي عبد الله بن حجاج البغدادي.. فأربى عليه، وذلك أنه لم يدع موشحة تجري على ألسنة الناس بتلك البلاد، إلا عمل في عروضها ورويها موشحة على الطريقة المذكورة» [133]

واحتفظ «المغرب» ببعض هجائياته هذه، وكذلك مرثية:

يا عينُ بُكّى السّراجْ　　　الأزهَرَا　　　النَّيّرا اللاّمعْ

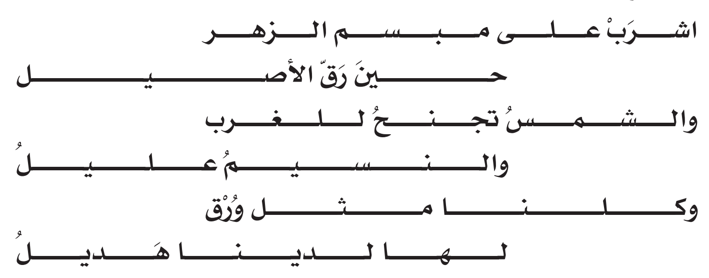
ولا نملك من موشحات ابن حزمون إلا واحدة فحسب، غير أنها مفصحة أيما إفصاح عن مهارته في أداء المعاني بأقصى درجة من البساطة والعفوية:

مضى بنفس تُهاجْ　　　مُصَبّرا　　　مصطبراً　　　وطائعْ

وباعَها في الهياجْ　　　لقد دَرَى　　　ماذا اشترَى　　　ذا البائعْ

● المنتاني (أبو العباس أحمد) [134]:

كان-كما أورد صاحب «المغرب»-كاتباً لدى أبي سعيد عثمان بن حفص صاحب أفريقية، أحد كبار قواد الموحدين، ذكر له ابن سعيد قسماً من موشحة أولها:



اشرَبْ على مبسم الزهر
حينَ رَقّ الأصيل
والشمسُ تجنحُ للغرب
والنسيمُ عليلُ
وكلنا مثل وُرْق
لها لدينا هَديلُ

● ابن زهر الحفيد (أبو بكر محمد بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر الأيادي الاشبيلي) [135] توفى سنة 595:

سليل أسرة شهيرة في العلم والأدب بالأندلس، ونهج هو على منوالهم، ذكره تلميذه ابن دحية صاحب «المطرب» فقال:

«كان شيخنا الوزير أبو بكر رحمه الله بمكان من اللغة مكين، ومورد من الطلب عذب معين، وكان يحفظ شعر ذي الرمة وهو ثلث لغة العرب، مع الإشراف على جميع أقوال أهل الطب، والمنزلة العليا عند أهل المغرب، مع سمو النسب، وكثرة الأموال والنشب» وقال قبلها: «والذي انفرد شيخنا به، وانقاد لتخيله طباعه، وأصارت النبهاء خوله وأتباعه المرشحات، وهي زبدة الشعر، وخلاصة جوهره وصفوته، وهي من الفنون التي أغربت بها أهل المغرب على أهل المشرق، وظهروا فيها كالشمس الطالعة والضياء المشرق».

وقال عنه ابن سعيد في «المقتطف:

«وسابق الحلبة التي أدركت هؤلاء (يعني وشاحي عصر الموحدين مثل أبي الفضل بن شرف وابن هردوس وابن مؤهل..) أبو بكر بن زهر، وقد شرقت موشحاته وغربت. وسمعت أبا الحسن المذكور (أي: أبو الحسن بن مالك) يقول لابن زهر: لو قيل لك ما أبدع ما وقع لك في التوشيح ما كنت تقول؟ قال: كنت أقول مما استحسنه من قولي، وأرتضيه من نظمي:

هل تُستَعادْ أيامُنا بالخليجْ وليالينا

إذ يستفادْ من النسيم الأريجْ مسكُ دارينا الخ..

وابن زهر أحد أعلام الأندلس المبرزين في ميدان التوشيح، وفيما يبدو أن شهرته فيه أربت على شهرته في غيره من ميادين الأدب (شأنه في ذلك شأن عبادة بن ماء السماء وابن القزاز والأعمى التطيلي وابن بقى ومن حسن الحظ أن المصادر احتفظت لنا بقدر لا بأس به من موشحاته، فقد ضمت مجموعة «جيش التوشيح» عشر موشحات من نظمه، وجاء في «المغرب» نحو هذا العدد (وإن كان بعض منها غير كامل) واثنتان-وربما أكثر-في «دار الطراز» واثنتان في «المطرب»، وخمس موشحات في «عيون الأنباء»، وله موشحات في «نفح الطيب»، و «الوافي بالوفيات» و «توشيع التوشيح»، و «معجم الأدباء» و «العذارى المائسات» و «عقود اللآل» الخ.. لكن عدداً منها يتكرر ذكره هنا وهناك، ومن ثم نجد أن ما وصل إلينا منها أقل من عشرين موشحة، لعل أشهرها جميعاً:

أيـهـا الـسّـاقـي إلـيـك المـشـتـكـي

قـد دعـونـاكَ وإنْ لـم تـسـمـع

وتذكر خرجتها-في الغالب الأعم-معربة، على نحو ما جاء في «دار

الطراز:

قـــد نمـــا حـــبّـــك عـــنـــدي وزكـــا

لا تـــقُـــلْ فـــي الحـــبّ آنـــي مُـــدّعـــي

وترد في «جيش التوشيح غير معربة:

قـــد نمـــا حُـــبـــكْ بـــقـــلـــبـــي وزكـــا

وتـــقـــل إنـــي فـــي حـــبـــك مـــدع

وموشحات ابن زهر من الطراز العالي، الذي يتضمن كل خصائص هذا الفن في صورتها الأصيلة: مزيج من الموسيقى، والصور الموحية، والتعبيرات البسيطة الشفيفة والاقتراب من أخيلة الشعب كقوله:

كل له هواكَ يطيبُ

أنا، وعاذلي والرقيبُ

وتدور حول الحب، وفي نهايتها:

لـــم يَـــدرْ عـــاذلـــي ورقـــيـــبـــي

أنّ الـــهـــوى أخـــفّ ذنـــوبـــي

وأنـــت يـــا عَـــذَابَ الـــقـــلـــوب

كـــم تـــشـــتـــهـــي إلـــيـــكَ الـــقـــلـــوبُ

وأنـــت مُـــعْـــرضٌ لا تُـــجـــيـــبُ

قـــالـــتْ عـــلـــيّ أنـــتَ مـــلُـــولُ

فـــقـــلـــت: ودّك المـــســـتـــحـــيـــلْ

فأنشد النّصوحُ يقولُ:

مـــنْ خـــان حـــبـــيـــبـــه الـــلـــه حـــســـيـــب

الـــلـــه يـــعـــاقـــبـــه ويـــثـــيـــبُ

وتبلغ الغنائية ذروتها في موشحة:

حـــتـــى الـــوجـــوه المـــلاحـــا

وحـــيّ نُـــجْـــلَ الـــعُـــيـــونْ

وأعمال ابن زهر تستحق-في واقع الأمر-وقفة خاصة، وتحليلاً مستفيضاً، لا يتسع له المجال الآن.

7 وشاحو القرن السابع الهجري

● ابن الياسمين (أبو محمد عبد الله بن حجاج الاشبيلي) [1] المتوفى سنة 601 هـ:

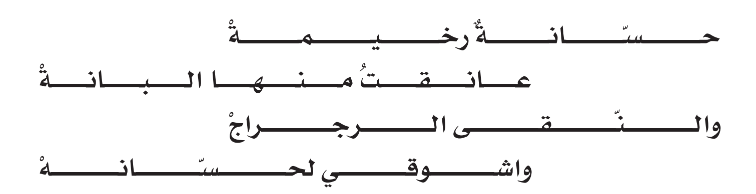
وصفه ابن سعيد في «الغصون اليانعة» بـ «الجليس المتفنن» وقال إن أول تعلقه كان «بالفقه والتوثيق، حتى صار من أعلام العارفين بالوثيقة، ثم اشتغل بالنظم والنثر وفنون الآداب، فصار من أعلام الأدباء والكتاب.

وذكر أن «له موشحات يغني بها [2]» لا نعلم عنها شيئاً.

● السلمي (أبو حفص عمر بن عبد الله محمد بن عبد الله بن عمر، [3] المتوفى سنة 603 هـ:

جاء عنه في «الغصون» أنه كان «فقيهاً علامة، وفي النظم والأدب أندر علامة، جل بين قومه بمدينة فاس مقداره، وقضيت بها في الجاه والمال أوطاره، إلى أن كان هنالك من أهل الفتيا، ثم صار من جلساء أصحاب الأمر وأرباب العليا، ثم ترقى إلى الخطابة والقضاء.. وولاه المنصور قضاء أشبيلية»

وأردف أن «له موشحات مشهورة يغني بها في الأقطار، منها:


حـــسّـــانـــةٌ رخـــيـــمـــةْ
عـــانـــقـــتُ مـــنـــهـــا الـــبـــانـــةْ
والـــنّـــقـــى الـــرجـــراجْ
واشـــوقـــي لحـــسّـــانـــهْ

● الجلياني (أبو الفضل، عبد المنعم بن مظفر الغساني) المتوفى سنة 603هـ[4]:
جاء في «النفح» أنه كان «أديباً فاضلاً، له شعر مليح المعاني، أكثره في الحكم والإلهيات وآداب النفوس والرياضيات، وكان طبيباً حاذقاً.. وكان يقال له حكيم الزمان».

ووقف ابن سعيد على ديوانه فقال إن أكثر شعره «مملوء من السخف والمجون»

ونقل عنه العماد أن له كتاباً بعنوان «نهج الوضاعة لأولي الخلاعة»

أما ابن أبي أصيبعه [5] فانه يقول إن ديوان الجلياني كان يقع في عشرة أجزاء، قصر الثامن منه على موضوعات «الغزل والتشبيب والموشحات والدوبيتي..» وفيما يبدو أن الجلياني كان بارعاً في الموشحات، بدليل وصف العماد له بأنه «صاحب البديع البعيد، والتوشيح والترشيح»

● ابن الفكون (أبو علي حسن) المتوفي في أوائل القرن السابع الهجري:
ذكره الغبريني في «عنوان الدراية» وقال إنه من الأدباء الذين تستظرف أخبارهم، وتروق أشعارهم. غزير النظم والنثر، وكأنها أنوار الزهر. رحل (من بجاية؟) إلى مراكش، وامتدح خليفة بني عبد المؤمن، وكانت جائزته عنده من أحسن الجوائز، وله «رحلة» نظمها في سفرته من قسنطينة إلى مراكش.. وله ديوان شعر، وهو موجود بين أيدي الناس، ومحبوب عندهم، وهو من الفضلاء النبهاء.. وكان الأدب له من باب الزينة والكمال، ولم يكن يحترف به لإقامة أود أو إصلاح حال. وأصله من قسنطينة من ذوي بيوتاتها، ومن كريم أرومتها. وتواشيحه مستحسنة» [6]

● ابن جبير (أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني) المتوفي سنة 614 هـ
مولده في بلنسية (سنة أربعين وخمسمائة، أو نحو ذلك) وتلقى العلم

بشاطبة، وبرع في الفقه والحديث والقراءات، كما برز في الأدب شعره ونثره، وفي ذلك يقول صاحب «الإحاطة:

«كان أديباً بارعاً شاعراً مجيداً، ونظمه فائق ونثره بديع، وكلامه المرسل سهل حسن، وأغراضه جليلة، وذكره شهير، ورحلته نسيج وحدها، طارت كل مطار»[7] وكان له ديوان سماه «نظم الجمان» وآخر بعنوان «نتيجة وجد الجوانح في تأبين القرن الصالح» يتضمن المراثي التي ألفها في رفيقة حياته أم المجد، ختمه بخمس موشحات فيها. ولم يصل إلينا شيء منها.

● الأريسي الجزائري (أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد) أواسط القرن السابع:

ذكر الغبريني أنه كان «حسن النظم والنثر،.. وكان سهل الشعر، وكان كثير التجنيس، يأتيه عفواً من غير تكلف.. وكان مليح التواشيح» [8]

وذكر أنه على رأس كتبة الديوان ببجاية.

● ابن ميمون القلعي (أبو عبد الله محمد بن الحسن بن ميمون التميمي[9] المتوفى سنة 673 هـ:

ينسب إلى قلعة بني حماد، ونشأ بالجزائر وأقام في بجاية، وكان من شيوخ الغبريني صاحب «عنوان الدراية»، وفيه أنه «كان في علم العربية مقدماً محكماً لفنونها الثلاثة، النحو، اللغة، والأدب.. وهو أفضل من لقيت في علم العربية.. وهو أكثر الناس شعراً، وتواشيحه حسنة جداً.»

● ابن حنون (أبو العباس أحمد، الأشبيلي) [10]:

قال عنه ابن سعيد في «المغرب:

«من بيوت أشبيلية وأغنيائها، آل أمره إلى أن اتهم بالقيام على السلطان (يوسف ابن عبد المؤمن الذي حكم من 558 إلى 580 هـ) وهو ممن ذكره صفوان في كتاب «زاد المسافر» وذكر نماذج من شعره، وقال إن «له موشحات مشهورة»ذكر واحدة منها هي التي أولها:

أبـــى أنْ يـــجـــودَ بـــالـــسّـــلام

فـــكـــيـــف يـــجـــودُ بـــالـــوصـــالْ

مَـــنْ كـــانـــت تحـــيـــةُ الـــوداع
مـــنـــه قـــبـــلـــةٌ عـــنـــد الـــزّوالْ
عـــنـــاءُ المُـــتَـــيّـــم المُـــعَـــنّـــى
أثـــاب إلـــيـــه أو تجـــنّـــى
يـــروقـــكَ مـــنـــظـــراً وحُـــسْـــنـــاً

والخرجة تأتي بالعامية على لسان المحبوبة التي تنشد:

خـــلـــقـــت مـــلـــيـــح عـــلـــمـــت رام
فـــلـــسْ نـــخـــلّـــه ســـاعـــة عـــن قـــتـــالْ
وتـــعـــمـــل بـــذي الـــعـــيـــنـــين مَـــتـــاع
مـــا تـــعـــمـــل أربـــاب الـــنـــبـــالْ

● ابن غياث (أبو عمرو):

قال عنه ابن سعيد:

«شاعر مشهور من شعراء المائة السابعة، اجتمع به والدي في سبتة» [11]

توفى سنة 620 هـ، ولا نعرف له إلا قطعة من موشحة، أولها:

طـــال عـــنـــكـــم مَـــغـــيـــبـــي
فـــلـــم تـــراعُـــوا ودَادي
ذاك شـــأن الـــغـــريـــب
يُـــنْـــسَـــى بـــطـــول الـــبـــعـــاد

● ابن جعفر (عبد الله، الأشبيلي) [12]

قال عنه ابن سعيد:

«كان وشاحاً مطبوعاً: ظريفاً لطيفاً، ولم يذكر له موشحات، واكتفى ببيتين له. ولم نجد شيئا عن موشحاته في المصادر الأخرى.

● ابن حريق (أبو الحسن علي) المتوفى سنة 622 هـ

جاء عنه في «المغرب:

«أخبرني والدي: أنه اجتمع به في سبتة، في مدة مستنصر بني عبد المؤمن، وقد قصد صاحب أعمالها ابن عبد الصمد مادحاً، للذائع من

كرمه، فرأى خير من يجتمع به أدباً وشعراً وظرفاً وحسن زي. قال: وشهدت له بحفظ الآداب والتاريخ»

وأورد له موشحة يقول فيها:

سَـــلْ حـــارسَـــيْ روضــة الجَـــمـــال
وصـــولَـــجَـــيْ ذلـــك الـــعـــذَارْ
مَـــنْ تـــوّج الـــغـــصـــنَ بـــالـــهـــلال
وأنـــبـــت الـــوردَ فـــي الـــبّـــهـــارْ

ومنها:

ونـــاصـــح قـــال يـــا غـــريـــب
أســـرفـــتَ فـــي الـــبـــثِّ والحَـــزَنْ
لـــلـــمـــرء مـــن دمـــعـــه نـــصـــيـــبُ
والـــروحُ مـــا إن لـــه ثَـــمَـــنْ
ويـــحـــك لا عـــيـــشـــةٌ تـــطـــيـــبُ
ولا نـــديـــمٌ ولا سَـــكَـــنْ
فـــخـــلّ عـــيـــنـــى فـــي انـــهـــمـــال
يـــقـــرُّ لـــلـــدمـــع مـــن قـــرارْ
وابـــك مـــعـــي رقـــة لحـــالـــي
بـــكـــاءَ غـــيـــلانَ فـــي الـــديـــارْ

وهي من عيون الموشحات الأندلسية.

● الميورقي (ابن عبد الولي) [14]:

جاء عنه في «المغرب:

«أخبرني من اجتمع به أنه كان شاعراً وشاحاً» ولسنا نعرف من موشحاته شيئاً

● المتيطي (أبو جعفر أحمد بن جعفر) [15]

في «المغرب:

«سكن سبتة، ولهذا البيت فيها مجد شامخ، وتصرف في ولايات، وكان أبو جعفر مشهورا بالتوشيح» ولم يذكر له شيئا من موشحاته.

● يحيى الخزرج: [16]
وشاح، ذكره ابن سعيد في معرض الحديث عن موشحات ابن حزمون ويفهم من السياق أن موشحاته كانت تتسم بالتكلف.

● ابن الصابوني (أبو بكر محمد بن أحمد، الأشبيلي، الملقب بالحمار)[17].
جاء عنه في «المغرب»
«اجتمعت به في اشبيلية، والناس يجعلونه شاعرها المشار إليه، وكان قد تقدم عند مأمون بني عبد المؤمن، ثم رأى أن يقصد سلطان أفريقية، فلقيه في مليانه، ومدحه «ثم رحل إلى مصر، فلم يجد فيها من قدّره، وعاجلته بها منيته فات بالإسكندرية، قبل سنة ثمان وثلاثين وستمائة»
وفي «المقتطف» خبر يقول فيه ابن سعيد:
«وسمعت أبا بكر الصابوني ينشد للأستاذ أبي الحسن الدباج موشحات له غير مامرة، فما سمعته قال: لله درك، إلاّ في قوله:

قسماً بالهَوَى لذي حجْر
ما لليل المَشُوق من فجْر
جمد الصبحُ لي يطرّدُ
ما لليالي فما أظنّ غدُ
صحّ يا ليل أنكَ الأبَدُ
أو فقُصّتْ قوادم النّسر
أم نجومُ السّماء لا تسري

● مطرف
جاء في «المقتطف» بعد الحديث عن المهر بن الفرس:
«وكان معه في بلده مطرف. أخبرني والدي أنه دخل على ابن الفرس المذكور فقام له وأكرمه، فأشار عليه بأن لا يفعل، فقال: كيف لا أقوم لمن يقول:

قلوبٌ تصابَتْ
بألحاظ تصيبُ

فـــــقـــــل كـــــيـــــف تـــــبـــــقـــــى
بـــــلا وجـــــد قـــــلُـــــوب (18)

ولعله «مطرف بن مطرف» المذكور في «المغرب»، وفيه:

«اجتمع به والدي، وأثنى عليه في طريقة الشر، وذكر أنه قتله النصارى في الواقعة التي كانت سنة تسع وستمائة» (19) وهي الوقعة المعروفة باسم العقاب وذكر له نموذجاً من شعره.

● ابن الفضل (أبو الحسن علي)(20)

جاء عنه في «المغرب:

«هو ممن لقيته بحضرة أشبيلية، وكان بينه وبين والدي صداقة متمكنة، وسكن أشبيلية، وساد فيها، وولى بها خطة الزكاة والمواريث، وهي نبيهة هنالك،.. و بنو الفضل أعيان أر يوله، وهو عينهم، وأنشد مأمون بني عبد المؤمن-أول ما بويع في أشبيلية بالخلافة...-قصيدة.. الخ» وأشاد به ابن سعيد في «القدح المعلى» وقال إن موشحاته ذاعت بالمشرق والمغرب (21)، كذلك يذكر في «المقتطف» نقلاً عن والده أن أبا الحسن بن مالك قال لابن الفضل:

«يا ابن الفضل لك على الوشاحين بقولك الفضل:

واحـــســـرتـــا لـــزمـــان مـــضَـــى
عـــشـــيـــةَ بـــان الـــهـــوىَ وانـــقـــضَـــى
وأفـــردتُ بـــالـــرّغـــم لا بـــالـــرّضـــى
وبـــتّ عـــلـــى جـــمـــرات الـــغَـــضَـــا
أعـــانـــقُ بـــالـــوهـــم تـــلـــكَ الـــطّـــلـــولْ
وألـــثـــمُ بـــالـــفـــكـــر تـــلـــك الـــرُّسُـــوم»(22)

وهذه القطعة من موشحة جاءت بتمامها في «المغرب»، ومطلعها:

ألا هَـــلْ إلـــى مـــا تـــقـــضّـــي ســـبـــيـــلْ
فـــيـــشـــفَـــي الـــغـــلـــيـــلُ وتـــوسَـــي الـــكُـــلـــومْ

وهناك موشحة أخرى أولها:

عرّجْ بالحمى وأسألْ بالكثيب عنهم أينمَا
هـــــــــــذه الأربُـــــــــــعُ



مـــنـــهـــمُ بـــلـــقَـــعُ
أيـــــنَ الأدمــــــع
ضرّجها دماً وقُم بالنحيب نقيمُ مأتَمَا

كذلك يتضمن كتاب «المغرب» قطعة من موشحة هي:

فـــي طَـــرْف مـــن أهـــواه
ســـيـــفُ المـــنـــون
والـــقـــلـــبُ فـــي بـــلـــواهْ
ممّـــنْ يـــخُـــون
يـــا قـــدّ غـــصـــن الـــبـــانْ
إذا انـــثـــنَـــى
الـــراحُ والـــريـــحـــانْ
بـــل المُـــنـــى
فـــي ذلـــك الـــوســـنـــانْ
إذا رنَـــا
يـــا ربّ مـــا أقـــســـاهْ
تُـــرَى يـــهـــون
والـــصّـــبُّ مـــا أرجـــاهْ
مـــا لا يـــكُـــون

● ابن الهيثم (الأديب الهيثم بن أحمد بن أبي غالب) [23]، المتوفي سنة 630:

قال عنه ابن سعيد:

«حافظ اشبيلية، لم ألق بها أحفظ منه، وكان والدي يتعجب منه. ومن أعجب عجائبه أنه كان يملي على شخص شعرا، وعلى ثان موشحة، وعلى ثالث زجلا، وكل ذلك ارتجال دون توقف، وتنبه ذكره في مدة مأمون بني عبد المؤمن، وكتب له مدة». ولسنا نملك شيئاً من موشحاته.

● ابن عتبة (الطبيب الوشاح، أبو يوسف) [24] المتوفي سنة 636 هـ:

اجتمع به ابن سعيد في اشبيلية، وذكر أنه «كان طبيبا وشاحا مطبوعا،

ثم سافر إلى إفريقية، ثم إلى مصر، فمات في مرستان القاهرة».

وذكر له بعد ذلك قسما كبيرا من موشحة جميلة للغاية أولها:

الـرَّوضُ فـي حُـلَـل خـضـر عَـرُوسُ
والـلـيـل قـد أشـرقـت فـيـه الـكـؤوسُ
ولـيـس إلا حُـمـيّـاهـا شُـمُـوسُ
تُـجْـلـى بـكـفـيّ غـلام
كـالـغـصـن لـدْن الـقـوام
ريـقُـه سـلـسـبـيـلْ
يـشـفـي لـهـيـبَ أوامـي

ومنها:

فـقـمْ نـبـاكـرهـا لـلاصـطـبـاح
والـشـهـبُ تُـنْـثَـرُ مـن خـيـط الـصـبـاح
والـقـضـبُ تـرقـصُ فـي أيـدي الـريـاح
عـلـى غـنـاء الحَـمـام
والـكـأسُ ذاتُ ابـتـسـام
والـظّـلامُ قـتـيـلْ
والـصـبـحُ دَامـي الحـسـام

● ابن عربي (محيي الدين، أبو عبد الله محمد بن علي الطائي الحاتمي) المتوفي سنة 638 هـ: [25]

الصوفي المعروف. له في «النفح» ترجمة ومختارات في اكثر من عشرين صفحة، موجزها أن مولده بمرسية، سنة 650 هـ، ودرس في أشبيلية، وبها أمضى عشرين سنة، ثم ارتحل إلى المشرق، وأخذ عن العلماء، وطوف في مصر وبلاد الروم، وأقام في أخريات حياته بدمشق، وبها توفى.

وتختلف الآراء في ابن عربي، والى هذا يشير الذهبي عندما قال «إن له توسعا في الكلام، وذكاء، وقرة خاطر، وحافظة، وتدقيقا في التصوف، وتواليف جمة في العرفان، لولا شطحه في كلامه وشعره» [26]

وأورد الغبريني في «عنوان الدراية» فهرست مؤلفات ابن عربي، وتتضمن ما يزيد عن مائتين وخمسين عنوانا [27]، والذي يعنينا منها ديوانه الأكبر،

ويعد أهم مصدر عن الموشحات الصوفية، ويضم قرابة ثلاثين موشحة، وقد أشرنا إلى واحدة منها عند الحديث عن الموشحات الدينية والصوفية، جاءت على وزن موشحة ابن زهر، «أيها الساقي»، وله موشحة أخرى على وزن «جرر الذيل أيما جر» المنسوبة لابن باجة. وموشحة ابن عربي تبدأ بـ:

ألا بـــأبـــي مـــن ضـــمّـــه صـــدري

وأدريـــه قـــطـــعـــا وهـــو لا يـــدري

لـــقـــد أقـــسَـــم الحـــقّ بمـــا أقـــسَـــمْ

وعـــلـــمّـــنـــا مـــا لـــم نـــكـــنْ نـــعـــلَـــمْ

وأوضـــح لـــي مـــا كـــان قـــد أبـــهـــمْ

وكلها تسبح في مثل هذا التهويم: لقد اتضح له ما كان مبهما، وصح ما كان يثبته وقتا وينفيه، ثم يأتي المقطع الختامي:

وجـــاريـــة بـــاتـــتْ تـــغـــنـــيـــه

وتـــوحـــي إلـــى الـــغُـــيْـــر وتـــعـــنـــيـــه

ومـــا تـــبـــتـــغـــى إلا لـــتـــعـــنـــيـــه

أجـــــرّ ذيـــــلـــــي أيمّـــــا جـــــرّ

فـــأوصـــل مـــنـــك الـــســـكـــر بـــالـــســـكـــرّ

وموشحات ابن عربي لا تخضع في مجموعها لشكل الموشحة التقليدية، فضلا عن أن كثيرا منها تتمثل فيه ظاهرة «التزنيم».

● ابن سهل (أبو إسحاق إبراهيم، الاشبيلي، الإسرائيلي) المتوفي سنة 649 هـ (؟) قال عنه ابن سعيد في «المغرب: [(28)]

«قرأت معه في اشبيلية على أبي الحسن الدباج وغيره، وكان من عجائب الزمان في ذكائه على صغر سنة، يحفظ الأبيات الكثيرة من سمعة، وبلغني الآن أنه شاعر خليفتهم بمراكش»، وهذه النقطة الأخيرة مثار تساؤل، إذ يخلو الديوان من أي نص يؤكدها، ولا يوجد ما يعضدها في المصادر الأخرى عن ابن سهل، والشيء الثابت أن الشاعر عمل كاتبا لدى ابن خلاص، والى سبتة من قبل الموحدين ثم الحفصيين.

وهناك نقطة أخرى تثير الجدل، وتتعلق بمدى صحة إسلام ابن سهل، ونبذه لدين اليهودية، وفي هذا الصدد يذكر ابن سعيد أنه سأله عن هذا

الأمر فأجابه: «للناس ما ظهر ولله ما استتر».

والذي يعنينا أن ابن سهل كان شاعرا مجيدا، وبخاصة في الغزل، أما في الموشحات فإن براعته فيها-كما يقول د. إحسان عباس-«لا تقل عن براعته في القصيد الغزلي، وان كان يسلك لإظهارها طريقا آخر، هو ذلك التفن القائم على تنويم النغمات، فوشحاته مظهر للتفاوت الكثير في إظهار قدرته على إتقان نغمات متباعدة، والتخلص بقدرة فائقة-تشبه عفويته في القصيد الغزلي-بين مزاحمة التقسيمات التي لا تخلو من جرأة على البناء المركب.. إن الجمع بين الصنعة الدقيقة والسهولة التعبيرية في هذه الموشحات يجعل ابن سهل في فن الموشح غير متخلف عن أعلامه الكبار، أمثال الأعمى التطيلي وابن بقي وابن زهر الحفيد في تاريخ التوشيح بالأندلس» وقد سلمت أربع وعشرون موشحة مما ألف ابن سهل، أشهرها، ولا ريب، تلك التي تستهل بـ:

هــل درَى ظـــبــيُ الحــمـــى أن قـــد حَــمَـــى

قـــلـــبَ صـــب حـــلّـــه عـــن مـــكـــنـــس

فـــهـــو فـــي حـــرّ وخَـــفْـــق مـــثـــلـــمـــا

لـــعـــبـــت ريـــحُ الـــصَّـــبـــا بـــالـــقـــبَـــس

وكلها تدور حول موضوع واحد هو بث المشاعر الوجدانية النبيلة، وحتى الخرجة تأتي متشحة بتلك الغلالة الشفيفة الصافية، وهي-مع البيت الذي يسبقها:

أنـــفـــدت دمـــعـــي نـــارٌ فـــي ضـــرامْ

تـــلـــتـــظـــى فـــي كـــلّ حـــين مـــا يـــشَـــا

هـــي فـــي خَـــديْـــه بـــردٌ وســـلامْ

وهـــي ضـــرٌّ وحـــريـــق فـــي الحـــشَـــا

أتـــقـــى مـــنـــه عـــلـــى حـــكـــم الـــغـــرامْ

أســـــداً ورداً، وأهـــــواه رشَـــــا

قـــلـــتُ لمـــا أن تـــبـــدّى مُـــعْـــلَـــمـــا

وهـــو مـــن ألحـــاظـــه فـــي حَـــرَس:

أيـــهـــا الآخـــذُ قـــلـــبـــي مَـــغْـــنَـــمـــا

اجـــعـــل الـــوصـــلَ مـــكـــان الخُـــمُـــس

وفي الخرجة مخالفة لما قرره ابن سناء الملك من ضرورة أن يأتي في البيت الذي قبل الخرجة: قال أو قلت أو قالت.. الخ، إذ أن هذا الشرط جاء في ثنايا الخرجة لا في البيت الذي قبلها.

ومن اشهر موشحات ابن سهل قوله:

يـــا لحـــظـــات لـــلـــفـــتَـــنْ

فـــي كـــرّهـــا أوفَـــى نـــصـــيـــبْ

تـــرمـــى وكـــلّـــي مـــقـــتـــلٌ

وكـــلُّـــهـــا سَـــهْـــمٌ مـــصـــيـــبْ

وهي موشحة جميلة، اكتملت فيها كل خصائص الموشحات الأندلسية الأصيلة، من حيوية، وروح شعبية، و بساطة في التعبير والصور. والخرجة تأتي في هذه المرة بالعامية، وفي البيت الذي قبلها يقول العاشق إنه نكاية في الرقباء سيغني:

هـــذا الـــرّقـــيـــب مـــا أســـواه بـــظـــن

أش لـــو كـــان الإنـــســـان مـــريـــبْ

يـــا مـــولـــتـــي قُـــمْ نـــعـــمـــلُـــو

ذاك الّـــذي ظـــنّ الـــرقـــيـــب!

ولابن سهل موشحة تبدو وكأنها تنتمي لعالم الخيام، بما فيها من تأمل وشجو وجنوح إلى النسيان والأبيقورية:

رحّـــبْ بـــضـــيـــف الأنـــس قـــد أقـــبـــلا

وأجـــل دُجـــى الـــهَـــمّ بـــشـــمـــس الـــعـــقـــارْ

ولا تـــســـلْ دهَـــرك عـــمـــا جـــنـــاه

فـــمـــا لـــيـــالـــي الـــعُـــمْـــر إلا قـــصَـــارْ

عـــنـــدي لأحـــداث الـــلـــيـــالـــي رحـــيـــقْ

تـــرد فـــي الـــشـــيـــخ ارتـــيـــاحَ الـــشّـــبـــابْ

كـــأنّـــمـــا فـــي الـــكـــأس مـــنـــهـــا رحـــيـــقْ

وفـــي يـــد الـــشـــارب مـــنـــهـــا خـــضَـــابْ

وحـــقّـــهـــا مـــا هـــي إلا عـــقـــيـــقْ

أجـــريـــتُ أنـــفـــاســـي فـــيـــه فـــذابْ

فــاجـــن المُـنـــى بـــين الـــطّـــلـــى والـــطّـــلا
وأقـــدحْ عـــلـــى الأقـــداح مـــنـــهـــا شَـــرارْ
وقـــل لـــنَـــاه ضـــلّ عـــنـــه نُـــهـــاه
كـــفـــى الـــصّـــبـــا عـــذراً لخـــلـــع الـــعـــذَارْ

● الششتري (أبو الحسن علي بن عبد الله) المتوفى سنة 668 هـ [29]
نسبة إلى ششتر، من أعمال وادي آش، وذكر المقري في «النفح» أن «زقاق الششتري معلوم بها»، ووصفه بـ «عروس الفقهاء، وإمام المتجردين، وبركة لابسي الخرقة،.. وكان مجودا للقرآن، قائما عليه، عارفا بمعانيه، من أهل العلم والعمل» ونقل عن الغبريني صاحب «عنوان الدراية» قوله:

«الفقيه الصوفي، من الطلبة المحصلين، والفقراء المنقطعين، له علم بالحكمة ومعرفة بطريق الصوفية، وتقدم في النظم والنثر على طريقة التحقيق، وأشعاره وموشحاته وأزجاله الغاية في الانطباع».

وللششتري ديوان حققه د. علي سامي النشار استنادا إلى سبع عشرة مخطوطة، يقول في مقدمته إن الششتري «أول من استخدم الزجل في التصوف، كما أن محيي الدين بن العربي أول من استخدم الموشح فيه، وللرجلين فضل السبق في هذا المضمار»، ويضم هذا الديوان سبعين موشحة وزجلا فضلا عن أزجال ومقطعات زجلية أخرى وردت في عدد محدود من النسخ، وهناك قدر لا بأس به من «المزنمات» وعدد منها وصف بأنه من «الموشحات» ولا يكاد يمت إليها بنسب، وكثيرا ما يخرج الششتري عن الشكل التقليدي للموشحة، مثل قوله:

طـــاب نـــقـــلـــي وشَـــرابـــي
وحـــبـــيـــبـــي اعـــتـــنَـــى بـــي
فـــاعـــذرونـــي يـــا صـــحـــابـــي
فـــي سُـــجـــودي واقـــترابـــي
خـــمـــرةٌ راق شـــذاهـــا
كـــلُّ نـــور مـــنْ سَـــنـــاهـــا
قـــام ســـاقـــهـــا سَـــقـــاهـــا
اجـــعـــلُـــوهـــا احـــتـــســـابـــي

أنـــــا ســـــــكـــــرانُ مـــــنْ هـــــواه
لـــــيـــــس لـــــي راحٌ ســـــواه
كـــلّـــمـــا نـــاديـــتُ: يـــا هـــو
كـــان: (لـــبّـــيـــكَ) جـــوابـــي

أو قوله في أخرى، ويتكرر فيها القفل على نحو يخالف المألوف في الموشحة الأندلسية التقليدية:

قـــد ظـــهَـــرتْ فـــي مـــرآتـــي
عـــنـــد رمـــيـــي لـــلـــمـــنـــسَـــاتـــي
لـــم أجـــدْ بـــدّا مـــن بـــدّي
قـــد أتـــيـــتُ لـــي مـــنْ عـــنـــدي
فـــوق مـــتن وَهْـــم الـــبُـــعْـــد
خـــيـــر مـــوجـــود
عـــابـــدٌ مـــعـــبـــود
لـــيـــس بـــالمـــفـــقـــودْ
وبمـــحـــوه اثـــبـــاتـــي
قـــد ظـــهـــرت فـــي مـــرآتـــي
عـــنـــد رمـــيـــي لـــلـــمـــنـــســـاتـــي

ولكن هناك عددا من النصوص يأتي وفقا للطابع التقليدي أو قريبا منه، مثل:

صاح هذي الأسرار　　قد أشعَلَتْ في الحشا　　مني النّارْ

مـْــذ لاح لـــي ســـرٌّ مَـــنْ نـــهـــواهُ
لـــم أســـتـــطـــعْ كـــتـــمَ مـــا ألـــقـــاهُ
مـــن شـــجـــو قـــلـــبـــي ومـــن شـــكـــواهُ

ويحَ قلبي قد طارْ　　في ذا الهوى سابحاً　　ذا استهتارْ

وله أخرى عارض فيها موشحة الأعمى التطيلي «ضاحك عن جمان» وأول موشحة الششتري:

قـــبـــل كَـــوْن الـــزمـــانْ
ووجـــود الـــسّـــكْـــرْ
أسْـــكَـــرتـــنـــي بـــدانْ
الـــهـــوى والخـــمـــرْ

قـــــــمـــــــرُ الـــــــرُّشـــــــد لاح
وأنـــــار الـــــفـــــكْـــــرا
ونـــــســـــيـــــمُ الـــــصّـــــبـــــاح
طـــــاب مـــــنـــــه نَـــــشْـــــرا
وبـــــــــــــــــــــــــروح راحْ
عـــــاد شـــــفـــــعـــــي وَتْـــــرا
وأنـــــا فـــــي مـــــهْـــــرَجـــــان
طـــــول حـــــيـــــاتـــــيْ عـــــمْـــــري
عـــــزّتـــــي فـــــي الـــــهـــــوان
وغـــــنـــــائـــــي فـــــقـــــري

والتزنيم واضح (في القفل الأخير) في قوله «طول حياتى عمري»، فضلا عن خلوه من المعنى.

وهناك بعض نصوص يشك في صحة نسبتها للششتري، مثل النص الذي أوله:

كـــــلّـــــمـــــا قـــــلـــــتُ بـــــقـــــريـــــي
تـــــنـــــطـــــفـــــي نـــــيـــــرانُ قـــــلـــــبـــــي

ويأتي بدوره في ديوان ابن وفا [30]، وموشحة رفيعة المستوى أولها:

شـــــربـــــنَـــــا مـــــدامـــــا بـــــلا آنـــــيـــــةْ
فـــــلا تحـــــســـــبـــــوا عـــــيـــــنـــــهـــــا آنـــــيـــــةْ

وينسب في بعض النسخ الديوان لغيلان المصري، وهي نسبة تؤكدها عبارة جاءت في ديوان صفي الدين الحلي، الذي عارض الموشحة السابقة، وقال إن الأصل لغيلان الغول المصري [31] ونسجل-من جانب آخر-أن هذه الموشحة تختلف في نسيجها عن بقية موشحات الششتري.

● ابن موراطير (أبو الحجاج يوسف):

ينسب إلى موراطير، قرية من قرى بلنسية. جاء عنه في «عيون الأنباء»[32]:

«كان فاضلا في صناعة الطب، خبيرا بها، مزاولا لأعمالها، محمود الطريقة، حسن الرأي، عالما بالأمور الشرعية. وكان أديبا شاعرا محبا

للمجون كثير النادرة»

ونقل عن القاضي أبي مروان الباجي أنهما كانا في تؤنس مع الملك الناصر (من ملوك الموحدين) في وقت اشتد فيه الغلاء، وعز وجود الشعير: «فعمل أبو الحجاج بن موراطير موشحا في الناصر، وأتى في ضمنه تغيير بيت عمله الحفيد أبو بكر بن زهر في بعض موشحاته، وذلك أن ابن زهر قال:

مـــا الـــعــــيـــدُ فـــي حُـــلّـــة وطـــاق
وشـــــــمّ طـــــــيـــــــب
وانمـــا الـــعــــيـــدُ فـــي الـــتـــلاقـــي
مـــــع الحــــبــــيــــب

فعمل ابن موراطير:

مـــا الـــعــــيـــدُ فـــي حُـــلّـــة وطـــاق
مـــــنَ الحــــريــــر
وانمـــا الـــعــــيـــدُ فـــي الـــتّـــلاقـــي
مـــــع الـــشـــعـــيـــر

فأطلق له الناصر عشرة أمداد شعير كانت. وكان أبو الحجاج بن موراطير قد خدم بصناعة الطب المنصور أبا يوسف يعقوب، ولما توفى المنصور خدم لولده الناصر. ومات في مراكش، في دولة المستنصر».

● ابن سعيد المغربي (علي بن موسى)، المتوفى سنة 673 هـ:

الشاعر الأديب الرحالة، صاحب «المغرب في حلى المغرب» و«المشرق في حلى المشرق»، وغيرهما من الآثار الجليلة [33]

ولا يعرف له إسهام في مجال الموشحات، غير أن الصفدي عده في «توشيع التوشيح»[34] من بين السابقين في مضمار التوشيح.

● المرحل (أبو الحكم، مالك بن عبد الرحمن، المالقي) المتوفى سنة 699:

وصفه صاحب «النفح» بـ«الإمام العالم الشهير الأديب مالك بن مرحل المالقي ثم السبتي»[35]، ولا تعرف له موشحات، وقد عده الصفدي في «التوشيع» [36] من بين كبار وشاحي الأندلس والمغرب.

8 وشاحون من القرنين الثامن والتاسع الهجريين

● أبو حيان (أثير الدين محمد بن يوسف، الغرناطي) المتوفى سنة 745 هـ [1]:

العالم اللغوي الشاعر الأديب. نقل المقري عن «أعيان العصر» أنه كان لأبي حيان «نظم ونثر، وله الموشحات البديعة، وهو ثبت فيما ينقله، محرر لما يقوله عارف باللغة ضابط لألفاظها، وأما النحو والتصريف، فهو إمام الناس كلهم فيهما، لم يذكر معه في أقطار الأرض غيره في حياته وله اليد الطولي في التفسير والحديث، والشروط والفروع، وتراجم الناس وطبقاتهم وحوادثهم، خصوصا المغاربة».

ولأبي حيان موشحتان معروفتان. الأولى عارض بها شمس الدين التلمساني في موشحته:

قَمَرٌ يجلُو دُجَى الغَلَس

بهر الأبصارَ مذ ظهرا

(ولعل التلمساني تأثر فيها بموشحة: «خذ حديث الشوق عن نفسي» التي تنسب لابن بقى، كما تنسب لابن الزقاق)، وأول موشحة أبي حيان:

عـــاذلـــي فـــي الأهـــيـــف الأنـــس
لـــو رآه الـــنَـــاس قـــد عـــذَرا
رشَـــا قـــد زانَـــهُ الحَـــوَر
غـــصـــنٌ مـــن فـــوقـــه قـــمـــرُ
قـــمـــرٌ مـــن سُـــحْـــبـــه الـــشّـــعَـــرُ
ثـــغـــرٌ فـــي فـــيـــه أم دُرَرُ
جـــال بـــين الـــدرّ والـــلّـــعَـــس
خـــمـــرةٌ مـــن ذاقـــهـــا سَـــكـــرَا

وهي موشحة رفيعة المستوى، تتميز بعذوبة الإيقاع وصفاء المعاني. وهي تنتهي بـ:

نَـــصَـــب الـــعـــيـــنـــين لـــي شـــركـــا
فـــانـــثـــنـــى والـــقـــلـــبُ لـــي مـــلَـــكـــا
قـــمـــرٌ أضـــحـــى لَـــه فَـــلَـــكـــا
قـــال لـــي يـــومـــاً وقـــدْ ضـــحـــكـــا
أتجـــي مـــن أرض أنـــدلـــس
نـــحـــو مـــصـــر، تـــعـــشـــقُ الـــقَـــمـــرا ؟

وأما الثانية فتبدأ بـ:

إنْ كـــان لـــيـــلٌ داجْ
وخـــانـــنـــا الاصـــبـــاح
فـــنـــورُهـــا الـــوهّـــاجْ
يُـــغـــنـــي عـــن المـــصْـــبـــاحْ

ولا تقل هذه الموشحة جودة عن الأولى، وقد روعيت فيهما معاً التقاليد الفنية الأندلسية للموشحة.

● ابن خاتمة (أحمد بن على، الأنصاري، المريني) [2]، المتوفي سنة 770 هـ: نسبة إلى المرية، من مدن دولة غرناطة، وله مؤلفات منها «مزية المرية على غيرها من البلاد الأندلسية»، لم يصل إلينا، وأعتمد عليه المقري في كثير من المواضع، وله «تحصيل غرض القاصد في تفصيل المرض الوافد»، رجل مشهور في عصره بفنون الثقافة المختلفة: شاعر وكاتب ومترسل،

وفقيه ومصنف وزاهد، أثنى عليه معاصره وصاحبه وصديقه لسان الدين بن الخطيب.. [3]» وبخاصة في «الإحاطة» و «الكتيبة الكامنة» وكذلك إسماعيل بن الأحمر في «نثير فرائد الجمان» و «نثير الجمان».

ولابن خاتمة ديوان نشر مؤخراً يضم ثماني عشرة موشحة رفيعة المستوى، تتمثل فيها خصائص الموشحة الأندلسية الأصيلة، من حيوية وبساطة وروح شعبية آسرة، وليس فيها شذوذ في البناء، كما يلحظ أحياناً في أعمال متأخري الوشاحين.

ومن موشحات ابن خاتمة:

يا مصباحْ قد أخجل الاصباح هل تلتاح

يا بدرُ أو ترتاحْ لذي وُدّ

وشكل هذه الموشحة يذكر بموشحات ابن عبادة القزاز، وبخاصة:

هـــل يــــتـــــاحْ لـــــــلأرواحْ

مــــن ظـــبـــاكْ يـــا ســــفّـــاحْ

ويلاحظ أن ابن خاتمة كثيراً ما يلجأ إلى الإكثار من الأجزاء في الأقفال مثل موشحته التي أولها:

هـل فـي ارتـيـاحـي إلـى المـلاح أو إلـى الـشـمـول بـأس يا عـذول

فـــدع لــــومَ مـــــفــــتـــون

فـعـشـق خـود وشـرب راح إنمـا يـلام غـيـري فـي المـدام

وفـــــي الخـــــرد الـــعــــين

هــذي عـــروسُ الـــريـــاض تَـــجْـــلَـــى

مـــن رائـــق الـــزهـــر فـــي حُـــلَـــل

والجـــوّ بـــالـــغـــيـــم قـــد تحـــلّـــى

ولاحـــت الـــشـــمـــسُ مـــن خَـــلَـــلْ

وخـــبّ فـــصـــلُ الـــربـــيـــع طـــفْـــلا

يـــســـقـــيـــه ثـــدي الحـــيـــا عَـــلَـــلْ

فـــســـقّـــنـــي بـــالـــكـــبـــيـــر وامـــلا

إنــــي كــــبــــيــــرٌ ولا تُــــبَــــلْ

والخرجة جاءت هنا معربة، ولكن ألفاظها «غزلة جداً، هزازة سحارة

خلابة، بينها وبين الصبابة قرابة» وهذا شرط الخرجة المعربة غير المدحية، كما نصت على ذلك مقدمة «دار الطراز»... ومن موشحاته[4] الجميلة:

فــــي طـــاعـــــة الـــنّــــديم
وفـــــي هـــــوى الحــــســـــان
عَـــصَـــــيْــــتُ كـــلّ عـــاذل
ودنْــــتُ بــــافـــتـــتــــان

وموضوعها-شأنها في ذلك شأن بقية موشحات ابن خاتمة-يدور حول الغزل، ولكن المحبوب هنا غلام نصراني، واستطاع الوشاح أن يبرز طبيعة هذا الحب في صور رشيقة معبرة:

عَــــلـــــقْــــتُـــــه غـــــزالا
لـــلـــرّوم مـــنـــتـــهـــاهُ
زنّـــــارُه اســــتــــمـــالا
حـــلْـــمـــي إلـــى صـــبـــاهُ
إنْ قـــــال لـــــي مـــقـــالا
لــــم أدْر مــــا عــــنــــاهُ!
أو اشـــتـــكـــي هـــمـــومـــي
لـــم يـــدرمـــا عـــنـــانْ
فـــالـــقَـــلْـــبُ فـــي حـــبـــائـــلْ
أيـــــدى هـــــواهُ عـــــانْ

وهو يقسم له بالأناجيل وبحرمة المسيح أنه لن يصغي إلى قول عاذل أو ناصح ويتوسل إليه في نهاية الموشحة:

قُــلْ كـــيـــفَ يـــســـتـــريـــحُ
صـــبّ مـــتـــيـــم
لـــســـانـــهُ فـــصـــيـــحُ
والحـــبّ أعـــجـــمُ
هـــا حـــالَـــتـــي تـــلـــوحُ
فـــهـــل مـــتـــرجـــمُ
صـــبـــى عـــشـــقـــت رومـــي
وش نـــحـــفـــظ الـــلـــســـان

الــــسّـــاع مـــا نـــشـــاكـــل
عـــاشـــقْ بـــتـــرجـــمـــانْ!

وهكذا تمضي موشحات ابن خاتمة، جياشة بمثل هذه الأجواء التي طالما حفلت أعمال الوشاحين القدامى، أمثال ابن عبادة القزاز، والتطيلي وابن بقي.

● العقرب (محمد)-من وشاحي القرن الثامن الهجري

جاءت له في «الروضة الغناء» موشحات، ورجح د. الجراري [5] أن المقصود هنا شاعر من إقليم لاش، ذكره لسان الدين بن الخطيب في «الإحاطة»، هو محمد بن علي الأوسي المدعو بالعقرب، ومن تلك المقطعات:

قـم تـرى الـفـجـرَ بـسـيـف مـنـتـضَى
شـقّ جـلـبـابَ الـدُّجـى لمـا أضـا
ضـحـكَ الـزّهـرُ بـثـغـر جـوهـرْ
وانـثـنـى الـغـصـنُ الـرطـيـبُ المـثـمـرْ
وشـدا الـطـيـرُ يـنـغـم الـوتَـرْ

● السدراتي (أبو عثمان سعيد بن إبراهيم) المتوفي نحو سنة 770 هـ:

ذكره إسماعيل بن يوسف بن الأحمر (من أمراء بني نصر، أصحاب غرناطة) في كتابه «نثير الجمان» وقال انه من أهل فاس، وأنه كان يعرف بـ «شهبون الأديب» ووصفه بـ «رئيس الأدباء، ونخبة الألباء، إلى إجادة في نظم الزجل، أذهبت عنه في الشعر الخجل... ونجم في التوشيحة (كذا في الأصل، ولعلها: في توشيحه) ولم تكن قريحته في نظمها بشحيحة..» [6].

وابن الأحمر (المتوفي سنة 807 هـ) ألف كتابه «نثير الجمان» سنة 776 وتحدث عن السدراتي مردوفاً بـ «رحمه الله» مما جعلنا نقول إن وفاته كانت نحو سنة 770 هـ.

ولا نعرف من موشحات السدراتي إلا نصاً وحيداً ورد في «نثير الجمان» في مدح مؤلف الكتاب، أوله:

نـشـرت فـيـكـم بـنـي نَـصْـر
لأبـي الـصّـدق رايـة الـنـصـر

وتدور من مطلعها إلى نهايتها حول المديح، وآخرها

يـــا أبـــا الـــصّـــدق أنـــت مـــولانـــا
كـــم نـــوال بـــذلـــتَ أغـــنـــانَـــا
رقـــت حُـــســـنـــاً وفـــقـــتَ إحـــســـانـــا
لـــك جـــودٌ كـــوابـــل الـــقَـــطْـــر
ومُـــقـــام أربَـــى الـــنـــسْـــر

ومن الجلي أنه يعارض هنا موشحة، «جرر الذيل أيما جر» التي تقدم ذكرها.

● ابن الصباغ الجذامي:

ذكر المقري في «أزهار الرياض» [7] بعض موشحات له، تدور في مجموعها حول الزهديات والمدائح النبوية، ولم نجد معلومات عنه، وفي «الكتيبة الكامنة» [8] للسان الدين بن الخطيب ذكر لكاتب شاعر فقيه يدعى ابن الصباغ العقيلي (توفى سنة 758هـ) كان وزيراً لبني نصر ملوك غرناطة، وجاءت معلومات عنه في «نثير الجمان» [9] و«نفح الطيب»وغيرهما.

أما نيكل [10] فيشير إلى شاعر يدعي الجذامي ذكر أن ابن الخطيب تحدث عنه في «الإحاطة» وقال إنه توفى بعد سنة 794 هـ.

● لسان الدين بن الخطيب (أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد عبد الله بن سعيد السلماني) [11]:

أحد أعلام الشعراء والمؤرخين بالأندلس. ولي الوزارة بغرناطة في عهد بني الأحمر، وبلغ على أيام الغني بالله محلا أثيرا، إلى أن شعر بتغيره عليه، ففر إلى المغرب، لكن الغني بالله ظل يسعى به واتهم لسان الدين بالزندقة، وسجن، ثم قتل خنقا، وأحرقت جثته، سنة 76 هـ.

وكانت آثاره قد أحرقت. في غرناطة، وعدت أيدي الضياع على كثير منها، ولكن ما وصل إلينا يدل على علم غزير، ومما طبع من أعماله كتاب «الإحاطة في أخبار غرناطة» و«الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة»، و«أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام» و«كناسة الدكان بعد انتقال السكان» و«روضة التعريف بالحب

الشريف» وكتابه «جيش التوشيح» الذي ضمنه مائة وخمسا وستين موشحة، كثير منها لا يوجد في أي مصدر آخر، وإن كان لم يقدم له إلا في سطور معدودات، هي-بعد حمد الله والصلاة على نبيه وآله ومن اتبع هداه-:

«ورتبت هذا الكتاب ترتيبا لا يخفى إحكامه، وبوبته تبويبا يسهل فيه مرامه، كلما ذكرت حرفا قدمت أرباب الإكثار، وأولى الاشتهار من بعد الاختيار، والبراءة من عهدة النسبة اتهاما للأخبار، ثم أتيت بالمجهول منها على الآثار، حتى كمل على حسب الوسع والاقتدار..»

وليس في «جيش التوشيح شيء من موشحات لسان الدين بن الخطيب، فالكتاب-في صورته التي وصلت إلينا-يقتصر على موشحات شعراء من القرن السادس الهجري، وقد أشار ابن خلدون إلى موشحة لسان الدين:

جادك الغيث إذا الغيثُ همي

يا زمان الوصل بالأندلس

وذكر قطعة كبيرة منها، وهذه الموشحة-ولا ريب-أشهر موشحات ابن الخطيب، بل لعلها أشهر الموشحات الأندلسية التي لا تزال تعرف إلى اليوم على نطاق وامع، وقد نسجها على منوال موشحة ابن سهل «هل درى»، وجاءت بتمامها في «نفح الطيب» وذكرتها عشرات المصادر والمراجع، مثل «عقود اللآل»، و «العذارى المائسات» و «روض الأدب» الخ.

وهذه الموشحة تأتي أطول بكثير مما هو معهود في الموشحات، فالموشح-كما نص على ذلك ابن سناء الملك-«يتألف في الأكثر من ستة أقفال وخمسة أبيات»، أما موشحة «جادك الغيث» فتأتي في أحد عشر قفلا وعشرة أبيات، وسيسير كثيرون ممن عارضوها في هذا التيار، [12]، بل ويطيلون اكثر مما فعل لسان الدين بن الخطيب، وفي هذا ما يقلل من قيمة الموشحات كعمل غنائي بالدرجة الأولى.

والنص يدور في مجموعه حول موضوع الحب وذكرياته، مع تصوير للطبيعة، لكنه لا يلبث أن يعرج بعد ذلك على مدح صاحب غرناطة، ليختم بـ:

هاكها يا سبْط أنصار العُلا

والذي إن عثرَ الدّهرُ أقالْ

غادةٌ ألبسها الحُسْنُ مُلاَ

تبهر العينَ جلاء وصقالْ

عــــارضـــــتْ لــــفـــظـــاً ومـــعـــنـــى وحُـــلا

قـــولُ مـــن أنـــطـــقـــه الحـــبّ فـــقـــالْ:

هـل دريَ ظبـيُ الحمـى أنْ قـد حَمـي قـلـبَ صبّ حلـه عـن مـكـنـس

فـــهــو فـــي حـــرّ وخـــفـــق مـــثـــل مـــا

لـــعـــبـــت ريـــحُ الـــصّـــبـــا بـــالـــقَـــبَـــس

وهكذا تكون خرجة موشحة ابن الخطيب هي نفسها مطلع موشحة ابن سهل الإسرائيلي.

ويمدنا المقري في «النفح» [13] و «الأزهار» [14] بنص آخر مسبوق بـ:

«قال لسان الدين بن الخطيب، رحمه الله تعالى،: ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها:

رُبّ لـــيـــل ظـــفـــرتُ بـــالـــبـــدر

ونجـــومُ الـــســـمـــاء لـــم تـــدر

حـــفـــظ الـــلـــهُ لـــيـــلَـــنـــا ورعـــى

أيّ شـــمـــل مـــن الـــهـــوى جُـــمـــعَـــا

غـــفـــل الـــدهـــرُ والـــرقـــيـــبُ مـــعـــا

لـــيـــت نـــهـــرَ الـــنـــهـــار لـــم يـــجْـــر

حـــكـــم الـــلـــهُ لـــي عـــلـــى الـــفَـــجْـــر

وأورد المقري كذلك قسما من موشحة أولها [15]:

كـــم لـــلـــيـــل الـــفـــراق مـــن غُـــصّـــة

فـــي فـــؤاد الـــعـــمـــيـــد

نـــرفـــع الأمـــرّ فـــيـــه والـــقـــصّـــة

لـــلـــولـــيّ الحَـــمـــيـــد

رحـــل الـــركـــبُ يـــقـــطـــع الـــبـــيـــدَا

بـــســـفـــين الـــنّـــيـــاقْ

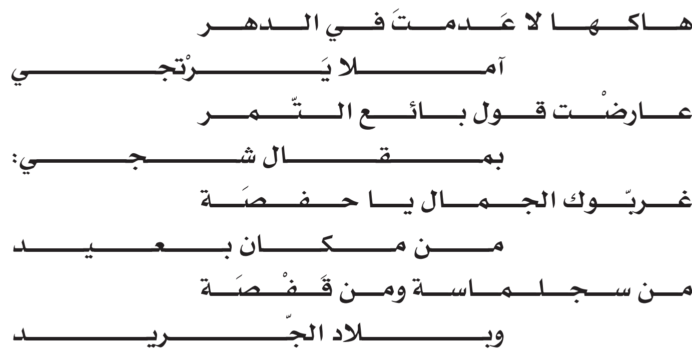
حـــســـبـــت لـــيـــلـــةَ الـــلـــقـــاء عـــيـــدَا

فـــهـــي ذاتُ اشـــتـــيـــاقْ

وفي آخرها يستدير إلى الممدوح:

يـــا إمـــامَ الـــعـــلاء والـــفـــخـــر

ذا الـــسّـــنـــا المُـــبـــهـــج



هاكها لا عَدمتَ في الدهر
آملا يَرْتجي
عارضْت قول بائع التّمر
بمقال شجي:
غربّوك الجمال يا حفصَة
من مكان بعيد
من سجلماسة ومن قَفْصَة
وبلاد الجّريد

وهذه الإشارة إلى «قول بائع التمر» تمثل مظهرا من مظاهر الالتفات إلى الجانب الشعبي، الذي كان متقدمو الوشاحين يحرصون عليه، والذي ضؤل شأنه عند المتأخرين منهم. وهذه الخرجة يصح أن تنطق معربة أو خالية من الإعراب.

ويورد المقري بعد ذلك «من المنسوب إلى محاسنه» مطلعا:

قد حرّك الجُلْجُلُ بازي الصّباح
والفجرُ لاحْ
فيا غرابَ الليل حُثّ الجَنَاحْ

قال بعده: «وهذا مطلع موشح بديم له لم يحضرني الآن تمامه، لكوني تركته وجملة من كلام لسان الدين في كتبي المغرب.. وهو معارض للموشح الشهير الذي أوله:

بنفسجُ الليل تذكّى وفاحْ
بين البطاح
كأنه
يُسْقَى بماء وراحْ» (16)

● التلاليسي (أبو عبد الله محمد بن أبي جمعة)-المتوفي نحو سنة 780 (17)

كان طبيب السلطان أبي حمو (من ملوك بني عبدا لواد، أصحاب تلمسان) ذكر له المقري في «النفح»، مما مدح به مدينة تلمسان، قصيدة طويلة، وكان ابن حمو هذا يحتفل بالمولد النبوي الشريف احتفالا مهيبا، تردد فيه «أمداح

المصطفى عليه الصلاة والسلام، ومكفرات ترغب في الإقلاع عن الآثام، يخرجون فيها من فن إلى فن، ومن أسلوب إلى أسلوب [18]» وفي «أزهار الرياض» مدحه نبوية تتضمن مقطعا مدحيا في السلطان-للتلاليسي، جاء أنها ألفت في مولد سنة سبع وستين وسبعمائة، أولها :

لـــي مـــدمـــعٌ هـــتّـــانْ

يـــنـــهـــلُّ مـــثـــلَ الـــورد

قـــد صـــيّـــر الأجـــفـــانْ

مـــا إن لـــهـــا مـــن أثـــر

حُـــقّ لـــه يـــجـــري

دمـــا عـــلـــى طـــول الـــدّوام

مُـــذْ جـــدّ فـــي الـــســـيـــر

نـــاسٌ إلـــى خـــيـــر الأنـــام

وعـــاقـــنـــي وزْري

يـــا صـــاح عـــن ذاك المـــقـــام

وتنتهي بـ:

تـــاهـــتْ تـــلـــمـــسْـــانُ

بمـــلـــكـــه عـــلَـــى الـــبـــلادْ

صـــار لـــهـــا شـــانُ

وســـعـــدُهـــا حـــلـــف ازديـــادْ

قـــد ضـــلّ انـــســـان

قـــال بـــهـــا يـــشـــكـــو الـــسّـــهـــادْ:

لـــيـــلُ الـــهـــوَى يـــقـــظـــانْ

والحـــبّ تـــربُ الـــسّـــهـــر

والـــصـــبـــر لـــي خـــوّان

والـــنـــومُ مـــن عـــيـــنـــي بَـــري [19]

والخرجة استعارها من ابن سهل الاشبيلي، وهي عنده مطلع إحدى موشحاته. [20] وله موشحات أخرى وردت في «بغية الرواد» [21] لأبي زكريا بن خلدون منها تبدأ بالمطلع التالي:

يا ويحَ صبٍّ بان عنه الشبابْ   وأودعَ لهيبَ وجد عندما ودّعُوا

وخرجتها عامية: وأخرى مطلعها:

سُحّي أيا مقلتي   وأنهلي   بدمعك الواكف المنهمل

● ابن زمرك (أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن محمد بن أحمد يوسف الصريحي: [22]

أشهر تلامذة لسان الدين بن الخطيب، وهو الذي تولي الوزارة على أثر فراره من غرناطة، وكان لابن زمرك دور كبير في المحنة التي تعرض لها أستاذه. ونجد لابن الخطيب مواقف متعارضة عنه، في الطور الأول كان يشيد بابن زمرك، ويقول فيه: «هذا الفاضل صدر من صدور طلبة الأندلس، وأفراد نجبائها.. شعلة من شعل الذكاء تكاد تحتدم جوانبه.. وامتد في ميدان النظم والنثر باعه، فصدر عنه من المنظوم في امداحه قصائد بعيدة الشأن في مدى الإجادة» [23]

وفي الطور الثاني، بعد أن فسد ما بين الرجلين، نرى ابن الخطيب يقول عن ابن زمرك في «الكتيبة الكامنة:<

«هذا الرجيل والتصغير على أصله، وان لم يعب السهم صغر نصله، مخلوق من مكيدة وحذر، ومفطور اللسان على هذيان وهذر.. وان نفذ القدر والمكتوب فأنا المعتوب، إذ اصطفيته وروجته ولغيري ما أحوجته.. فهو اليوم لولا النشأة الشائنة والذمامة البائنة، صدر العصبة ونير تلك النصبة»[24] وعنى صاحب «النفح» و «الأزهار» بابن زمرك وشعره وموشحاته أيما اعتناء، ومن بين ما أورده له مخمسة في مدح ابن الأحمر عندما استرد ملك غرناطة:

أرقْتُ لبرق مثل جفنّي ساهرَا
ينظمُ من قَطر الغمام جواهرا
فيبسمُ ثغرُ الروض عنه أزاهرَا
وصبح حكى وجه الخليفة باهراً
تجسم من نور الهدى وتجسدا

وتقع في سبعين دورا، وتحدث عنها جومث في ثنايا ما أورده عن موشحات ابن زمرك فقال: «هي خمس عشرة، واحدة منها طويلة جدا،

تتألف من سبعين دورا، وكل دور يتألف من خمسة أبيات موشحية».

وبعد أن عرض لشكلها انتهى إلى القول بأنها «ليست موشحة حقيقية والأدق أن يقال إنها قصيدة مسمطة» [25]

والحق أن المقري احتفظ بخمس عشرة موشحة من موشحات ابن زمرك، ولكن ليس من بينها هذه الخمسة الطويلة التي أوردنا مطلعها، ولعل ما أوقع جومث في اللبس أن المقري أورد أربع عشرة موشحة متتابعة، وكان قد ذكر قبلها هذه الخمسة، أما الموشحة الخامسة عشرة فتأتي بعد ذلك بأكثر من عشرين صفحة، وبعد أن كان المقري. قد فرغ من الحديث عن ابن زمرك، ومضى في ترجمة تلميذ آخر من تلاميذ لسان الدين بن الخطيب هو أبو العباس السبتي، ثم رجع مرة أخرى إلى ترجمة ابن زمرك، وأنهى الكلام عنه بـ: «وقد أطلنا في ترجمة ابن زمرك، فلنختم نظامه بموشحة له زهرية مولدية تضمنت مدح المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي هذه:

لو ترجعُ الأيامُ بعدَ الذّهابْ

لم تقدح الأيامُ ذكرى حبيبْ

وكلّ من نام بليل الشّبابْ

يوقظه الدّهرُ بصبح المُشيبْ»

الخ وذكرها كاملة.

وإذن فإننا-وبعد استبعاد هذه المطولة التي تحدثنا عنها-نملك خمس عشرة موشحة لابن زمرك، ذكرها كلها المقري (وتأتي سبع منها في «العذارى المائسات»)، ونمى على أنه انتقاها من كلام ابن الأحمر، وأول هذه الموشحات قيلت «في التشوق إلى غرناطة ومدح الغني بالله:

بالله يا قامة القضيب

ومُخْجلَ الشمس والقَمَرْ

مَنْ مَلَك الحسْنَ في القلوب

وايّد اللحظَ بالحَوَرْ

مَن لم يكن طبعُه رقيقا

لم يدر ما لذةُ الصّبا

قربّ حُرّ غدا رقيقا

تملكُه نفحةُ الصّبا

نشوانُ لم يشرب الرّحيقا

لكنْ إلى الحُسْن قد صَبا

وتتضمن هذه الموشحة ثمانية أقفال (فهي أطول قليلا من المعتاد) ولا تأتي الخرجة فيها مسبوقة بـ «قال، أو قلت، أو غنى أو غنيت، أوغنت» كما اشترط ابن سناء الملك في مقدمة «دار الطراز» بل تختم الموشحة بـ:

مولايَ يا عاقدَ البنود

تظلل الأوجهَ الصّباحْ

أوحشت يا نخبة الوجود

غرناطةٌ هالةُ السّماحْ

سافرت باليُمْن والسّعود

وعُدْت بالفتح والنّجاحْ

يا مُلْهمَ القلب للغيوب

ومُطْعمَ النّصر والظّفَرْ

أسمعك الله عن قريب

علَى السّلامة منَ السّفرْ

أما الموشحة الثانية:

نسيُم غرناطة عليلُ

لكنهُ يبرئ العَليلْ

فتتساوى في طولها مع الموشحة السابقة، أما الخرجة فهي:

أنجَز لي وعدَكَ القَبُولُ

فلم أقل مثل مَنْ يقولُ:

يا سرحة الحي يا مطولُ

شَرْحُ الذي بيننا يطولُ

وفيما يبدو أن الشطرتين الأخيرتين مطلع (أو ربما خرجة) موشحة أندلسية، ارتكز عليها ابن زمرك في موشحته هذه، وفي صنيعه هذا لون من الخروج على قواعد الخرجة فالمتفق عليه-كما ذكرنا-أن الخرجة كلها تكون مقول قول وليس قسماً منها كما هو الحال في هذا النص، على أنه في الموشحة الثالثة:

نواسمُ البستانْ   تنثُرُ سلْكَ الزّهَر   والطّلّ في الأغصان   ينظمهُ بالجوهر

راعى الأصول المتبعة في الخرجة (وان لم يلتزم بالطول التقليدي للموشحة) إذ أنه بناها على غرار موشحة ابن سهل «ليل الهوى يقظان» وجعل من مطلعها خرجة لموشحته.

و يتوالى الخروج على تقاليد الموشحة في النص الرابع، وهو في الصبوحيات:

ريحانة الفجر قد أطلّتْ
خضراءَ بالزهر تزهرُ
وراية الصّبح قد أظلّتْ
في مرقب الشّمس تُنْشّرُ

فالنص أطول من المعتاد، والخرجة في هذه المرة هي نفسها مطلع الموشحة، وهذا ما لم نره في موشحات السابقين.

وليس في موشحة «قد طلعت راية الصباح» ما يستوقف النظر (باستثناء طولها المسرف) أما التي تليها: «في كؤوس الثغر من ذاك اللعس» فتأتي في ثمانية أقفال، وخرجتها مطلع موشحة أندلسية مهد لها في نهاية البيت الأخير:

أخجلتَ مَنْ قال في الصبح الوسيم
مُغْرَما صَبا:
«غردَ الطيرُ فنبَه مَنْ نَعَسْ
يا مدير الراح»
«وتعرى الفجرُ عن ثوب الغَلَسْ
وانجلى الإصباح»

وتتكرر في بقية موشحات ابن زمرك نفس الظواهر التي أشرنا إليها من قبل، وتتمثل في الطول غير العادي للموشحة، وفي مجيء الخرجة غير مسبوقة بما يدل على أنها قول أو أغنية مما يجيء على لسان العاشق أو محبوبته أو نحو ذلك، بل إن روح البساطة والحرارة والحدة اختفت من موشحات ابن زمرك، واختفت بطبيعة الحال كل السمات الخاصة بالخرجة التي كان الشرط فيها «أن تكون حجاجية من قبل السخف، قزمانية من قبل اللحن، حارة محرقة، حادة منضجة، من ألفاظ العامة، ولغات الداصة..»

كما حدثنا ابن سناء الملك.

وربما كان أجود موشحات ابن زمرك موشحته النبوية:

لــو تــرجــعُ الأيــامُ بــعــد الــذهــابْ

لــم تــقــدح الأيــام ذكــرىَ حــبــيــبْ

وكــل مــن نــام بــلــيــل الــشــبــابْ

يــوقــظــهُ الــدهــرُ بــصــبــح المــشــيــبْ

ففيها صدق وحرارة وتدفق ووثبات فكرية شجية:

يــا راكــب الــعــجــز ألا نــهــضــه

قــد ضــيــق الــدهــرُ عــلــيــك المَــجَــالْ

لا تحــســبن أنّ الــصّــبــا روضــةٌ

تــنــام فــيــهــا تحــت فــيء الــظّــلالْ

فــالــعــيــشُ نــومٌ والــردى يــقــظــةٌ

والمــرءُ مــا بــيــنــهــمــا كــالخــيــالْ

والــعُــمُــر قــد مــرّ كــمــرّ الــسَّــحــابْ

والمُــلــتَــقَــى بــالــلــه عــمــا قــريــبْ

وأنــت مــخــدوعٌ بــلــمــع الــسَّــرابْ

وخلاصة القول أن موشحات ابن زمرك تعد مثالا واضحا للنماذج التي لم تلتزم بقواعد هذا الفن كما تمثلت عند مجموع موشحي الأندلس، وهذا الخروج عن المألوف سيزداد مع الأيام تنوعاً على أيدي المتأخرين، وهذا ما سنتناوله فيما بعد.

● ابن العربي العقيلي (أبو عبد الله محمد)[26]، من شعراء القرن الثامن الهجري:

ذكره المقري في «أزهار الرياض»-نقلا عن الوادي آشي [27]-فقال: «إمام الصناعة، وفارس حلبة القرطاس والبراعة، وواسطة عقد البلاغة والبراعة» ووصفه بأنه «شاعر العصر، ومالك زمامي النظم والنثر والفقيه العالم المتقن العارف الأوحد النبيه النبيل..» وأتى بنماذج من رسائله وشعره وموشحاته. فمن ذلك رسالة سماها بـ«الروض العاطر الأنفاس، في التوسل إلى المولى الإمام سلطان فاس» كتبها على لسان الغنى بالله ملك غرناطة

بعد خلعه في التوسل إلى سلطان فاس، وهناك أبيات يصور فيها حصار النصارى لغرناطة، ويضيف المقري:

«وله-رحمه الله تعالى-في الموشحات اليد الطولى، فمن ذلك قوله:<

بـــــدرُ أهـــــل الـــــزّمـــــانْ

الـــرفـــيـــع المـــســـتـــوى

لـــم تـــزل فـــي امـــانْ

مـــن كـــســـوف الـــبـــدر

وذكر له قطعة من موشحة أخرى أولها:

هـــل يـــصـــلُـــح الأمـــانُ

مـــن شـــبـــيـــه الـــبـــدر

وهـــل مـــثـــل الـــزمـــانُ

مـــنـــتـــقـــمٌ لـــلـــغَـــدر

وهاتان الموشحتان نسجتا على منوال «ضاحك عن جمان» للأعمى التطيلى وفيما يبدو أن ابن العربي كان مولعا بهذه الموشحة، فقد عارضها بموشحتين أخريين مطلع إحداهما:

بـــان لـــي ثُـــمَّ بـــانْ

ذا خـــدود حُـــمْـــر

يـــنـــثـــنـــى مـــثـــل بـــانْ

فـــي ثـــيـــاب خـــضـــر(28)

ومطلع الثانية:

هـــل لمـــرآك ثـــانْ

فـــي ســـنـــاه الـــدّرّى

أو لحَـــوْبـــاَي ثـــانْ

عـــن هـــواهـــا الـــعُـــذْري

وقد فضل المقري هذه المعارضات على صنيع ابن أرقم، الذي تقدم ذكره.

● اللخمى الغرناطي (أحمد بن على)، من شعراء النصف الثاني من القرن التاسع الهجري:

له في «العذارى المائسات [29]» موشحة يسبقها: «قال.. على أثر قفوله من الحج عام 849» وأولها:

حـــيّـــاكَ بـــالأفـــراح داعـــي الـــصّـــبـــاحْ
قـــــم لاصـــــطـــــبـــــاحْ
فـــالـــنـــومُ فـــي شَـــرع الـــهـــوى لا يُـــبـــاحْ

والـــصـــبـــحُ قـــد جـــرّدَ مـــنـــه حُـــســـامْ
بـــــاد الـــــقَـــــســـــامْ
تـــضـــحَـــى وجـــوه الـــزّهـــر مـــنـــه وسَـــامْ
ذات ابـــــتـــــســـــامْ
وحـــامُ جُـــنـــح الـــلـــيـــل قـــد عـــاد ســـامْ
ممـــــا يُـــــســـــامْ
وخـــافـــقُ الـــبـــرق بـــدا بـــالـــنّـــيـــاحْ
ســـــامـــــي الـــــلّـــــيـــــاحْ
وأدمـــعُ المـــزن بـــه فـــي انـــســـيـــاح

وتتضمن ثمانية أقفال، وبها مقطع مدحي (في ابن البازي القاضي) وآخرها:

وهـــاكَـــهـــا مـــولاي ذات اعـــتـــقـــال
كـــــمـــــا يُـــــقـــــالْ
تـــرجـــو نـــدىً يـــقْـــضـــى بـــحـــلّ الـــعـــقـــالْ
لـــــلانـــــتـــــقـــــالْ
وهـــا أنـــا عـــارضـــتُ فـــيـــهـــا مـــقـــالْ
مَـــــنْ كـــــان قـــــالْ:
بـــنـــفـــســـجُ الـــلـــيـــل تـــذكّـــى وفـــاحْ
فـــــوق الـــــبـــــطـــــاحْ
أظـــنـــه يـــســـقـــى بمـــاء وراح

والخرجة مطلع موشحة أندلسية ذكرها المقري[30]، وعلى نفس النسق موشحة للسان الدين ابن الخطيب مطلعها:

قــد حــرّك الجُــلّــجــلْ بــازي الــصّــبــاحْ
والــــــــــفـــــــــــجـــــــــــرُ لاحْ
فــيــا غــرابَ الــلــيــل حــث الجَــنَــاحْ

وهناك موشحة لابن سهل الإسرائيلي مطلعها:

بــاكــر إلــى الــلــذة والاصــطــبــاحْ
بــــــــــــشُــــــــــــرب راحْ
فــمــا عــلــى أهــل الــهَــوى مــن جُــنــاحْ

وتعد موشحة اللخمي من النصوص القليلة التي وصلت إلينا من أعمال الوشاحين في أخريات العهد الغرناطي.

● ابن عاصم (أبو يحيى محمد بن محمد، القيسي، الأندلسي، الغرناطي) المتوفى بعد سنة 857 هـ: [31]

كان أبوه (أبو بكر بن عاصم) من فقهاء المالكية، وولى القضاء في غرناطة (وهو صاحب كتاب: حدائق الأزهار، وتوفى سنة 829 هـ)، وتولى هو بدوره القضاء بغرناطة، وكان من وزرائها، وله كتاب يعد بمثابة الذيل على «إحاطة» لسان الدين بن الخطيب، عنوانه «الروض الأريض في تراجم ذوى السيوف والأقلام والقريض»وكتاب آخر بعنوان «جنة الرضا»نقل عنه المقري في أكثر من موضع-في حث المسلمين على إنقاذ الأندلس.

والمقرى يصف أبا يحيى بن عاصم بـ «قاضي الجماعة، ومنفذ الأحكام الشرعية المطاعة، صدر البلغاء، علم العلماء، ووحيد الكبراء، وأصيل الحسباء، الوزير الرئيس المعظم» [32]، ويورد له في «الأزهار» [33]: «قصيدة تنفك منها قصيدتان أخريان بديعتان إحداهما من المكتوب الأحمر، والأخرى المكتوب الأخضر، وكل واحدة من هاتين البنتين تلد موشحة..» والقصيدة أولها:

أمــا والــهَــوى (مــا كــنــتُ) مُــذ بــان عــهــده
أهــيــمُ بــلُــقــيــا مــن (تــنــاثــر) وردُه
رعــى الــلــهُ (لــو أنــصــف) الــصــبّ فــي الــهــوى
لمــا فــاض مــنــه (الــدمــعُ) مــذبــان صــدّه
ولــو جــاء مــن (بــعــد المــطــال) بــزَورَه
لمــا شــبّ أشــواقٌ وقــلــبــي زنــدُهُ

كـمـا خـانَ صـبـرى يـومَ أصـبـحَ (وأصلـى

لـظـى) زادَ مـاءَ (مـنْ جـفـونـى) وقـدُه

وهي طويلة، وذكرها المقري بتمامها (ولا نرى كبير غناء فيها)، استخلص منها قصيدة أولى أولها:

(تـنـاثـر الـدّمـعُ) مـن جـفـونـي

(كـالـدّرّ) مـن سـلـكـه الـثّـمـين

(مُـذ أعـوزَ الـوصـلُ) والـتـلاقـى

(مـنّ بـدر) حُـسـن بـلا قـريـن

(عَـلـقْـتُ فـي الحُـبّ) ظـبـي إنـس

(جـمـالـهُ) مـرتـعُ الـعُـيـون

حتى إذا أتمها استخلص منها موشحة أولها:

تـنـاثُـر الـدّمـع كـالـدّرّ

مـذ أعـوز الـوصـلَ مـن بَـدْر

عَـلـقْـتُ فـي الحُـبّ جـمـاَلـهُ

واستخلص قصيدة ثانية أنتجت بدورها «موشحة» أولها:

مـا كـنـتُ لـو أنـصـف

أصـلّـى لـظـى الـوجـد المـقـيـمْ

كـالـقـمـر الـزاهـي

عـلـيـه كـالـلـيـل الـبـهـيـمْ

ولم يكتف المقري بهذا القدر، بل قدم منها «موشحة» أخرى مختصرة!

● ابن سعيد الفاسى، المتوفى بعد السبعين وثمانمائة:

جاءت له في «المنتقى المقصور»[34] موشحة مطلعها:

يـا عُـرَيْـبَ الحَـيّ مـن حـيّ الحـمـى

أنـتـمُ عـيـدي وأنـتـمْ عُـرسـي

لـم يـحـل عـنـكـم ودادي بـعـدمـا

حُـلْـتُـمُ لا وحـيـاة الأنـفـس

والموشحة نفسها ترد في «النفح»[35] على أنها «لبعض متأخري المغاربة»، وترد في بعض المجاميع منسوبة لفخر الدين المكناسي.

وغني عن الذكر أن الموشحة ألفت على نمط «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، وجادك الغيث للسان الدين بن الخطيب.

والموشحة تتعرض في شطرها الأول لموضوع الحب، على نحو شفيف عذري بعيد كل البعد عن المشاعر الحارة المتوهجة التي ألفناها في أعمال الوشاحين القدامى، ذلك لأن صاحبها إنما تذرع بموضوع الحب لكي ينتقل- في الشطر الثاني من الموشحة-للمديح النبوي:

هـمْـتُ فـي أطـلال لـيـلـى وأنـا
لـيـس فـي الأطـلال لـي مـن أرب
مـا مُـرادي رامـةٌ والمُـنْـحـنَـى
لا ولا لـيـلـى وسُـعـدى مـطـلـبـي
إنمـا سـؤلـي وقـصـدي والمـنـى
سَـيّـدُ الـعُـجْـم وتـاجُ الـعَـرَب

ولا تنتهي بخرجة واضحة المعالم، كما هو الحال في سائر الموشحات الأندلسية المعزوفة، والنص لا يتألف إلا من خمسة أقفال، فهل هذا دليل على أنه مبتور؟

● الخلوف (شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد الرحمن) المتوفى سنة 899 هـ [36]:

شاعر تونسي، له مؤلفات في النحو، وكان من مداح عثمان الحفصي (آخر ملوك الدولة الحفصية) وهناك موشحة أولها:

قـابـلَ الـصـبـحُ الـدّجـى فـانـهـزمـا
ومـحـا بـالـسـيـف أفـق الـغَـلَـس
وجـلا الـغـيـمُ بـبـرق رقـمَـا
ثـوبَ ديـبـاج بـه الجـوّ كُـسـي

جاءت في «الدراري السبع» [37] منسوبة لـ «ابن خلوف المغربي»، كما جاءت في «الكواكب السبعة» [38] على أنها للخلوفي، ونرجح أن المقصود في كلتا الحالتين هو الخلوف الذي ذكرناه.

وله في «المجموعة النبهانية» موشحة أولها:

مــا جَــرّدَ عــن مــعــاطــف الأغــصـــان

ثـــــــــــــــــــوبَ الـــــــــــــــــــوَرق

إلا وبــكـــتْ بــدمــعــهـا الــهــتــّـــان

عـــــــــــــــــــينُ الأفــــــــــــــــــق

٩ بعض وشاحي المغرب في العصور المتأخرة

● المنصور السعدي (أحمد بن محمد الشيخ المهدي بن القائم بأمر الله) المتوفي سنة 1012 هـ.

رابع سلاطين الدولة السعدية بالمغرب الأقصى. تولى الأمر سنة 986 هـ، وعرف بعدله وطموحه وتفتح ذهنه، وأجمع المؤرخون على أنه كان «محباً للعلم، كتب إلى بعض علماء مصر يستجيزهم فأجازوه، ورسائله إلى الجهات، خصوصاً ما كان منها في أخبار الفتح، تدل على ممارسة للأدب وعلم ومعرفة» [1].

وفي «نفح الطيب» من موشحات السلطان المنصور:

ريّانُ من ماء الصّبا
أهيف وممتلئ البُرود
كالغصن هزّته الصّبا
فوق رُبا الشهب
قد قلت لما أنْ سَبَى
بحسنه يَسْبي
منْ عينه سَلّ ظُبا
وغمدُها قلبي

أســــرنـــــي مــــاضـــي الــــشـــبــــا
أوطــــف مـــــرنـــــح الـــــقــــــد [2]

ولا ترد تامة، وذكر له قسماً كبيراً من موشحة أخرى يعارض فيها لسان الدين، وابن الصابوني:

ولـــيـــالـــي الـــشّــعـــور إذ تـــسْـــرى
مـــا لـــنـــهـــر الـــنـــهـــار مـــن فَـــجْـــر
حـــبّـــذا الـــلـــيـــلُ طـــال لـــي وحـــدي
لـــو تـــرانـــي جـــعـــلـــتُـــه بُـــرْدى
فـــاطـــمـــيّـــا فـــي خـــلـــعـــة الجَـــعْـــدي
هـــي لـــيـــلـــى أخـــتُ بـــنـــي بـــشْـــر
فـــأيـــن أنـــتَ يـــا أبـــا بـــدْر

وتنتهي بـ:-

وهـــلالٌ فـــي حُـــسْـــنـــه اكـــتـــمَـــلا
هـــو شـــمـــسٌ وأضـــلُـــعـــي الحَـــمَـــلا
قـــام يـــشـــدو ويـــنـــثـــنـــي فـــي مـــلا
قـــســـمـــاً بـــالـــهـــوى لـــذي حـــجْـــر
مـــا لـــلـــيـــل المَـــشُـــوق مـــن فَـــجْـــر [3]

وهذه الخرجة مستعارة من مطلع موشحة لابن الصابوني، ونسج ابن الخطيب على منوالها. وللمنصور السعدي موشحة ثالثة على وزن «هل درى» لابن سهل و «جادك الغيث» لابن الخطيب:

عـــطّـــر الأرجـــاء لمـــا نـــســـمَـــا
شـــمـــألَ الـــصّـــهـــبـــاء عـــنـــد الـــغَـــلَـــس
وأتـــت شـــمـــسُ الـــضّـــحـــى تـــنـــســـخُ مـــا
يـــقـــرأ الـــلـــيـــلُ لـــنـــا مـــن عَـــبَـــس [4]

● الفشتالي (أبو فارس، عبد العزيز بن محمد) المتوفي سنة 1031 هـ[5]: وزير المنصور السعدي، الذي تقدم ذكره، أورد له المقري في النفح كثيراً من شعره، وقال أنه تناول أخباره في كتابه «بعض الآس، العاطر الأنفاس، في ذكر من لقيته من أعلام مراكش وفاس»، ووصفه بأنه «كان أوحد عصره،

حتى أن سلطان المغرب كان يقول: إن الفشتالي نفتخر به على ملوك الأرض، ونباري به لسان الدين بن الخطيب [6]».

و يذكر المقري في موضع آخر [7] أن لسان الدين بن الخطيب ألف «كتابه المسمى بجيش التوشيح، وأتى فيه بالغرائب، وذيّل عليه صاحبنا وزير القلم بالمغرب، العلم الشهير المنفرد في عصره بحيازة قصب السبق في البلاغة، سيدي عبد العزيز بن محمد الفشتالي-رحمه الله تعالى-بكتاب سماه «مدد الجيش»... وأتى فيه بكثير من موشحات أهل عصرنا من المغاربة، وضمنه من كلام أمير المؤمنين مولانا المنصور أبي العباس أحمد الشريف الحسني-رحمة الله تعالى ورضوانه عليه-ما زاده زينا، وأخبرني.. أنه ذكر فيه لأهل العصر في أمير المؤمنين ولأمير المؤمنين المذكور أزيد من ثلثمائة موشح».

وقد ضاع «مدد الجيش»، ولم تصل منه إلا نصوص مبعثرة في «النفح» وغيره، وهناك-في خزانة المكتبة الناصرية بمدينة سلا-أوراق يظن أنها من «مداد الجيش»، جاء فيها من نظم الفشتالي نفسه موشحة أولها:

سبَج الهمّ حيث ما حلا
بالطّلا ينتَخْ
فارتشفْ من حَبابها دُرّا
فيه.. سدخْ
قهوةٌ زفها الهوى بكْرَا
دائُها خدرُهَا
سبكت في أكوابها تبْرَا
نارُها نورُهَا
وجرت قواريرها تَتْرَى
برزت شقرُهَا
عَدّ عن قول مَنْ لحي جهلا
دائماً يصرخْ
واجر لي من سُلافها بَحْرَا
ماله بَرْزخ

والنص الذي بين أيدينا يتركب من أربعة أقفال فهو-فيما نرجح-غير

كامل، وتدور الموشحة حول المديح، وخرجتها:

بـــك غـــنّـــى مَـــنْ أنـــشـــدَ الـــرمـــلا
فـــي الـــذهـــب يـــنـــفـــخ
ســـاعـــد الـــلـــه خـــلـــيـــفـــة بـــرّا
والـــظّـــفـــر لُـــو أخْ (8)

● العقاد:

ينسب له نص أوله:

لـــيـــت شـــعْـــري هـــل تُـــرى أروي الـــظّـــمـــا
مـــن ظـــمـــي ذاك الـــثُّـــغَـــيـــر الألْـــعَـــس
وتـــرى عـــيـــنَـــاي ربـــات الحـــمَـــى
زاهـــيـــات بـــالـــقـــدود المُـــيَّـــس

وقد ذكر المقري أنها من «قول أحد الوافدين من أهل مكة، على عتبة السلطان مولانا المنصور، وهو رجل يقال له أبو الفضل بن محمد العقاد، وقد عارض بها موشحتي لسان الدين وابن سهل السابقتين» (9).

شاعرنا إذن مكي مشرقي، ولكننا نذكره هنا لنزيل اللبس الذي وقعت فيه بعض المراجع، فمن ذلك مجموعة «الدراري السبع» (10) وتسميه بـ «أحمد العقاد الاشبيلي» ومجموعة «الكواكب السبعة السيارة» (11) وتسميه بـ «محمد بن العقاد الأندلسي الشهير بأبي العباس الاشبيلي» وفي «المجموعة النبهانية»(12) أن هذه الموشحة لمحمد بن العقاد «الشهير بأبي القاسم الأندلسي».

● أبو القاسم بن محمد (الغساني، الشهير بالوزير):

من الشعراء الذين مدحوا الملك المنصور السعدي. أورد له المقري في «روضة الآس» (13) قطعة من موشحة أولها:

ســـقّـــنـــيـــهـــا مـــســـكـــيـــة الـــنّـــشْـــر
فـــاقـــعـــيـــةً الـــلـــون كـــالـــتّـــبـــر
مـــن كـــؤوس رحـــيـــقُـــهـــا مـــخـــتـــومْ
بـــشـــام طـــرازهـــا مـــرقـــومْ

تحـــت عـــقْـــد حَـــبـــابـــهـــا مـــنـــظـــومْ
وغـــزال جـــمـــالـــه مـــعـــلـــوم
مـــائـــد الـــقـــد نـــاحـــل الخـــصـــر
ســـاحـــرُ الـــطـــرف بـــارقُ الـــثـــغـــر

وله موشحة أخرى-مدح بها المنصور-جاءت في أوراق يعتقد أنها من «مدد الجيش».

● ابن إبراهيم الفاسي (محمد، الملقب ببديع الزمان):

من مداح الملك المنصور، وله في الأوراق التي يرجح أنها من «مدد الجيش» موشحة أولها:

بـــارقُ الـــثّـــغـــر لاح عـــن دُرَ
مـــن خـــلال الـــعـــقـــيـــق
وعُـــذيـــب الـــرّيـــق غـــدا يـــجـــري
مـــثـــل كـــأس الـــرحـــيـــقْ (14)

ولاشك أن القارئ لاحظ أن الوشاحين المذكورين في الصفحات الأخيرة السابقة لا ينتمون إلى الأندلس، إذ أن غرناطة-آخر المدن الأندلسية التي كانت بأيدي المسلمين-سقطت سنة 898 هـ، وهؤلاء الوشاحون هم-بطبيعة الحال-من شعراء المغرب لا الأندلس، على أن القدامى ما كانوا يفصلون بين الأندلس والمغرب، هو تقليد سرنا عليه هنا.

ومن البديهي أن هناك عدداً جماً من وشاحي العصور المتأخرة، وقد آثرنا أن نكتفي بذكر قدر محدود منهم، ومن حسن الحظ أن هناك دراسات تناولت موشحات هذه الحقبة في كثير من التفصيل، ومن أهم هذه الدراسات مجموعة د. عباس الجراري «موشحات مغربية»، وهو عمل بالغ الإتقان، يتضمن-إلى جانب النصوص التي حققها-تحليلا تاريخياً دقيقاً لفن التوشيح بعامة، وللموشح في المغرب الأقصى بخاصة.

وهناك أيضاً سفر هام يحمل عنوان «الأغاني التونسية» وضعه الصادق الرزقي وضمنه العديد من النصوص النادرة التي تعكس ما طرأ على فن التوشيح الأندلسي من تطورات، كما تبين الجوانب التي استمرت فيها التقاليد القديمة للموشحة الأندلسية.

ونشير-في إيجاز-لبعض هؤلاء الوشاحين المتأخرين، وللخصائص العامة لأعمالهم، فنذكر منهم-على سبيل المثال-ابن زاكور (محمد بن القاسم) المتوفي سنة 1120 هـ [15]، وكان شاعر مدينة فاس في عصره، وله ديوان يحمل عنوان «الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض» (نشرت مختارات منه بعنوان: المنتخب من شعر ابن زاكور)، ومن موشحاته يبدأ نص بـ:

أدر الكاسات من خمر اللّعَس　　يا لها منْ راحْ　　تحكي الجُلّنارْ

واسقنيها خمرةً تجلو النفسْ　　علّني أرتاحْ　　من حرّ الأوارْ[16]

وله موشحة طويلة قالها بمناسبة المولد النبوي، أولها:

يـــــا لـــــيــــلـــــةَ المــــيــــلاد

مــــا كـــــان أحــــلـــــى سَـــــمَـــــرِكْ

شــــفـــــيـــــت ذا أنـــــكـــــادْ

بــــاتَ يــــشـــــيـــــمُ غُــــرَرِكْ

فـــالــــلـــــهُ بـــالاســـعـــاد

بـــين الـــلـــيـــالـــي نَــصَــرِكْ

ومن هؤلاء الوشاحين المتأخرين محمد بو جندار، وله موشحة طويلة أولها:

عـــنـــبـــرُ الـــلـــيـــل وكـــافـــورُ الـــصّـــبـــاح

بـــهـــمـــا طـــابَ اغـــتـــبـــاقٌ واصـــطـــبـــاحْ [17]

قـــم بـــنـــا فـــالـــوقـــتُ وقـــتُ الـــطـــرب

وإلـــى الحـــانـــات بـــاكـــرْ واخـــطُـــب

بـــنـــتَ دنّ مـــن عـــصـــيـــر الـــعـــنـــب

مـــا عـــلـــى صـــبّ تـــعـــاطـــاهـــا جُـــنَـــاحْ

إن الـــصـــبـــا والـــلـــيـــل مُـــســـودّ الجَـــنَـــاحْ

ولا يلبث أن يتغزل في الساقي، و يصف لوعة الحب التي حلت به، والداء الذي لا شفاء له منه غير... مدح المصطفى، حتى إذا ما استوفى من المديح النبوي غايته انثنى إلى مدح أحد أبناء الأسرة العلوية الحسنية، وأنهى موشحته بـ:

وســـلامٌ تـــرتـــضـــيـــه مُـــسْـــتـــدامْ

طـــاب مـــنْ طـــيـــبـــكَ يـــا مـــســـك الخـــتـــامْ

فــارضــهُ مــنّــي يــا بــدر الــتــّـمــامْ

مــا حــلا لــي مــدحــك الــعــذبُ وفــاحْ

عــنــبــرُ الــلــيــل وكــافُــور الــصّــبــاحْ

وهذه الموشحة على نسق:

فــيــكَ المــسْــكُ بــكــافــور الــصّــبــاح

ووشــتْ بــالــروض أعــرافُ الــرّيــاحْ

التي يظن أنها من موشحات ابن زهر [18]، لكنها أكثر تأثراً بموشحة لتقي الدين السروجي (المتوفي سنة 693 هـ، وهو من الوشاحين المشارقة):

عــنــبَــرُ الــلــيــل وكــافــورُ الــصّــبــاحْ

شــعــرُهُ والــفــرقُ ســلــطــانُ المــلاحْ [19]

فقد استعار منها قسماً كرره في المطلع والختام (وهو أمر لا نظير له في تواشيح القدامى).

ومن الموشحات الأخرى، من نظم حمدون بن الحاج:

إن جُــنّ لــيــلٌ داجْ

وخــانــنــي الإصْــبــاحْ

فــأحــمــد الــوهَّــاجْ

يُــغْــنــي عــن المــصْــبَــاحْ

وغني عن القول أنه أخذ المطلع من قول أبي حيان الذي سقناه قبلاً:

إنْ كــان لــيــلٌ داجْ

وخــانَــنــا الإصْــبــاحْ

فــنــورُهــا الــوهّــاجْ

يُــغــنــي عــن المــصْــبــاحْ [20]

لكن الوشاح المغربي أدار النص كله حول التوسل والمديح النبوي.

ولأبي محمد حمودة بن عبد العزيز نص يذكر، من بعض الوجوه، بصنيع ابن عاصم الغرناطي في موشحته المتكلفة التي عرضنا لها قبلا. وقد وصف جامع «الأغاني التونسية» موشح ابن عبد العزيز بأنه «غريب التنضيد والتركيب والتنسيق والترتيب، فتحذف الكلمات الأولى من مصراعي أبياته و يبقى الموشح صحيح المعنى والمبنى، ويتجمع من الكلم المحذوفة من كل بيت بيت، ثم إذا اقتصر على الحذف من الأشطار الأول صح، أو أبقيت

وحذفت أولى الأشطار الثانية صح كذلك، أو أبقيت أول الثانية وحذفت ما بعدها صح أيضاً، إلى غير ذلك من الأوجه».

وأول الموشحة:

حـــــــــــرُّ الــــــــــــهـــــــــــــوَى

بـــــفـــــؤادي جـــــذوة الـــــقَـــــبَـــــس

لا يـــــــــنــــــــطـــــــــفـــــــــي

مـــــن فـــــتـــــور الأعـــــين الـــــنُّـــــعَّـــــس

قـــــلـــــبـــــي كـــــوَى

مـــــذ بـــــدا فـــــالـــــقـــــلـــــبُ أحـــــرقَـــــهُ

تـــــلـــــهّـــــفـــــي

وجـــــفـــــونـــــي مـــــنـــــه فـــــي عُـــــرُس [21]

وليس لمثل هذه الألاعيب من قيمة فنية تستحق الذكر، ولكنها تفصح عن بعض الزوايا التي اتجهت لها موشحات المتأخرين من الشعراء. ولابن عبد العزيز هذا موشحات أخرى لا تتكىء على مثل هذا العبث، منها ما قاله في مدح شيخه أبي عبد الله الغرياني من علماء القيروان:

إنّ ظـــبـــيـــاً حـــول كـــثْـــبـــان الحـــمَـــى

بـــات يـــرعـــى زهـــرات الأنـــفُـــس

فـــهـــو مـــذ لاحَ سَـــنـــاه أضـــرمَـــا

بـــفـــؤادي جـــذوةَ المـــقـــتـــبـــس [22]

وهذه الموشحة، كما هو بيّن، على غرار قول ابن سهل «هل درى ذي الحمى» وموشحة لسان الدين بن الخطيب «جادك الغيث».

ولمصطفى بن الإمام محمد بيرم الحنفي موشحة أولها:

يـــا ســـالـــبَ الأرواحْ

مـــهـــمـــا أنـــثـــنـــى الـــقَـــدُّ

ومـــخـــجـــلَ الأَلْـــبـــابْ

بمـــا حـــوى الخَـــدُّ [23]

بناها على غرار ابن سهل:

بمُـــهْـــجَـــتـــي تـــيّـــاهْ

أحـــوَى أحَـــمّ [24]

تَـــســـاقـــنـــي عـــيـــنـــاهْ
كـــــــؤوسَ سُـــــــمّ

وبلغت النظر في أعمال متأخري الوشاحين كثرة معارضاتهم لـ «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، و «جادك الغيث إذا الغيث همي» لابن الخطيب، فمن ذلك أكثر من موشحة لأبي الثناء محمود قابادو، منها قوله:

صـــاحَ هـــا شـــمـــلُ الـــسّـــرور انـــتـــظـــمـــا
واغـــتَـــنـــمْـــنـــا فُـــرصـــةَ المخـــتـــلـــس
وتـــنـــاولْـــنـــا مـــصـــابـــيـــحَ الـــسَّـــمـــا
فـــأدرْنـــاهـــا مـــكـــانَ الأكـــؤُس
وتـــلاقَـــتـــنـــا تـــبـــاشـــيـــرُ الـــربـــيـــع
بـــهَـــدايـــاهـــا عـــلـــى هـــام الـــرُّبـــى
وأتـــانـــا الـــدهـــر مـــنـــهـــا بـــشـــفـــيـــع
فَـــغـــفـــرْنـــا لـــه مـــا قـــد أذْنَـــبـــا
وحَـــلـــلْـــنـــا فـــي حـــمـــى حـــصْـــن مـــنـــيـــع
وأمـــان مـــن عـــيـــون الـــرُّقـــبـــا [25]

وأخرى مطلعها:

هـــاجَ أجـــفـــانـــي وقـــلْـــبـــي المُـــغْـــرَمـــا
بـــارقٌ آنـــســـتـــهُ مـــن تـــونـــس
ويـــحَـــهُ لـــو لـــم يـــلـــحْ مـــا عُـــلـــمَـــا
مـــا أُواري مـــن أواري المـــوجـــس [26]

والموشحتان تختمان بمطلع موشحة ابن سهل، وتختلفان في أنهما طويلتان طولاً مسرفاً، وصل فيه عدد الأقفال في الموشحة إلى نحو عشرين قفلاً.

وشاع لون عرف باسم «المألوف» ويسمى في بعض أرجاء المغرب باسم «الغرناطي» وهو-بحسب تعريف الصادق الرزقي-:

«أشعار غنائية، انتخب من قصائد وموشحات وأزجال شتى من كلام الأندلسيين وأهل المغرب وبعض التونسيين، قد رصفت ونضدت بصفة تميل إليها الخواطر، وتستحسنها الأذواق [27]»، وقد استعرضنا عدداً منها فوجدنا فيها، إلى جانب مقتطفات من أعمال أهل الأندلس والمغرب، استشهادات من نتاج الشعراء والوشاحين المشارقة، ففي «المألوف» الذي

أوله:

لـــكَ الـــدلالُ وأنـــتَ بـــدْرٌ كـــامـــلُ

ويـحـق لـلـمـحـبـوب أنْ يـتـدَلّـلا [28]

مقطع مستقل من موشحة لصفي الدين الحلي:

شـقّ جـيـبُ الـلـيـل عـن نـحـيـر الـصّـبـاح

أيُّـــهـــا الـــسَّـــاقُـــونْ [29]

وفي نص آخر أوله:

صـــادَ الـــقـــلـــوبَ بمـــقـــلـــة وسْـــنـــاء

وسَـبـى الـعُـقُـولَ بـطـلـعـة وسَـنَـاء [30]

ورد مطلع موشحة لتقي الدين السروجي:

بـــالـــرّوح أفـــديـــكَ يـــا حـــبـــيـــبـــي

إنْ كـــنـــتُ تـــرضَـــى بـــهـــا فـــدَاكْ [31]

وفي نفس النص بيتان من شعر بهاء الدين زهير:

يـعـاهـدُنـي لا خـانـنـي ثـم يـنـكُـثُ

وأحـلـفُ لا كـلّـمـتُـه ثـم أحـنـثُ

وذلـــك دأبـــي لا يـــزالُ ودأبُـــه

فـيـمـا مـعـشـر الـعُـذّال عـنـا تحـدثـوا

وليس «المألوف»-في نهاية المطاف-من الموشحات، وإن كانت أجزاء منها تدخل في تركيبه، وهو يرتبط ارتباطاً أساسياً بالغناء والموسيقى، وأما معنى لفظة المألوف فإن ظاهرها يدل على أنها تعني «المألوف»، والذي نرجحه نحن أن أصلها «المؤلّف»-بفتحة اللام المشددة-لأن نص «المألوف»-كما عرفنا-يؤلف من أشتات مختلفة تتضمن الموشح والزجل وكذلك الشعر (القريض).

15 موشحون تعذر تحديد العصر الذي عاشوا فيه

* **إسماعيل اليهودي:**

انظر: قسمونة.

* **قسمونة اليهودية:**

لا نعرف شيئاً عنها ولا عن عصرها، وجاء عنها في «النفح:

«وكان بالأندلس شاعرة من اليهود، يقال لها قسمونة بنت إسماعيل المجودي، وكان أبوها شاعراً، واعتنى بتأديبها، وربما صنع من الموشحة قسماً فأتمتها هي بقسم آخر» وأورد أن أباها امتحنها يوما في الارتجال، فلما أظهرت براعة: «قام كالمختبل وضمها إليه، وجعل يقبل رأسها ويقول: أنت والعشر كلمات أشعر مني» [1].

● **ابن أبي الرجال:**

من الوشاحين الذين ذكرهم الصفدي في «التوشيع»، ورجح محقق الكتاب أن يكون «الذي قال عنه ابن الآبار: نكبه المعز بن باديس الصنهاجي، وكان هو وأهل بيته برامكة أفريقية» [2]

● **ابن ملوك (أبو بكر):**
عده صاحب «التوشيع» من بين مشاهير وشاحي الأندلس [3]

● **تلل الغد (؟)** (أبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي) من الوشاحين الذين ذكرهم الصفدي في «التوشيع» [4]

● **الفليشي** (أبو عمران، موسى بن محمد بن بهيج، الكفيف):
جاء عنه في «معجم السفر» للسلفي (المتوفى سنة 576 هـ) [5]:
«حدثني أبو عبد الله بن محمد بن ملوك (هل هو أبو بكر بن ملوك المذكور قبلاً؟) التترخي الفليشي بالإسكندرية، بعد رجوعه من مكة، وفليش قرية من قرى لرقة بشرق الأندلس قال: غاب أبو عمران الفليشي موسى بن محمد بن بهيج الكفيف المربي مدة بالمشرق، فعمل بمصر موشحاً أوله:

يـــــا مُـــــنَـــــجّـــــمـــــيـــــنـــــا
هـــل لـــلـــغـــريـــب ســـبـــيـــلْ
نـــحـــو الـــظـــاعـــنـــيـــنـــا
فـــالـــقـــلـــبُ مـــنـــه عـــلـــيـــلْ
لا يـــلـــفَـــى مُـــعـــيـــنـــاً
إلاّ دمـــوعـــاً تـــســـيـــلْ
ويُـــجْـــريـــهـــا هَـــتُـــونَـــا
مـــن جـــفـــنـــه ويُـــديـــلْ»

● **ابن جودي:**
تضم مخطوطة «الكواكب السبعة السيارة» موشحة أولها:

لا تـــلُـــمـــنـــي يـــا عـــذولـــي تـــأثـــمـــا
مـــا تـــرى جـــســـمـــي بـــســـقـــم قـــد كُـــســـى
مـــثـــل مـــا شـــرح غـــرامـــي عـــلـــمـــا
حـــيـــث أشـــكـــو وحـــشـــة مـــن مـــؤنـــســـي

وآخرها:

فـــتـــنـــزه فـــي ريـــاض خُـــضْـــر
وغـــصـــون غَـــرّدت فـــيـــهـــا هَـــزَارْ

وانـــتـــشـــقْ عـــرفَ زهـــور عـــطـــر
يـــاســـمـــين زيـــنـــتـــه الجـــلّـــنـــارْ
وشـــذا الـــزَّهـــر كـــمـــســـك أذفـــر
وأقـــبـــل الـــعـــذَر لابـــن الـــبـــزددارْ
طـــامـــعٌ فـــي رحـــمـــة الـــلـــه ومـــا
خـــاب عـــبـــدٌ طـــامـــعٌ لـــم يـــيـــأس
يـــا إلـــهـــي جُـــد عـــلـــيـــنـــا كـــرمـــاً
يـــا كـــريمـــاً قـــبـــل أخْـــذ الأنـــفُـــس (6)

ونسبت هذه الموشحة لأبي الحسن بن جودي، ويرد النص نفسه في مجموعة «الدراري السبع (7)» منسوباً لـ «علي بن الحوري الأندلسي» وفي اسم «الحوري» ما يوحي بأنه محرف عن «الجودي».

والحق أن الأندلس عرفت أديباً اسمه أبو الحسن علي بن جودي، ذكره المقري في «النفح» وقال إنه برز في الفهم، وأحرز منه أوفر سهم، وعانى العلوم بقريحة ذكية.. وله أدب واسع مداه،.. ونظم أرق من دمع العاني (8) وأورد له نماذج كثيرة تتسم بصدق الشاعرية والعذوبة، منها تخميس قال إنه «مطروق بالمغرب عند أهل التلاحين وغيرهم»، كما ذكر له أخباراً مع الفيلسوف ابن باجه (9) (المتوفي سنة 533 هـ).

وتجئ ترجمة ابن جودي في «النفح»وسط خضم من الاستطرادات، فقد ذكر له شعراً مما جاء في «المطمح» لابن خاقان، ثم ذكر خطبة كتاب «المطمح» وأورد بعد ذلك موشحة «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، تتلوها معارضة «بعض متأخري المغاربة»، لموشحة ابن سهل، وجاء بعد ذلك: «وقال في مباراة هذه الموشحات السابقة» ثم أورد النص الذي ذكرنا أوله وخاتمته، فهل تعني: «وقال..» رجعة إلى ابن جودي أم لا؟

إننا نرجح أن صاحب «الكواكب السبعة» اطلع على ما في «النفح»، واعتبر أن النص المذكور لأبي الحسن علي بن جودي، ولا نوافقه على هذا الرأي، وعندنا أن هذه الموشحة أقرب إلى أن تكون من نظم بعض متأخري الوشاحين المغاربة، وبحسبك أن تنظر لمثل قوله «مثل ما شرح غرامي علماً» أو «وانتشق عرف زهور عطر» لتستدل على صحة ما نقول.

ومن جانب آخر فإن هذه الموشحة لو كانت لابن الجودي (المتوفي في

القرن السادس الهجري) لما صح أنها معارضة لموشحة ابن سهل «هل درى» وابن سهل-كما هو معروف من أدباء القرن السابع الهجري، ولوجب القول بأن ابن سهل (ومن عارض موشحته «هل درى» مثل لسان الدين بن الخطيب) هو الذي عارض ابن الجودي، وهذا ما لم يقل به أحد.

● **ابن عيسى الاشبيلي:**

شخصية مجهولة، لم نجد لها ترجمة، وأورد له ابن سعيد في «المغرب» موشحة جميلة مطلعها:

عـــــــرفُ الـــــــــروض فـــــــاح
والــــطـــــيـــــر قـــــد غـــــنّـــــى
والـــــصـــــبـــــحُ أضـــــا
فـــــبـــــاكـــــر الـــــدّنـــــا [10]

ونستبعد أن يكون ابن عيسى هذا هو أبو بكر محمد بن عيسى المشهور بابن اللبانة-وقد سبق الحديث عنه-لأن ابن اللبانة و على الرغم من أنه أقام في اشبيلية طويلاً (في كنف المعتمد بن عباد) إلا أنه لا ينسب في العادة لها بل إلى دانية.

● ابن البنا التلمساني:

جاءت في «العذارى المائسات» موشحة مطلعها:

مَـــنْ أطـــلـــع فـــوق مـــائـــس الـــريـــحـــان
بـــــــــــدر الأفُـــــــــــق
يـــهـــتـــز مـــنـــعـــمـــاً عـــلـــى كـــثْـــبـــان
تحـــــت الـــــغَـــــسَـــــق

نسبت «للفقيه الأديب أبي عبد الله محمد بن البنا، كاتب شاعر متخلق ظريف، من آهل تلمسان»[11]، فهل المعنى هنا «أبو عبد الله بن العباس التلمساني» من علماء القرن الثامن الهجري، وقد ذكره المقري في «نفح الطيب: وقال: «إنه كان رجلاً صالحاً» [12]؟ لسنا على ثقة من ذلك، لأننا لم نجد له ما يدل على أنه كان شاعراً.

وخرجة الموشحة:

مــــا أخـــجــلَ قـــدُّه غـــصـــونَ الـــبـــان
بـــــــــــــــين الـــــــــــــــورق
إلا وسَــــبـــا المـــهـــا مـــع الـــغـــزْلان
ســـــــــــــودُ الحَـــــــــــــدَق

وهي بعينها مطلع موشحة مشرقية شهيرة [13] لصدر الدين بن الوكيل (المتوفي سنة 716 هـ) ألفها على نسق موشحة «مذ شمت سنا البروق من نعمان [14]» للسراج المحار، وعلى غرار موشحة الشهاب الموصلي «مذ غردت الورق على الأغصان» [15]

لعل الموشحات أهم الأشكال التي تفتقت عنها القريحة العربية، في سعيها الحثيث نحو الابتكار والتجديد فقد ظهرت قبلها وواكبتها ألوان أخرى متنوعة، بالفصحى وبالعامية، مثل المسمطات والدوبيت... الخ، ولكن كثيراً منها انطوت صفحته منذ أمد بعيد، أو عاش مغمور الشأن ضئيل الأثر، أما الموشحات فإنها ازدادت مع الأيام رونقاً، وشمل تأثيرها العالم العربي كله، بل والأكثر من هذا أنها تعدت نطاق العالم العربي، وظهرت على غرارها موشحات بالعبرية، فضلاً عن أن جمهرة من علماء الغرب تذهب إلى أن الموشحات (والأزجال) تمثل الركيزة التي بنيت على أساسها أغاني التروبادور، إلى غير ذلك من قضايا تتجاوز نطاق هذه الكلمة.

والموشحات-في واقع الأمر-فن أندلسي خالص، بمعنى أنه لم يعرف في صورته الناضجة المكتملة إلا على أرض الأندلس، وليس في هذا الرأي ما يتعارض والقول بأن هناك أعمالاً ظهرت بالمشرق، يعدونها بمثابة الإرهاص أو التمهيد لظهور هذا اللون الجديد، الذي بزغت شمسه في أخريات القرن الثالث الهجري، على يد شعراء مثل محمد بن محمود (أو حمود) القبري، ومثل مقدم بن معافي، الذي ينتسب بدوره إلى قبرة، إحدى القرى الواقعة قرب قرطبة.

و يضم كتاب «الذخيرة» لابن بسام أقدم إشارة

وصلت إلينا عن طور نشأة هذا الفن:

«وأول من صنع هذه الموشحات بأفقنا واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القبري الضرير، وكان يصنعها على أشطار من الأشعار، غير أن أعثرها على الأعاريض المهملة غير المستعملة، يأخذ اللفظ العامي أو العجمي ويسميه المركز، ويضع عليه الموشحة دون تضمين فيها ولا أغصان».

وهذه الفقرة غاصة بالمصطلحات غير محددة الدلالة، وفيها إشارة عابرة إلى أوزان الموشحات الأولى وما كانت عليه من ارتكاز على مقطع عامي-شعبي؟ أو أعجمي (بالرومانث، لغة الأسبان الأصليين)، وبها تلميح إلى شكل لا «تضمين» فيه ولا «أغصان، الصورة كلها تتسم بالغموض، ومع ذلك فإنها تترك في النفس انطباعاً ما بأن شكل الموشحة القديم كان شديد البساطة، ليس فيه هذا الإكثار من الأجزاء في الأقفال والأبيات، الذي يلحظ في كثير من النصوص التي ألفت في فترات لاحقة، وبمعنى آخر إن صورة الموشحات في مرحلة تكوينها كانت أقرب إلى طبيعة الأغنية الشعبية من حيث بنائها على «الأعاريض المهملة غير المستعملة»، وارتكازها على «اللفظ العامي أو العجمي»، ولا خلاف على أن المقصود بكلمة «اللفظ» هنا ذلك المقطع الختامي، الذي تصل فيه الموشحة إلى ذروة توهجها، وهو ما أطلقت عليه تسمية الخرجة.

ويتلاقى هذا الفهم مع قول ابن سناء الملك:

«والخرجة هي ابزار المرشح وملحه، وسكره ومسكه وعنبره، وهي العاقبة و ينبغي أن تكون حميدة، والخاتمة بل السابقة وإن كانت الأخيرة، لأنها التي ينبغي أن يسبق الخاطر إليها، ويعملها من ينظم الموشح في الأول، وقبل أن يتقيد بوزن أو قافية».

ثم يجيء فريق من الشعراء مجددون في هيكل الموشحة، منهم يوسف بن هارون الرمادي، الذي يذكر ابن بسام أنه «أول من أكثر فيها من التضمين في المراكيز»، ومنهم عبادة بن ماء السماء الذي «أحدث التضفير»-؟-«ذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان فيضمنها كما اعتمد الرمادي مواضع الوقف في المركز».

وتكون النقلة التالية إلى عبارة شهيرة لابن خلدون تقول:

«وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وكذبت مناحيه وفنونه

وبلغ التنميق فيه الغاية، استحدث المتأخرون منهم فناً سموه بالموشح، ينظمونه أسماطاً أسماطاً وأغصاناً أغصاناً، يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة، فيسمون المتعدد منها بيناً واحداً، و يلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها، متتاليا فيها بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات، ويشتمل كل بيت على أغصان، عددها بحسب الأغراض والمذاهب».

وعند هذا الحد تكون قد تجمعت بين يدي القارئ معظم الخيوط المتصلة بهيكل الموشحة ومصطلحاتها، ولكن تنبغي ملاحظة ما تتميز به الموشحات من مرونة، كذلك فان المصطلحات التي تتردد (التضفير، التصغير، التضمين-هل تجني كلها معنى واحداً؟-الأغصان، الأسماط) مجال لاختلاف وجهات النظر إلى حد بعيد، يضاف إلى هذا ما يظهر في حقب لاحقة من مصطلحات جديدة مثل «الدور» وقدر موفور من التعبيرات المستمدة من الاصطلاحات-الموسيقية، بحكم الصلة الوثيقة بين الموشحات والغناء، ولا يبقى إلا الإشارة لاستقرار دلالات «القفل» و«الخرجة»، فقد أفلتا-أو كادا-من دوامه الجدل والخلاف.

ولا تثير مسألة الموضوعات التي تعالجها الموشحات كثير الجدل، وقد حسم ابن سناء الملك القضية عندما قال إنه «يعمل فيها ما يعمل في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجو والمجون والزهد، وما كان فيها في الزهد يقال له المكفر» وساق ابن خلدون رأيها مشابهاً: «وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل في القصائد» ولكن هذه الأقوال لا تبين طبيعة التطور الذي طرأ على الموضوعات، كما أنها لا تحدد مدى مناسبة هذه الموضوعات لطبيعة الموشحات.

والتصور الطبيعي أن الموشحات بدأت أول ما بدأت بمعالجة موضوعات الغزل والوصف والحنين والخمريات، أي تلك الفنون شديدة الصلة بالموسيقى والغناء، ثم جاء طور لاحق أخذت تعالج فيه بقية الأغراض المألوفة في القصائد، كالمديح مثلاً (أما الرثاء والهجاء فإنهما لم يشغلا إلا مكانة ثانوية)، ولا يأتي-في العادة-إلا مسبوقاً بتمهيدات غزلية أو وصفية أو نحو ذلك.

أما الموشحات الزهدية والدينية فإنها تمثل طوراً تالياً تبزغ فيه أسماء

عديدة مثل أبي مدين وابن عربي والششتري وابن الصباغ...، وعلى أيدي هؤلاء يعود للموشحة جانب من انتمائها للبيئة الشعبية وللغناء، وتنداح هذه الموشحات في حلقات الذكر والمتدروشين، منفلتة في أحايين كثيرة من قواعد الفن وفصاحة اللغة، مرتحلة في ركاب هذه المواكب الهائمة في فجاج الأرض.

ولربما كان من الضروري أن تعرج هذه الكلمة على أعلام التوشيح في الأندلس، وهنا ستكون لنا اكثر من وقفة:

وقفة أولى تتناول مرحلة النشأة، حيث تبرز ثلاثة أسماء:

محمد بن محمد القبري، ومقدم بن معافي، ثم ابن عبد ربه صاحب «العقد الفريد»، فالمصادر تؤكد أن هؤلاء هم الرواد الأوائل لهذا الفن الجديد، وان كان الملحوظ أن ابن بسام يسوق اسم محمد بن محمود على اعتبار أنه «المخترع» الأول ثم يضيف:

«وقيل إن ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا» وبمعنى آخر أن ابن بسام لا يذكر اسم مقدم بن معافى في هذا الصدد (بل أن اسم مقدم لا يرد على الإطلاق في جميع أجزاء الذخيرة)، بينما يجيء في «المتقطف من أزاهر الطرف» لابن سعيد، ونقل عن الحجارى صاحب «المسهب».

«أن المخترع لها-للموشحات-بجزيرة الأندلس مقدم بن معافي القبرى، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربه صاحب كتاب العقد».

ويبقى بعد هذا أن المعلومات عن محمد بن محمود وعن مقدم بن معافي من الندرة بمكان، وإذا كان الاسم الثالث-اسم ابن عبد ربه-ملء السمع والبصر بفضل كتابه «العقد» فان صلته بفن التوشيح تبدو شديدة الغموض، والشيء المؤكد-على كل حال-أن المصادر لم تحتفظ ألبته بأي نموذج من تأليف هؤلاء الرواد، مما يجعل الحديث عن الموشحات الأولى محفوفا بالصعاب، لا يعتمد فيه إلا على بعض العبارات المبثوثة في «الذخيرة» و «المقتطف».

ومن الطبيعي أن الصورة، في المرحلة التالية، تأتي أكثر وضوحا، والإشارة هنا للجيل الثاني من الوشاحين الذي حمل الراية بعد جيل الرواد، وهذا

الجيل الثاني يضم أسماء شهيرة في تاريخ الأدب الأندلسي مثل يوسف بن هارون الرمادي، وابن ماء السماء، وابن عبادة لكن تظل هناك-مع ذلك- ملامح يشوبها الغموض، فإننا لا نملك نماذج إلا لاثنين من سبعة وشاحين يذكرون في هذه المرحلة، فضلا عن أن قدرا من الاضطراب يسيطر على المعلومات والنصوص المعروفة لهذين الوشاحين (ابن ماء السماء وابن عبادة) وربما أدى المزيد من التنقيب في التراث الأندلسي إلى الكشف عن معلومات تزيل ما يرين من لبس في هذه الناحية.

ومن حسن الحظ أن الموشحات في المرحلة الثالثة-التي تستغرق فترة القرن السادس الهجري كله-تكون قد نضجت كل النضج، واستقامت لها كل قواعدها الفنية وبرزت أسماء رنانة مثل ابن بقى والأعمى التطيلي وابن زهر (الحفيد)، ولمعت نصوص فياضة بالسحر والوهج

مثل:

بـــــأبــــي ظـــــبـــــي حـــــمًـــــى

تـــكـــنُـــفُـــهُ أســـدٌ غـــيـــلْ

ومثل:

ضـــاحـــكٌ عـــن جُـــمـــانْ

ســـافـــرٌ عـــن بـــدر

ضـــاق عـــنـــهُ الـــزّمـــانْ

وحـــــواهُ صـــــدرى

وتنساب نغمات شاردة، يمتزج فيها الجوى والغزل والافتتان بالطبيعة كما في موشحة ابن زهر:

حـــيِّ الـــوجـــوه المـــلاحـــا

وحـــيِّ نُـــجْـــلَ الـــعُـــيـــونْ

أو قطعته الشهيرة:

أيّـــهـــا الـــسّـــاقـــي إلـــيـــك المـــشـــتـــكـــى

كـــم دعـــونـــاك وإنْ لـــم تـــســـمـــع

والخلاصة أن هذا الفن يصل إلى قمة تمامة في القرن السادس الهجري، وقد احتفظت مجموعات مختلفة مثل «دار الطراز» و «توشيع التوشيح»، و «جيش التوشيح» بقدر وفير من النصوص الجميلة التي تنتمي لهذه الفترة.

وتجئ مرحلة تالية-في القرن السابع الهجري-تبدأ فيها الموشحات الصوفية في التدفق، وتظهر هنا وهناك بعض سمات الخروج عن القواعد المتفق عليها، على أن التقاليد الأصيلة تظل ماثلة عند عدد من المبرزين في التوشيح، مثل ابن سهل الاشبيلي صاحب النص المعروف:

هــل درى ظــبــي الجــمــى أنْ قــد حَــمَــى

قــلــبَ صــبّ حــلّــه عــن مَــكْــنــس

وصاحب موشحة «رحب بضيف الأنس» التي لم تشتهر شهرة «هل درى»، ومع ذلك فإنها لا تقل عنها جمالا، فضلا عن أنها تخلف في النفس أثرا يشبه-من بعض الوجوه-ما تخلفه قراءة «رباعيات الخيام» من أصداء وعبق وحرارة.

وآخر حلقة تشمل شعراء القرنين الثامن والتاسع، وهي حقبة تنتهي سنة 898 هـ بانتهاء الهيمنة الإسلامية على آخر مدينة أندلسية هي غرناطة، وهكذا يقدر لأصداء الموشحات أن ترتحل بعيدا عن أجواء الحمراء ومغاني غرناطة، كما ارتحلت من قبل عن قرطبة واشبيلية وطليطلة وغيرها من مدن الأندلس.

ولم تخل هذه المرحلة من وشاحين مجودين مثل أبى حيان الغرناطى وابن خاتمة الأنصاري وأبن زمرك، على أن أشهرهم جميعا لسان الدين بن الخطيب الذي يتألق في فن التوشيح على نحو فريد، وبحسبه أنه صاحب:

جــادك الــغــيــث إذا الــغــيــث هــمــي

يــا زمــان الــوصــل بــالأنــدلُــس

وقد عارض فيها موشحة «هل درى ظبي الحمى» لابن سهل، لكن المعارضة فاقت الأصل شهرة، وأصبحت معلما بارزا من معالم فن التوشيح إلى يومنا هذا.

وللرجل نفسه نصوص أخرى لا تقل براعة عن «جادك الغيث» مثل موشحته:

قــد حــرّك الجُــلْــجُــلْ بــازي الــصّــبــاحْ

والــفــجــر لاحْ

فــيــا غــرابَ الــلــيــل حُــثّ الجــنــاحْ

ومن الغريب حقا أن موشحته:

رُبّ لـــيـــل ظـــفـــرتُ بـــالـــبـــدر
ونجـــومُ الـــسّـــمـــاء لـــم تَـــدْرِ

تجئ في نفح الطيب مصدرة بـ:

قال لسان الدين بن الخطيب رحمه الله تعالى: ومما قلته من الموشحات التي انفرد باختراعها الأندلسيون وطمس الآن رسمها «فهل طمس رسم الموشحات حقا في الحقبة التي عاش فيها ابن الخطيب؟ لا نظن، ولعل الرجل كان يقصد أن الأيام عدت على ذلك العهد الزاهي الذي كانت فيه الموشحات تتردد في أبهاء القصور، ومجالي اللهو والطرب، وأنه يقصد أن الأجيال اللاحقة لم تعد تبدع في هذا الفن نصوصا من نمط ما أبدع من قبل ابن بقى والتطيلى وابن زهر.

وهكذا تكون رحلة الموشحات على أرض الأندلس قد انطوت بعد فترة دامت زهاء خمسة قرون، استطاعت فيها أن تضيف لقيثارة الشعر العربي وترا جديدا قوامه التوهج والصفاء، والتعبير عن خوالج النفس، والإحساس العارم بالحب والطبيعة والحياة.

ملاحق

نماذج من الموشحات

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

نماذج من الموشحات

● عبادة بن ماء السماء (المتوفى نحو سنة 420هـ):

- مـــــن ولـــــى

في أمة أمرا ولم يعدل

- حـب المـهـا عـبـادة

من كل بسام السواري

● ابن عبادة القزاز (المتوفى نحو سنة 500 هـ):

- رح لـلـــراح وبـــاكـــر

بـالمـعـلـم المـشـوف

- كم فـي قـدود الـبـان

تحـــت الـــلـــمـــم

● ابن اللبانة (المتوفى سنة 506 هـ):

- شاهدي في الحب من حرقي

أدمع كالجمر تنذرف

- هلا عذولي قد خلعت العذار

لا اعـــــتـــــذار.

● ابن أرفع رأسه (أوائل القرن السادس الهجري):

- مـــن عـــلـــق الـــقـــرطـــا
فـــي أذن الـــشـــعـــرى

● ابن لبون (أوائل القرن السادس الهجري):
- مـــن أطـــلـــع الـــبـــدر فـــي كـــمـــال
غـــصـــن اعـــتـــدال

● الكميت البطليوسى (النصف الأول من القرن السادس الهجري):
- لاح لـــلـــروض كـــل غـــر الـــبـــطـــاح
زهـــر زاهـــر

● ابن عيسى المرسى الخباز (النصف الأول من القرن السادس الهجري):
- مـــن لـــي بـــظـــبـــى ربـــيـــب
يـــصـــيـــد أســـد الـــغـــيـــاض

● الأعمى التطيلى (المتوفى سنة 525 هـ:
- دمـــع ســـفـــوح وضـــلـــوع حـــرارة
مـــاء ونـــار
- ضـــاحـــك عـــن جـــمـــان
ســـافـــر عـــن بـــدر

● أبو بكر الأبيض (المتوفى بعد سنة 525 هـ):
- مـــن ســـقـــى عـــيـــنـــيـــك كـــأس المـــدام
يـــا مـــنـــى المـــســـتـــهـــام

● ابن الزقاق (المتوفى سنة 530)
- خـــذ حـــديـــث الـــشـــوق عـــن نـــفـــســـي
وعـــن الـــدمـــع الـــذي هـــمـــعـــا

● ابن رحيم (المتوفى نحو سنة 530):

- نسيم الصبا أقبل من نجد
لقد زادني وجدا على وجد

● أبو بكر بن بقى (المتوفى سنة 545 هـ):

- ساعدونا مصبحينا
نرتشفها قد ظمينا
- ما لي شمول
إلا شجون

● أبو جعفر بن سعيد (المتوفى سنة 550 هـ):

- ذهبت شمس الأصيل
فضة النهر

● أبو عبد الله بن شرف (المتوفى سنة 570 هـ):

- يا ربة العقد
متى يقلد

● ابن مالك السرقسطى (المتوفى سنة 571 هـ):

- ماذا حملوا
فؤاد الشجي يوم ودعوا

● ابن زهر الحفيد (المتوفى سنة 595 هـ):

أيها الساقي إليك المشتكى
قد دعوناك وان لم تسمع
حى الوجوه الملاحا
وحى سود العيون

● محيى الدين بن عربي (المتوفى سنة 638 هـ):

- **عـــنـــدمـــا لاح لـــعـــيـــنـــي المـــتـــكـــا**
ذبـــت شـــوقـــا لـــلـــذى كـــان مـــعـــى

● ابن سهل الاشبيلى (المتوفى نحو سنة 650 هـ):
- **هـــل درى ظـــبـــي الحـــمـــى أن قـــد حـــمـــى**
قـــلـــب صـــب حـــلـــه عـــن مـــكـــنـــس

● ابن خلاتمة الأنصاري (المتوفى سنة 770 هـ):
قـــم هـــاتـــهـــا قـــهـــوة
كـــدمـــع مـــهـــجـــور

● لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة 776 هـ):
- **يـــا حـــادي الجـــمـــال**
عـــرج عـــلـــى ســـلا

● ابن زمرك (المتوفى سنة 795 هـ):
- **نـــســـيـــم غـــرنـــاطـــة عـــلـــيـــل**
لـــكـــنـــه يـــبـــرئ الـــعـــلـــيـــل

● اللخمي الغرناطي (من شعراء القرن التاسع الهجري):
- **حـــيـــاك بـــالأفـــراح**
داعـــي الـــصـــبـــاح
قـــم لاصـــطـــبـــاح

● المنصور السعدى (المتوفى سنة 1012 هـ):
- **عـــطـــر الأرجـــاء لمـــا نـــســـمـــا**
شـــمـــال الـــصـــهـــبـــاء عـــنـــد الـــغـــلـــس

● عبادة بن ماء السماء (نحو سنة 420 هـ):

١

مَنْ ولى في أمة أمرا ولم يعدل يُعْزَل إلا لحاظُ الرشأ الأكحل

جُــــــــــــرْتَ فــــــــــي [1]

حــكــمــكَ فــي قــتــلــي يــا مــسْــرفُ

فــــــــانــــــــــصـــــــــف

فــواجــبٌ أن يــنــصــفَ المــنــصــفُ

وارأف

فــإنّ هــذا الــشــوقَ لا يــرأفُ

عَلِل قلبي بذاك البارد السلسل ينجلى [2] ما بفؤادي من جوىً مُشْعل

إنمـــــــــــــــــــــــــــــــــا

يــبــرز كــى يــوقــدَ نــارَ الــفــتَــن [3]

صـــــــــنَـــــــــمـــــــــا

مــصــورا مــن كــلّ شــيء حَــسَــن

إنْ رَمَـــــــــــــــــــــــــــى

لــم يُــخــط مــن دون الــقــلــوب الجُــنَــنْ

كيف لى تخَلّصٌ من سهمكَ المُرْسَل فَصل واستبقني حياً ولا تقتُل

يـــــــا سَـــــــنـــــــا

الــشــمــس ويــا أبــهَــى مــن الــكــوكــب [4]

يـــــــا مُـــــــنَـــــــى

الــنــفــس ويــا سُــؤلــي ويــا مــطــلــبــى

هــــــــا أنـــــــــا

حــلّ بــأعــدائــك مــا حــلّ بــى

عُذّلى من ألم الهجْران في معزلِ والخلى فــي الحُــبّ لا يسألُ عمنُ بلى

أنـــــــــت قـــــــــد

صــيّــرت بــالحــســن مــن الــرشــد غــى

لـــــــــــــــــم أجــــــــــــــــــدْ
فـي طـرفـى [5] حـبـك [6] دَيْـنـا عـلـى
فـــــــــاتـــــــــــــئـــــــــدْ
وان تـشـا فـي قـتـلـي شـيـئـا فَـشـىْ
أجمل ووالنى منك يدَ المُفْضل [7] فهى لى من حسنات الزمن المُقْبل

مـــــــــا اغـــــــتــــــــذى
طَـرْفِـىَ إلا بـسـنـا نـاظـرَيْـكْ
وكـــــــــــــــــــــــذا
فـي الحُـبّ مـا بـي لـيـس يـخـفَـى عـلـيـكْ
ولـــــــــــــــــــــــذا
أنـشـد والـقـلـبُ رهـينٌ لـديـكْ:
يا على سلطت جفنيكَ على مقتلي فابْق لى قلبي وجُدّ بالفضل يا موئلى

٢

حُـــبّ المَـــهـــا عـــبَـــادَةَ
مـــن كـــلّ بـــسـام الـــسّـــوار
قمرُ يطلع من حسن آفاق الكمال حسنُهُ إبدَاعْ
لـــــــه ذاتُ حـــــــســـــن
مـــلـــيـــحـــةُ المُـــحَـــيّـــا
لــهـــا قـــوامُ غـــصـــن
وشَــنْــفُــهـــا الـــثُّـــرَيّـــا
والـــثـــغـــرُ حُـــبٌّ مُـــزْن
رُضُـــابُـــه الحُـــمـــيّـــا
مـــن رشـــفـــه ســـعـــادة
كـــأنـــه صـــرفُ الـــعـــقـــار
جوهرٌ رصّعْ يسقيك من حلو الزُلال طيبَ المشَرَعْ
رشـــيـــقـــةُ المـــعـــاطـــفْ
كـــالـــغـــصـــن فـــي الـــقَـــوام

شـــــهـــــديـــــةُ المـــــراشـــــفْ

كـــــالـــــدُّرفـــــي نـــــظـــــام

دعـــــصـــــيـــــةُ الـــــروادف

والخـــــصْـــــرُ ذو انـــــهـــــضـــــام

جـــــوّالـــــةُ الـــــقـــــلادة

مـــــحـــــلـــــولـــــةٌ عَـــــقْـــــدُ الإزارْ

حسنُها إبدعَ   من حسن ذيّاكَ الغزالْ   أكحل المَدْمَعَ

لـــــيـــــلـــــيـــــةُ الـــــذوائـــــب

ووجـــــهُـــــهـــــا نَـــــهَـــــارْ

مـــــصـــــقـــــولـــــةُ الـــــتـــــرائـــــبْ

ورشـــــفُـــــهـــــا عـــــقـــــارْ

أصـــــداغُـــــهـــــا عـــــقـــــاربْ

والخـــــدُّ جُـــــلّـــــنَـــــارْ

نـــــاديـــــتُ: وافـــــؤادهْ

مـــــن غـــــادة ذات اقـــــتـــــدارْ

لحظُها أقْطَعَ   من حدّ مصقولة النّصال   من الفتـى الأشْجعَ

سَـــــفَـــــرْجَـــــلُ الـــــنُّـــــهـــــود

فـــــي مـــــرمـــــر الـــــصّـــــدور

يُـــــزْهَـــــى عـــــلـــــى الـــــعـــــقـــــود

مـــــن لـــــذة الـــــنُّـــــحـــــور

ومـــــقـــــلـــــة وجـــــيـــــد

مـــــن غـــــادة سَـــــفُـــــور

حـــــبـــــي لـــــهـــــا عـــــبَـــــادَة

أعـــــوذُ مـــــن ذا الـــــفـــــخـــــار

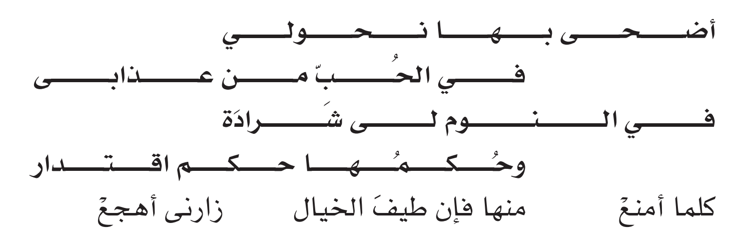
برشاً يرتعَ   في روض أزهار الجَمالَ   كلما أينعَ

عـــــفـــــيـــــفـــــةُ الـــــذيـــــول

نـــــقـــــيـــــةُ الـــــثّـــــيـــــاب

ســـــلابـــــةُ الـــــعُـــــقـــــول

أرقُّ مـــــن شَـــــرَاب



أضـــحـــى بـــهـــا نـــحـــولـــي
فـــي الحُـــبّ مـــن عـــذابـــي
فـــي الـــنـــوم لـــى شَـــرادَة
وحُـــكـــمُـــهـــا حـــكـــم اقـــتـــدار
كلما أمنعَ　　منها فإن طيفَ الخيال　　زارنى أهجعَ

● ابن عبادة القزاز (نحو سنة 500 هـ)

١

رُحْ للراّح وباكر بالمُعَلم المَشوق غبوقاً وصَبُوحْ على الوتَر الفَصيحْ

لـيـس اسـمُ الخـمـر عـنـدي
مـأخـوذاً فـاعـلـمْ
إلا مـن خـاء الخَـدّ
ومـيـم المَـبْـسَـمْ
وراء ريـق الـشّـهـد
الـعـاطـر الـفَـمْ

فكُنْ للهمّ هاجر وصلْ هذي الحروفْ كي تغدو وتروحْ بجسم له روح

بـالـلـه سـقـنـيـهـا
فـي وُد الـواثـقِ
فـإنَّ مـنـه فـيـهـا
شـبـهٌ الخـلائـقِ
مـن أعـدمَ الـشـبـيـهـا
فـي المجـدِ الـبـاسـقِ

له من المفاخِرْ تليدٌ وطريفْ دوح من عهد نوح وروضة تفوح

هـل تَـحْـسُـنُ المـدائـحْ
مـن كـلّ مـادحْ
إلا عـلـى الجَـحـاجـحْ
بـنـي صـمـادحْ
فـإنـهـم مـصـابـحْ
عـلـى سـوانـحْ

أكارم أكابرْ صيدٌ شُمُّ الأنوفْ حازُوا المجدَ الصّريح فَخُصُّوا بالمديحْ

مـحـمـدٌ بـعـيـدْ
مـرامُـه قـريـبْ
وحـولَـه جـنـودْ
مـن آلـه تُـجـيـبْ

كـــــأنــــــــهــــــــم أسُــــــودْ
فــــــي حـــــومــــــة الحُــــروبْ
إذا سلّوا البواترَ فالحَيْنُ والحُتوفَ والنصرُ والفتُوحَ وآيةٌ تلوحَ
إذ لاح ابـــــــنُ مـــــــعـــــــن
فــــي جـــيـــشـــه الـــلَّـــجـــبْ
ونـــــــادى كـــــل قـــــرن
بـــاســـمـــه فـــي الـــلَّـــعـــبْ
فـــالـــهَـــيْـــجـــا تـــغـــنـــي
والـــســـيـــف قـــد طـــربْ
ما أملحَا العساكر وترتيبَ الصُّفوفَ الأبطالَ تصيحَ الواثقَ يا مليحَ

٢

كم في قدود البانْ تحت اللّممْ من أقمر عوَاط
بأنمل وبَنَانْ مثل العَنَمْ لم تَنْبَر لعَاط
هُـــنّ الـــظّـــبـــاءُ الـــشـــمـــسْ
قـــنـــيـــصُـــهُـــنَّ الـــضَّـــيـــغـــمُ
مـــا إن لـــهـــا مـــن كُـــنــسْ
إلا الـــقـــلـــوبُ الـــهُـــيَّـــمُ
الـــقـــربُ مـــنـــهـــا عُـــرْسْ
والـــبـــعـــدُ عـــنـــهـــا مـــأتَـــمُ
تـــلـــك الـــشـــفـــاهُ الـــلُّـــعـــسْ
يَـــحْـــيَـــى بـــهـــن المُـــغْـــرَمُ
لـــهـــا لحـــاظٌ نُـــعْـــسُ
تـــرنـــو إلـــى مـــن يَـــسْـــقَـــمْ
بأعين الغزلانْ وتبتسمْ عن جَوْهَر الأسماط
قضى لها الغَيْرانْ أن تكتمْ في مُضْمَر الأنْيَاط
أهـــوَى رشـــاً ســـاحـــرا
هـــواهُ لـــي مـــا أقـــتـــلَـــهْ

قـــــد مَـــــسَـــــخـــــتْ طـــــائـــــرًا
ألحـــــاظُـــــه قـــــلـــــبـــــي ولَـــــهْ
ولـــــــم يـــــــزلْ ســـــــادرًا
عـــــلـــــى هـــــوَى مـــــا عـــــلّـــــلَـــــهْ
لمـــــا غـــــدا قـــــادرا
غـــــدا قـــــلـــــيـــــلَ المَـــــعْـــــدلَـــــهْ
يـــــا حـــــاكـــــمـــــا جـــــائـــــرا
ظـــــلـــــمـــــتَ مـــــن لا ذنـــــبَ لـــــهْ
خفْ سطوةَ الرحمنْ إذا حَكَمْ بين البري والخاطي
سطوتَ بالهَيْمانْ ظلما ولمْ يستتصر يا ساطي
يـــــا ويـــــح مَـــــنْ شُـــــوّقَـــــا
إلـــــى حـــــبـــــيـــــب قـــــد سَـــــلا
قَـــــضـــــى بـــــأن يُـــــغْـــــرقـــــا
فـــــي الـــــدمـــــع مَـــــنْ قـــــد أمـــــحَـــــلا
ظُـــــلـــــمـــــاً وأن يـــــخـــــفـــــقـــــا
مـــــنـــــه الـــــفـــــؤادُ المـــــبـــــتـــــلَـــــى
كـــــأنمـــــا عُـــــلّـــــقـــــا
مـــــنـــــه عـــــلـــــى تـــــلـــــك الـــــطّـــــلـــــى
فـــــقـــــلـــــت مـــــســـــتـــــنـــــطـــــقـــــا
مَـــــنْ ذا الـــــذي أهـــــدى الـــــى

فؤادي الخَفَقانْ فقال قُمْ فلتنظُر في الشاطي
إلى بنود الشوانْ عدّواك ثَمْ واستخبر أقراطي
أمـــــا تـــــراهـــــا مـــــثُـــــولْ
عـــــلـــــى قـــــنـــــاهـــــا خـــــافـــــقَـــــهْ
فـــــي جـــــاريـــــات تجـــــولْ
مـــــثـــــلَ الجـــــيـــــاد الـــــســـــابـــــقـــــة
إنـــــشـــــاء مَـــــنْ فـــــي المُـــــحـــــولْ
يُـــــنْـــــشـــــي الـــــســـــحـــــابَ الـــــوادقَـــــهْ

سـمــتْ عــلــى الــنــجــم طُــولْ
مــنــهــا فــروعٌ بــاســقــة
إن الــثّــريــا تــقــولْ
وإنــهــا لــلــصــادقَــهْ

ما فوق هذا المكانْ من الهمَمْ فيه يرى مناطي
سَمَتْ على كيوانْ منه القَدَمْ والمُشْتَرى مواطي

أفــلاك مُــلــك تــنــيــرْ
ســعــادةُ لــلــمــســلــمــينْ
تــســري الــدّدى وتَــســيــرْ
بــالــفــتــح والــنــصــر المُــبــينْ
يــســوءُ بــعــدَ الــنَّــذيــرْ
مــنــهــا صــبــاحُ المــنــذريــنْ
تُــحْــدَى بمــدح الأمــيــرْ
إلــى بــلاد المُــشْــركــينَ
أنــي نَــحــا فــتــطــيــرْ
بمــثــل أشــفــار الجُــفــونْ

ومَبْسَمَ الخرْصانْ قد انتظَمْ كأسطر الأمشاط
والبحرُ كالبركانْ قد اضطرمْ بمُسْعَر الأنفاط

ومــهْــرجــان لــهُ
يــومٌ أنــيــقٌ مــنــظــرُهْ
بــحــرٌ حــكــى رمــلَــهُ
مــن كــلّ طــيــب عــنــبــرُهْ
والــشّــاط قــد حــلــهُ
مــحــمــدٌ وعــســكــره
مــركّــبــا رجــلَــهُ
فُــلْــكــاً حَــكَــتْــهــا ضُــمّــرُه
فــقــال عــبــدٌ لــهُ
مــتــســحــسنٌ مــا يــبــصــرُهْ:

ما أملحَ المهرجانْ رمل يَنمّ كالعنبر للواطي
والفلكُ كالعقْبانْ والمعتصمْ بالعسكَر في الشاطي

● ابن اللبانة (المتوفي سنة 507 هـ):

١

شـــاهـــدي فـــي الحُـــبّ حُـــرقـــي
أدمـــع كـــالجـــمـــر تـــنـــذرف
تـــعـــجـــز الأوصـــاف عـــن قَـــمَـــر (1)
خـــدّه يـــدمـــي مـــن الـــنـــظـــر
بـــشـــرٌ يـــســـمـــو عـــلـــى الـــبَـــشَـــر
قـــد يـــراهُ الـــلـــهُ مـــن عَـــلَـــق
مـــا عـــســـى فـــي حـــســـنـــه أصـــفُ
كـــيـــف لـــلـــصـــبّ الـــكـــئـــيـــب بـــقـــا
والـــكَـــرى عـــن جـــفـــنـــه أبـــقَـــا
هـــل يـــطـــيـــقُ الـــصـــبـــرَ مَـــنْ عَـــشـــقَـــا
شـــادنـــاً يـــرمـــي مـــن الـــحـــدق
أســـهـــمـــا قـــلـــبـــي لـــهـــا هَـــدَفُ
يـــا أولـــى الـــتـــفـــنـــيـــد وَيـــحـــكـــمُ (2)
أنـــا لا أصـــغـــي لـــنـــصـــحـــكُـــمُ
فـــي ثـــلاث قـــد عـــصـــيـــتـــكُـــمُ
غَـــسَـــقٌ داج عـــلـــى فَـــلَـــق
فـــي قـــضـــيـــب زانَـــه الـــهَـــيَـــفُ
بـــأبـــي مَـــنْ فـــاق شـــمـــسَ ضُـــحـــى
وكـــســـا بـــدْرَ الـــدُّجـــى مُـــلَـــحـــا (3)
فـــدلـــيـــلـــي فـــيـــه قـــد وَضَـــحـــا
لـــوجـــود الـــشـــمـــس (4) **فـــي الأفـــق**
عَـــدَمٌ والـــبـــدرُ يـــنـــكـــســـفُ
رُبّ راض بـــعـــد مـــا غَـــضـــبـــا

زارنـــي فـــي غـــفـــلـــة الـــرُّقَـــبـــا
عـــنـــدهـــا غـــنـــيـــتُ: واطـــربـــا
يـــا حـــبـــيـــبـــاً بـــات مـــعـــتـــنـــقـــي
هـــا أنـــا بـــالـــوصـــل مُـــعْـــتَـــرفُ

٢

هلاّ عذولى قد خلعتَ العذارْ   لا اعتذارْ   عن ظُبا الإنْس وشُرْبُ العُقَار
مـــا الـــعـــيـــش إلا حُـــبُّ ظـــبـــي أنـــيـــسْ
مـــهـــفـــهـــف أحـــوَى وحـــثّ الـــكـــؤوسْ
مـــن قـــهـــوة تحـــكـــي شُـــعـــاعَ الـــشّـــمـــوسْ
كـــأنـــهـــا فـــي كـــأســـهـــا إذ تُـــدارْ شـــعـــلـــةُ نـــارْ
يـــقـــتُـــلُـــهـــا الإبـــريـــقُ قـــبـــل الـــسّـــوارْ
شـــيـــئـــان قـــلـــبـــي فـــيـــهـــمـــا ذُو غَـــرامْ
الـــقـــولُ بـــالـــغـــيـــد وشـــربُ المُـــدامْ
فـــلـــســـتُ أصـــغـــي فـــيـــهـــمـــا لـــلـــسوَّامْ
لا والذي تُوّجَ تاجَ الفخار   بحرُ البحار   ببحر جَدْواه وحامي الدّيار
المَـــلـــك المـــأمـــونُ ذو المـــكـــرُمـــاتْ
الـــواحـــدُ الـــفـــردُ الجـــزيـــلُ الـــصّـــفـــاتْ
كـــم مـــادح أحـــيـــا وكـــم قـــدْ أمـــاتْ
تنهلُّ يُمناهُ علينا بحارْ   ثُمَّ اليَسَارْ   تجلو دُجى   العُسْر ببذل اليَسَارْ
فـــي اســـمـــه لـــلـــنـــصـــر والـــفـــتـــح فـــالْ
قـــد عـــم أهـــل الأرض طُـــرَّ نَـــوالْ
أصـــبـــح فـــي الجـــود بـــغـــيـــر مـــثـــالْ
أنجدَ ذكراه الكريم وغارْ   في الأمصارْ   حتى حدت فيه حداة القطار
وغـــادة تـــشـــكـــو بـــعَـــادَ الخـــلـــيـــلْ
غُـــدُوّهـــا تـــبـــكـــي ويـــوم الـــرحـــيـــلْ
بـــصـــفـــة الـــبـــحـــر وظـــلـــت تـــقـــولْ
يا قرجوني ككرس بون امار   ليشْ الفرار   وليشْ دمار [١]

● ابن رافع راسه (أوائل القرن السادس الهجري؟):

مَنْ علّق القُرطَا   في أذن الشعرى   وأكفف المرطَا   الغُصْنَ النّضْرا

الحـــــسـ ـــــــنُ مــــــرجـــــوم
عـــــنـــــدي ومـــــأثـــــومُ
والـــــطـــــرقُ ظـــــلـــــومُ
والـــقـــلـــبُ مـــظـــلـــومُ
بـــــأبـــــي ريمُ
يـــعـــشـــقـــهُ الـــرّيمُ

لم يأكل الخَمْطا   ولا رعى السّدْرا   ولا رعى الأرْطى [1]   مذ سكَن القصْرا

يـــا قـــومُ بـــي تَـــيّـــاه
لـــمـــاه مـــعـــسُـــولُ
الـــهـــجـــرُ مـــنْ هـــجـــراه [2]
والـــذنـــبُ مـــحـــمـــولُ
يـــدري الـــذي يـــهـــواه
أنـــه مـــقـــتـــولُ

أماتني عَبْطا [3]   وما اتقى الوزْرا   لم أعرف الشّرطا   فكنتُ مُغْتَرّا

قـــد هـــمْـــتُ فـــي وَسْـــنـــان
أسْـــدَ الـــشّـــرى يَـــسْـــبـــي
بـــلـــحـــظـــة الـــفَـــتّـــانْ
فـــي مـــعـــرك الحـــرب
عـــلـــى الـــظـــبـــى ســـلْـــطـــانْ
بـــقـــدرة الـــرَّب

سبحانَ من أعطَى   جفونك السّحْرا   والقبضَ والبسطا   والنّهي والأمْرَا

عـــلـــيّ مـــا أعْـــدى
ســـيـــوف عـــيـــنـــيـــكـــا
كـــم أنّـــبَ الأعـــدا
بـــعـــذلـــهـــم فـــيـــكـــا
والحـــســـنُ قـــد أبـــدَى
عُـــذري بـــخـــدّيـــكـــا

بأحرف خَطّا لم تعرف الحبْرا أودعَها نَقْطا بالحبْر كي تُقْرَا
ضَـــــنّ بـــــإســــعـــــادي [4]
والـــشـــمـــسُ تحـــكـــيـــه
مـــنْ بـــعـــد مـــيـــعـــاد
أبـــدَى الـــرّضـــا فـــيـــه
فـــكـــان إنـــشـــادي
خـــوف تجـــنّـــيـــه
حبيبي قد أبْطا [5] من أمسكَ البَدْرا عني لقد أخطا وأشغل السرّا

● ابن لبون (أبو عيسى)-أوائل القرن السادس الهجري:
مـــن أطـــلـــع الـــبـــدرَ فـــي كـــمـــال
غـــصـــن اعـــتـــدال
بمـــهـــجـــتـــي شـــادنٌ غـــريـــرُ
يـــجـــورُ [1] حُـــكـــمـــا ولا يُـــجـــيـــرُ
ومـــا ســـوى أدمـــعـــي نَـــصـــيـــرُ
تـــفـــعـــلُ عـــيـــنـــاه بـــالـــرّجـــال
فـــعـــلَ الـــعَـــوال
عُـــلّـــقـــتُـــه أو طـــفـــاً كَـــحـــيـــلْ [2]
يـــحـــسُـــده الـــغـــصـــنُ إذ يمـــيـــلْ
تجـــولُ فـــي ثـــغـــره شـــمُـــولْ
يمـــج فـــي ثـــغـــره لآل
بَـــرْد الـــزّلال
يـــا أيـــهـــا الـــعـــاذلُ الخَـــلـــيْ
بـــي مـــنْ بـــنـــى الـــلـــيـــث بـــابـــلـــي
قـــلـــبـــي بـــه مـــغـــرمٌ شَـــجـــيْ
عَـــذلُـــك عـــنـــدي-إذ لـــســـت ســـال
مـــنَ المحُـــالِ
كـــم قـــلـــتُ لا أدّعـــي بـــحـــبـــهْ

لـــطـــول إعـــراضـــه وعـــتـــبـــهْ
حـــتـــى إذا لاح صـــبـــحُ قـــريـــهْ
أبـــديـــتُ مـــن عـــزة الجـــمـــال [3]
ذلّ الـــــــســـــــؤال
مـــازلـــتُ أشـــكـــو لـــه بـــبـــعـــدهْ
حـــتـــى أرعـــوى حـــافـــظـــاً لـــعَـــهْـــدهْ
كـــأنـــــه إذا أتـــــى لـــــوعـــــدهْ
يـــخـــتـــالُ فـــي ظُـــلـــمـــة الـــدّلال
طـــيـــفُ الخـــيـــال
لـــلـــه يـــومٌ بـــه نَـــعـــمـــنَـــا
راق أصـــيـــلا فـــراق حـــســـنـــا
عـــاتـــبـــتـــه مـــازحـــاً فـــغـــنـــى
إيـــاك يـــغـــرنـــك صـــرف مـــال [4]
يـــا مـــن بـــدا لـــي

● الكميت (أبو عبد الله محمد بن الحسن البطليوسي)-النصف الأول من القرن السادس الهجري:

لاح لـــلـــرّوض عـــلـــى غُـــرّ الـــبـــطَـــاحْ
زَهَـــرٌ زاهـــرْ
وثـــنـــا جـــيـــداً مُـــنَـــعَّـــمَ الأقـــاحْ
نَـــورُه الـــنـــاضـــرْ
زارنـــي مـــنـــه عـــلـــى وجـــه الـــصّـــبـــاحْ
أرجٌ عـــاطـــرْ
نـــشـــر الـــطَّـــلَّ عـــلـــيـــهـــا حـــين فَـــاحْ
أيّـــمـــا عـــقْـــد
حـــبّـــذا الـــبـــشْـــرُ لـــي عـــنـــد افـــتـــتـــاحْ
وجـــنـــةَ الـــوَرْد

يـضـحــك الــروضُ مــســايــلَ الــسَّــحــابْ
مــــــلء أجــــــفـــــانـــــهْ
ومــــشــــتْ فــيـــه لآلـــئ الحَـــبَـــابْ
فـــــوق غـــــــدرانــــــــهْ
فــتــراه كــيــف [1] يــكــشــفُ الــنّــقــابْ
عــــنــــد تـــهــــتـــانـــه
يــنــتــهــي طــولُ تــنــاوح الــرّيــاحْ
وســــــطَ الــــــرّعــــــد
وتَــــرى الــبــرقَ كــصــارم مُــشَــاحْ
سُــــلّ مــــن غــــمْــــد

رقــصــت وســطَ ريــاضــهــا الــغُــصــونْ
رقــــصَ نــــشــــوان
وأرتـــنـــا مـــن لـــطـــائـــف المجـــونْ
كــــلَّ إحــــســــان
فــنــســيــنــا عــنــد وشــيــه المَــصُــونْ
وشـــي صـــنـــعـــان [2]
كــنــجــوم أطــلــعــتْ والجــوُّ صــاحْ
فــــي ذرى سَــــعْــــد
فــســعــى الــنــاسُ بــألــســن فــصــاحْ
نــــعْــــمَ الحــــمــــد

فــاغــتــنــمْ مــا قــد صــفــا مــن الــزَّمــانْ
واخــــلــــع الــــعُــــذْرا
واشــرب الــرّاحْ عــلــى ســمــع الــقــيَــانْ
مــــزة صَــــفْــــرا
واغــتــبــقْــهــا مــن ســلافــة دنَــانْ
عُــــتّــــقَــــتْ دَهْــــرا

كـــأسُــهـــا جـــســـمُ طـــفـــلـــةٌ ردَاحْ
نـــــاعـــــمُ الـــــقَـــــدّ
تمـــزجُ الـــراحَ بـــريـــقـــهـــا الـــقُـــرَاحْ
شـــيـــب بـــالـــشَّـــهـــد

وفـــتـــاة فـــتـــنـــتُ بـــحـــســـنـــهـــا
وتـــــثـــــنِّـــــيـــــهـــــا
تـــشـــتـــكـــي طـــولَ جـــفـــاء خـــدْنـــهـــا
حـــــيـــن يُـــــؤْذيـــــهـــــا
وتُـــغَـــنّـــي بـــرفـــيـــع لحـــنـــهـــا
ومـــــغـــــانـــــيـــــهـــــا:
ذبـــت والـــلـــه أســـى نـــطـــلـــق صـــيـــاحْ
قـــــد كـــــســـــر نـــــهْـــــدي
وعـــمـــل لـــي فـــي شـــفـــيـــفـــاتـــي جـــراحْ
ونـــــثـــــر عـــــقـــــدي

● ابن عيسى المرسي الخباز (أبو الوليد يونس): النصف الأول من القرن السادس الهجري:

مَنْ لي بظبي ربيب يصيدُ أسدَ الغياضْ [1] لوى بدينيَ لما أملتُه للتقاضي
جـــعـــلـــتُ حـــظّـــي مـــنـــهُ
بـــيـــن الـــرجـــا والـــتـــمـــنّـــي
لـــم أظـــهـــر الـــيـــاس عـــنـــهُ
لمـــا أطـــالَ الـــتـــَّجَـــنّـــي
بـــل قـــلـــتُ يـــا قـــلـــبُ صُـــنْـــهُ
لـــديـــك عـــن ســـوء ظَـــنّـــي
وأنت يا نفسي ذوبي ويا مطيلَ اعتراضي نَفّذ بما شئت حُكما إني بحكمكَ راضي
مـــا حـــالُ قـــلـــب لـــديـــكَ
لا تـــنـــقـــضـــي حـــســـراتـــه

يـــــشـــــكُــــو جـــــواهْ الـــــيـــــك
ولـــــيـــــس تُــــجْـــدي شـــكـــاتُـــــهْ
مــــهــــــلاً فـــــفــــي راحـــــتــــيــــكَ
حـــــيــــــاتُــــــه وممــــــاتُـــــــهْ
يا ممرضي وطبيبي   بفيك برء المراض   ومنكَ قد   ذبتُ سقماً فلتقض ما أنتَ قاض
يــــا مـــــن يـــنــــافـــر ظُــــلــــمـــاً
مَـــنْ لـــيـــس عـــنــه بــصـــابـــرْ
مــــاضـــر إذ ذبـــت ســـقـــمـــاً
لــــو لـــم تـــكـــن لــــي هـــاجـــرْ
رفـــقــــاً فـــبـــي مــــنـــك ألمـــي
وســـنـــان ســـاجـــي الـــنـــواظـــرْ
رام بسهم مصيب   من الصحاح المراض   يرنو فيرسل سهما   والقلبُ في الاعتراض
مَـــنْ لـــي بــتـــفـــتـــيـــر جـــفــنـــه
والمـــــوتُ مــــن لحـــظـــاتـــــهْ
إن مــــرّ ثــــانـــي عـــطـــفـــه
فــــالحُــــسْــــنُ فـــيـــه بـــذاتـــهْ
أورمـــــــــتُ إدراك وصـــــــفـــــه
أعـــيــتـــنـــي بـــعـــض صـــفـــاتـــهْ

يجولُ لحظُ الكئيب   من خدّه في رياض   لكن عن القطف تُحّمَى بمرهفات مَواض
لــــــــه ظـــــبـــــيـــــةُ خـــــدرْ
قـــد روعـــــتْ بـــــالـــــفـــــراق
بــــنــــتُ ثـــــلاث عـــــشـــــر
تُـــســـيـــلُ دمـــعَ المـــآقـــي
تـــقـــولُ فـــي حـــال سُـــكْـــر
لأمـــهـــا فـــي اشـــتـــيـــاق
يامم مو الحبيب   تيبش أن نز ترباض   غار كفري يا مما   انن يجنال للشاض

● الأعمى التطيلي (المتوفي سنه 525 هـ):

دَمْعُ سفوحُ [1] وضلوعُ حرَارَة ماءٌ ونار ما اجتمعا إلا لأمر كبَارْ

بـئـس لـعَـمْـري مـا أراد الـعـذولْ
عُـمْـرٌ قـصـيـرٌ وعـنـاء طـويـلْ
يـا زفـراتٌ نـطـقـتْ عـن غَـلـيـلْ [2]
ويـا دمـوعـاً قـد أصـابـتْ مَـسـيـلْ [3]

امتنع النومُ وشَطّ المَزَارْ ولا قرارْ طرت ولكن لم أصادف [4] مطار

يـا كـعـبـةً حـجَّـت إلـيـهـا الـقـلـوب
بـيـن هـوى داع وشـوق مُـجـيـبْ
دعـوة [5] أواه إلـيـهـا مُـنـيـبْ
لـبـيـكَ لا ألـوي لـقـول الـرقـيـبْ [6]

جد لي بحج [7] عندها واعتمارْ ولا اعتذار قلبي هديٌ ودموعي جُمارْ

أهـلاً وإن عـرّضَ بـي لـلـمـنـونْ
بمـائـس الأعـطـاف سـاجـي الجـفـونْ [8]
يـا قـسـوةً يـحـسـبـهـا الـصَّـبُّ لـينْ
عـلَّـمـتـنـي كـيـف تُـسـاءُ الـظُّـنـونْ [9]

مذبانَ عن تلكَ الليالي القصارْ دمعي غزارْ [10] كأنّما بين جفوني غرارْ[11]

حـكّـمـتُ مـولـىً جـار فـي حـكـمـه
أكـنـى بـه لا مـفـصـحـاً بـاسـمـه [12]
وأعـجـبْ [13] لإنـصـافـي عـلـى ظـلـمـه
واسـألـهُ عـن وصْـلـي وعـن صَـرْمـه

ألوي بحظّي [14] عن هوىً واختيارْ طوع النفارْ وكل [15] أنس بعده **بالخيار**

لا بُـدَّ لـي مـنـه عـلـى كـلّ حـالْ
مـولـى تجـنـى وجـفـا واسـتـطـالْ
غـادرنـي رَهْـنَ أسـى واعـتـلالْ

ثم شدا بين الهوى والدَّلال:

ما والحبيب دموا صار مادر شنار بنفيس رامش كف دموعار [16]



ضاحكٌ عن جُمَانْ سافرٌ عن بَدْر ضاقَ عنه الزّمانْ وحواهُ صدري

آه ممـــــــــــــــا أجـــــــــــدْ

شـــــفّـــــنـــــي مـــــا أجـــــدُ

قـــــام بـــــي وقَـــــعَـــــد

بَـــــاطـــــشٌ مُـــــتَّـــــئـــــدُ

كـــــلـــــمـــــا قـــــلـــــتُ قـــــد

قـــــال لـــــي أيـــــنَ قـــــدُ

وانثنَى خُوط بانْ [1] ذا مهَزّ نضر [2] عابثته يدانْ [3] للصّبا والقطر

لـــــيـــــس لـــــي مـــــنـــــك بُـــــدْ [4]

خـــــذ فـــــؤادي عـــــن يـــــدْ

لـــــم تـــــدعْ لـــــي جَـــــلَـــــدْ

غـــــيـــــر أنـــــي أجـــــهَـــــدْ

مَـــــكْـــــرَعٌ مـــــن شَـــــهْـــــدْ

واشـــــتـــــيـــــاقـــــي يـــــشـــــهـــــدْ

ما لبنْت الدّنانْ ولذاك الثَّغْر أين مَحّيا الزمان [5] من حُمَيا الخَمْر [6]

بـــــي هـــــوىً مَـــــضْـــــمَـــــرُ [7]

لـــــيـــــت جَـــــهْـــــدي وفـــــقُـــــهْ

كـــــلـــــمـــــا يـــــظـــــهـــــرُ [8]

فـــــفـــــؤادي أفـــــقُـــــهْ

ذلـــــك المـــــنـــــظَـــــر

لا يُـــــداوَي عـــــشـــــقُـــــهْ

بأبي كيف كان فَلَكيٌّ دُرّي راقَ حتى استبانْ [9] عُذْرُه وعُذْري

هـــــل إلـــــيـــــكَ ســـــبـــــيـــــلْ

أو إلـــــى أنْ ايـــــأســـــا [10]

ذُبْـــــتُ إلا قـــــلـــــيـــــلْ

عـــــبـــــرةً أو نَـــــفَـــــسَـــــا

مــــا عـــــســـــــى أنْ أقـــــول
ســــاء ظـــنــــي بــــعــــســــــى
وانقضى كلُّ شان وأنا استشريَ خالعاً منْ عنانْ جزعي أو صَبْري
مـــــا عـــــلَــــى مَــــنْ يَــــلُــــوم
لـــــو تـــنـــــاهــــى عــــنــــي
هـــــــل ســــــوى حُـــــــبّ ريم
ديـــــنُـــــه الـــــتـــجـــــنــــي
أنــــــا فـــــيـــــه أهـــــيــــم
وهــــو بــــي يــــغــــنــــي
قد رأيتكْ عيان آش عليك ساتدرى [11] سيطول الزمان [12] وستنسى ذكرى [13]

● الأبيض (أبو بكر محمد) المتوفي بعد سنة 525 هـ:

مَــنْ ســقــى عــيــنــيــكَ كــأس المُــدَامْ
يـــا مُــنــى المُــسْــتــــَهــامْ
رشـــأ أســـهـــرَنـــي وهـــو نـــائـــمْ
رقّ لـــي والمـــوتُ بـــين الحـــيـــازمْ
عـــجـــبـــاً مـــنْ دمـــعـــه وهـــو بـــاسـمْ
خـــنـــثٌ يمـــزجُ لـــي تحـــت الـــلّـــثـــام [1]
عـــبـــرةً بـــابـــتـــســـامْ
قـــلـــبَ دنـــيـــاى تُـــســـقـــى رُوَيْـــدْ
تحـــت إحـــســـان الـــوزيـــر ابـــن زيـــدْ
فـــأنـــا أربـــع فـــي خـــبـــر قـــيـــدْ [2]
بـــين بـــرّ وعـــطـــايـــا جـــســـامْ
أخـــــوات الـــــغَـــــمـــــامْ
بـــائـــنُ الـــغَـــوْر بـــعـــيـــد المـــســـافـــةْ
قـــد كـــفـــى قـــرطـــبـــةً كـــلَّ آفـــةْ
كـــم يـــد أولـــيـــت دارَ الخـــلافَـــةْ

طــوقــت جــيــدك طــوقَ الحَــمــام

فــي حُــلــيَّ الــكــرَام

بــك يــا مُــشــرفُ صــحَّ الــيــقــينْ

أنــت صــبــحُ المــشْــكــاة المُــبــينُ

أيُّ نــصــل ســلّــه مــا (يــلــينُ) (3)

مَــلــيــكٌ شــرّفــه فــي الأنــام

حــمــلٌ ذاك الحُــسَــامْ

شَــرُف المــلــكُ بــه حــين حــاطَــهْ

فــشــدت وجْــداً بــه غــرنــاطَــةْ

إذ تَــوَخَّــى بــســواهــا ارتــبــاطَــهْ

كُــلّ يــوم اقــريــك يــا حــبــيــب الــســلام

ونــســيــت أنــت ذمــامْ

● ابن الزقاق (أبو الحسن علي) المتوفي سنة 530:

خُــذْ حــديــثَ الــشّــوق عــن نــفــســي

وعــن الــدمــع الــذي هَــمَــعَــا

مــا تــرى شــوقــي قــد اتــّقَــدا

وهــمــي بــالــدمــع واطّــرَدا

واغــتــدى قــلــبــي عــلــيــك سدي

آه مــن مــاء ومــن قَــبَــس

بــين طــرفــي والحــشــا جُــمــعَــا

بــأبــي ريمٌ إذا سَــفَــرَا

أطــلــعــت أزرارُهُ قَــمَــرَا

فــاحــذروه كــلّــمــا نَــظَــرا

فــبــألحــاظ الجــفــون قــســي

أنــا مــنــهــا بــعــضُ مَــنْ صَــرَعَــا

أرتــضــيــه جــارَ أو عَــدَلا

قــد خــلــعــتُ الــعَــذْل والــعَــذلا

إنمـــا شـــوقـــي إلـــيـــه فَـــلا
كــم وكــم أشــكــو إلــى الــلّــعَــس
ظـــمـــأى لـــو أنـــه نَـــفـــعَـــا
ضـــلّ عـــبـــد الـــلـــه بـــالحَـــوَر
وبـــطـــرف فـــاتـــر الـــنَّـــظَـــر
حُـــكْـــمـــه فـــي أنـــفـــس الـــبَـــشَـــر
مـــثـــلُ حـــكـــم الـــصّـــبـــح فـــي الـــغـــلـــس
إن تجـــلـــى نـــورُه صَـــدَعـــا
شـــبّـــهـــتـــه بـــالـــرشـــا الأممُ
فـــلـــعـــمـــري إنـــهـــم ظَـــلَـــمُـــوا
فـــتـــغـــنـــى مـــن بـــه الـــسَّـــقَـــمُ
أيـــن ظـــبـــيُ الـــقـــفـــر والـــكُـــنُـــس
مـــن غـــزال فـــي الحَـــشَـــا رَتـــعـــا

● ابن رحيم (أبو بكر) المتوفي نحو 530 هـ (؟):

نـــســـيـــم الـــصَّـــبـــا أقـــبـــلَ مـــن نَـــجْـــد
لـــقـــد زادنـــي وَجْـــداً عـــلـــى وَجْـــد
يـــا ريـــحَ الـــصَّـــبـــا بـــالـــك داريـــنـــي
بـــعَـــرْف شـــذا مـــســـك داريـــن
ووصـــف رشـــا بـــالـــهَـــجْـــر يَـــبـــريـــنـــي
وســـل بـــالـــلّـــوى عـــن كُـــثْـــب يـــبـــريـــن
هـــل اســـتـــوحـــشـــتْ بـــالـــنـــأي والـــبُـــعـــد
ومـــا صـــنـــعـــتْ بـــثـــيـــنـــةُ مـــنْ بَـــعـــدي
لـــئـــن هـــجـــر الـــشـــادنُ أوطـــانـــي
وصـــعْـــبُ الـــعـــزا فـــي الـــنـــأي أوْطـــانـــي
وضـــاقـــتْ بـــهـــجـــر الحـــبّ أعـــطـــانـــي
وضـــنـــنـــت بمـــا فـــي الحـــب أعـــطـــانـــي
فـــيـــا عـــاذلـــي عـــن عـــذلـــي عَـــدّ
فـــمـــا حـــب ذا الحـــبّ قـــد يُـــعْـــدي

حَـمـام الـلّـوى بـالـنَّـوح أرشـانـي
بـقُـمـريّـة نـاحـت بـورَشْـان
تـهـيـمُ بـه وهْـو لـهـا شـانـي
فـقـلـتُ لـهـا شـانـك مـن شـانـي
وسـعـدُك يـا ورقـاءُ مـن سَـعْـدي
وفـي كـلّ واد مـن بـنـي سَـعْـد
بـنـفـسـي الـذي قـد بَـزّ أشـرَافـا
وحـازت بـه الأيـامُ إشـرافـا
أيـا ابـن سـعـيـد سـدت ايـلافَـا
بـذلـتَ لـهـم جـودَك آلافَـا
أَجـرَيْـتَ [1] إذ سـمـيـتَ بـالـحـمـد
وقـمـتَ مـن المـهـد إلـى المَـجْـد
حـبـيـبٌ بـدا مـذ بـدا أنـسـانـي
عـلـى أنـه أسـكـنُ إنـسـانـي
غـزال عـن الـتـعـنـيـق أغـنـانـي
وأنـصـفَ إذ زادَ وغـنّـانـي
لأي قـصـة تـبـيـت وحـدك وأبـيـت وحـدي
كـمـا بـت عـنـدك حـتـماً [2] تـبـيـت عـنـدي

● ابن بقى (أبو بكر يحيى، المتوفي سنة 545 هـ):
ساعدُونا مصبحينا نرتشفْها قد ظمينا [1] كنُضَار في لُجَيّن نعَمَ أجر العاملينا

١

قُـمْ بـنـا نجـلـو الـكـؤوسَـا
تحـتَ أظـلال الـسَّـحـاب
نـتـعـاطـاهـا عَـرُوسـا
حَـلْـيُـهـا دُرُّ الحَـبـاب

قهوةٌ تُعطى النفوسا
عزَّ أيام الشَّباب
تَغْصبُ الليثَ العَرينا   ويُرَى كسرى قَرينا   حين يُسْقَى باليدين   جامَها حيناً فَحينا
يومُنا يومٌ أنيقُ
يومُ شُرب والتذاذ
طرّزتْ فيه البروقُ
لابساً أثوابَ لاذ
وسقى الغيمُ الرقيقُ
ماء ورد برذاذ
أظْهَرَ السّحرَ المُبينا   حين رشَّ الياسمينا   وبكى منْ دون عين   فضحكْنا فاكهينا
أيها الساقي المُحَيَّا
برياحين التمَنّي
سحرُ عينيك الحُميَّا
فاصرف الصَّهباء عنّي
لا تسلّطْها عَلَيّا
فالهوى قد نال منّي
قد نفثتَ السّحْرُ فينا   فَرَضينا الحُبَّ دينا   فَمُنائي دونَ مَيّن   أنْ نرى ذاك الجبينا
لي حبيبٌ يوسُفيٌّ
وصلُه في الحُبّ منَّهْ
وجهُهُ صبحٌ وضي
قد تبدَّى في الدُّجُنَّهْ
دلّني منه الأبيُّ
فأعادَ النارَ جَنّهْ
بَذَلَ الوردَ المصُونا   بعدما كان ضنينًا   فكأني ذو رعين   أو أميرُ المؤمنينَا
ساءنَا لما اتصلنا
كلُّ مغتاب حسود
وكذاكَ الوجهُ قلنا
لا لتدنيس البُرود

لـــم نُــردْ فــيـــمـــا امـــتــثـــلـــنـــا

غـــيــــرَ إقــلاق الحـــســـود

قد بلينا وابتلينا   واش يقول النّاس فينا   قم بنا يا نور عيني   نجعل الشّك يقينا



مالي شمول   إلا شُجونٌ   مزاجُها في الكأس   دمعٌ هتونٌ

لـــلــــه مـــــا بَــــــدرٌ

مــــنَ الـــــدُّمــــوع

صَــــبٌّ قـــد اســـتــعـــبَـــرْ

مــــنَ الـــــوُلُــــوع

أودَى بـــــــه جُـــــــؤذُرْ

يـــــومَ الــــبـــقـــيـــع [1]

فهو قتيل   لا بل طَعينٌ   بين الرَّجا والكاس   له مَنُونٌ

جَــــرَحْـــتُ لـــلــــحَـــيْـــن

كَـــفَّـــي بـــكـــفَّـــي

وحــــيـــــلَ مــــا بـــيــــنـي

وبـــــينَ إلــــفــــي

لا شـــــك بـــالـــبـــيـن

يـــكـــونُ حَــــتْــــفــي

حان الرّحيلُ [2]   ولي دُيونٌ   إن ردها العباسُ   فهو الأمينُ

أمـــا تـــرى الـــبَـــدْرا

بـــدرَ الـــسُّـــعُـــود

قــــد اكـــتـــسَـــى خُـــضْــرا

مــــن الــــبُــــرُود

إذا انـــثـــنـــى نَــضْـــرَا

مـــنَ [3] **الـــقـــدود**

أضحَى يقُول   مُتّ يا حزينٌ   قد اكتسى بالآس   الياسمين

قـــلـــتُ وقـــــد شَـــرَّدْ

الـــنـــومَ عـــنـــي

وأيـــــــأس الــــــعُـــــــوّدْ
الـــــسُّـــــقـــم مــــنّـــــي[4]
صَـــــد فــــلــــمـــا صــــد
قـــــرعـــــتُ ســــنــــي
جسمي نَحيل لا يستبينُ يطلبهُ الجُلاّس[5] حيثُ الأنينْ
تجـــــــاوز الحـــــــدا[6]
قــلــبـــي اشـــتـــيـــاقـــا
وكـــلّـــف الـــسُّـــهـــدا
مَـــنْ لـــو[7] أطـــاقـــا
قـــلـــت وقـــد مـــدّا[8]
لـــيـــلـــى رُوَاقـــا:
ليلٌ طويل ولا مُعينْ يا قلبَ بعض الناس أما تليـنْ؟

● أبو جعفر بن سعيد (المتوفي سنة 550 هـ):
ذَهَـــبَـــتْ شـــمـــسُ الأصـــيـــل
فـــضّـــةَ الـــنـــهْـــر
أيُّ نـــهـــر كـــالمُـــدَامَـــهْ
صـــيَّـــر الـــظـــلَّ فـــدامَـــهْ
نـــســـجـــتـــهُ الـــريـــحُ لامَـــهْ
وثـــنـــت لـــلـــغـــصـــن لامَـــهْ
فـــهْـــو كـــالـــعـــضـــب الـــصَّـــقـــيـــل
حُـــفَّ بـــالـــسُّـــمـــر
مـــضـــحـــكـــاً ثـــغـــرَ الـــكـــمَـــامْ
مُـــبـــكـــيـــا جـــفـــنَ الـــغَـــمـــامْ
مُـــنـــطـــقـــاً وُرْقَ الحَـــمَـــامْ
داعـــيـــاً إلـــى المُـــدامْ
فـــلـــهـــذا بـــالـــقَـــبُـــول
خُـــطَّ كـــالـــسَّـــطْـــر

حــــبّــــذا بــــالحـــور مَــــغْـــــنـــى
هـــي لـــــفـــظٌ وهــــو مـــعـــنـــى
مـــذهـــبُ الأشـــجـــان عـــنّـــا
كـــم دريـــنـــا حـــيـــث ســـرْنَـــا
ثــــم فــــي وقــــت الأصــيــــل
لــــم نــــكــــنْ نــــدري
قـــلــــتُ والمــــزجُ اســـتـــدَارا
بـــذُرَى الـــكـــأس ســـوارا
ســـالـــبٌ مـــنـــه الـــوقـــارا
دائـــراً مـــن حـــيـــثُ دارا[1]
صـــادَ أطـــيـــارَ الـــعـــقـــول
شـــبـــاك الخـــمـــر
وَعَـــدَ الحـــبُّ فـــأخْـــلَـــفْ
واشـــتـــهَـــى المُـــطْـــلَ فـــسَـــوَّف
ورســـولـــى قـــد تـــعـــرّفْ
مـــنـــه مـــا أدرى فـــحـــرَّف:
بـــالـــلـــه قُـــلْ يـــا رســـولـــي
لـــيـــش يـــغـــب بـــدري

● ابن شرف (أبو عبد الله) المتوفي نحو سنة 570 هـ:
يا ربة العقْد متى تَقَلّدْ بالأنجُم الزُّهر ذاك المقلَّدْ
مـــن أطـــلـــعَ الـــبـــدْرا
عـــلـــى جـــبـــيـــنـــكْ
وأودع الـــسّـــحـــرا
بـــين جـــفـــونـــكْ
وروع الـــسُّـــمـــرا
بـــفَـــرْط لـــيـــنـــكْ
يا لك منْ قدّ مهما تأوّدْ أهدَى إلي الزهر خدًّا مُوَرَّدْ

قــــــــم فـــــاقـــــتـــــدحْ زَنْـــــدَا

مـــــــن الــــــعُـــــــقــــــار

قـــــد قـــــلـــــدت عـــــقـــــدا

مـــــــن الـــــــــدراري [1]

وألــــــبـــــســـــت بُـــــرْداً

مـــــــن الـــــنّـــــضــــــار

واشربَ على وُدّ [2] عُليا محمدّ ناهيك من سرّ وطيب موردّ

الـــــنـــــصـــــرُ يـــــلـــــتـــــاحُ

عـــــلــــــى عُـــــــــلاهُ

والـــــــزهـــــر يـــــرتـــــاحُ

إلـــــــــــى نـــــــــــــــداهُ

مـــــا الـــــصـــــبـــــحُ وضّـــــاحُ

لـــــــولا سَـــــــنَـــــــــــــاهُ

فالبسَ من المجد بُرّداً معضّد وانظمْ من

الـــــشّـــــعْـــــــر [3]

دُرّاً مُـــــــنَـــــــضّـــــــدْ

لـــــلـــــه مـــــا أعـــــلَـــــى

فــــــي كـــــــلَّ حـــــــال

مَـــــلْـــــكٌ قـــــد اســـــتـــــولَـــــى

عـــــلـــــى الـــــكَـــــمَـــــال

مُـــــقَـــــلَّـــــدٌ نَـــــصْـــــلا

مـــــــن الجَـــــــــلاَل

يهزّ للحَمْد [4] نَصْلاً مُهَنّد يَهبُّ بالنصر في كلّ مَشْهّدْ

انـــــعـــــمْ مـــــن الحُـــــسْـــــنَـــــى

بـــــكـــــلّ حُـــــــســـــــن

فـــــي الـــــشـــــرف الأســـــنـــــى

وظـــــــــــلّ أمـــــــــــن

يـــــا صـــــدْقَ مـــــن غـــــنّـــــى
وأنـــــتَ يـــــعـــــنـــــى
ما كوكبُ المجد الا محمّدْ فرايةُ الأمر عليه تُعَقّدْ

● ابن مالك السرقسطي (أبو بكر أحمد) المتوفي سنة 571 هـ:
مـــــاذا حـــــمّـــــلـــــوا
فـــؤادَ الـــشّـــجـــي يـــومَ ودّعـــوا
مـــالـــي بـــالـــنَّـــوى
يـــدٌ تـــســـتـــطـــاعْ
ونـــــارُ الجَـــــوى
يُـــذكـــيـــهـــا الـــوَدَاعْ
وســـرُّ الـــهَـــوى
بـــدمـــوعـــي يُـــذاعْ [1]
بـــالحُـــبّ تـــهـــمـــلُ [2]
عـــيـــونٌ وتـــلـــتـــاعْ أضـــلـــعُ
هـــل يُـــرجَـــى إيـــابْ
لـــعـــهـــد الحـــبـــائـــب
إذ غـــصـــنُ الـــشـــبـــابْ [3]
مـــطـــلـــولُ الجـــوانـــب
ووصـــل الـــكـــعـــابْ
مـــبـــذولُ المـــطـــالـــب
فـــلا تـــبـــخـــلُ
بـــالـــوصْـــل ولا الـــصـــبُّ يـــقـــنـــعُ
لا أســـلُـــو ولا
أصـــغـــي لـــلّـــواحـــي
بـــل أصـــبُـــو إلـــى
هَـــضـــيـــم الـــوشـــاح
مـــجـــيـــل الـــطّـــلا [4]
مـــا بـــين الأقـــاح

فلو يعدلُ ما بتُّ[5] أظما وينقعُ

كم ذا تهجَعُ

وجفني ساهرْ

بدرٌ يطلُعْ[6]

في الصُّبح لناظرْ[7]

له بُرقُعْ

من سود الضّفائرْ[8]

إذ تُسبلُ

فشمسٌ بليل تَقَنَّعُ

قدٌّ ذوُ اعتدَال

منه الغصنُ اللدنُ

معشوقُ الدّلال بنا[9]

ثم يرنوُ

بعينَيْ غَزال

فاحذرْ حينَ يدنوُ

لحظٌ يرسلُ سهاما لها القلبُ موقعُ

مُنَى النفس كمْ

تُزْهَى بالتَّجَنّي

فيا بدرَتمْ

صل بعض التمني

لمن لم يَنَمْ

وبات يغنّي:

أسمر حلو بياض كل عاشق يبيت معُو[10]

● ابن زهر (الحفيد) المتوفي سنة 595 هـ:

١

أيّها السَّاقي إليكَ المشتكى
قد دعوناكَ وإن لَمْ تسمع
ونديم همتُ في غُرَّته
وبشرب الرّاح من راحته
كلما استيقظ من سُكرته
جذبَ الزّقَّ إليه واتّكَى
وسقاني أربَعا في أربَع
ما لعيني عَشيَتْ بالنَّظَر
أنكرتْ بعدَك ضوء القَمَر
وإذا ما شئتَ فاسمعْ خَبَري
عَشيَتْ عيناي من طول البُكَا
وبكى بعضي على بعضي معي
غصنُ بان مالَ من حيثُ استوى
بات مَنْ يهواه في فرط الجَوَى
خفقُ الأحشاء موهونُ القُوى
كلما فكّرفي البين بكى
ويحه يبكي لَما لَمْ يَقَع
ليس لي صبرٌ ولا لي جَلَدُ
يا لقومي عذلوا واجتهدوا
أنكروا شكوايَ مما أجدُ
مثلُ حالي حقُها أنْ تشتكي
كمدَ اليأس وذُلَّ الطَمَع
كبدي حري ودمعي يكفُ
تعرف الذنبَ ولا تعترفَ
أيها المعرضُ عما اصفُ

قـــد نمـــا حُـــبـــيّ بـــقـــلـــبـــي وزكـــا
لا تـــخـــلْ فـــي الحُـــبّ أنـــي مُـــدَّعـــي
حَـــــيّ الـــــوجـــــوه المـــــلاحـــــا
وحـــــيّ ســـــودَ [1] الـــــعُـــــيـــــون
هـــل فـــي الـــهـــوى مـــن جُـــنَـــاح
وفـــــــي [2] نـــــــديم وراح
رام الـــنـــصـــوحُ [3] صـــلاحـــي
وكـــــيـــــف أرجـــــو صـــــلاحـــــا
بـــــين الـــــهـــــوى والمُـــــجُـــــون
يـــا غـــائـــبـــا لا يـــغـــيـــبُ
أنـــت الـــبـــعـــيـــدُ الـــقـــريـــبُ
كـــم تـــشـــتـــكـــيـــك [4] الـــقـــلـــوبُ
أثـــخـــنـــتَـــهُـــنّ جـــراحـــا
واســـأل ســـهـــمَ الجُـــفُـــون [5]
أبـــكـــى الـــعـــيـــونَ الـــبـــواكـــي
تـــذكـــارَ أخـــت الـــسّـــمـــاك
حـــتـــى حَـــمـــامُ الأراك
بـــكـــي بـــشَـــجْـــو ونـــاحـــا
عـــلـــى فـــروع الـــغـــصـــون
ألـــقـــى إلـــيـــهـــا زمَـــامـــه
صـــبٌّ يـــداوى غـــرامـــه
ولا يـــطـــيـــقُ المَـــلامـــه
غـــدا بـــشـــوق وراحـــا
مـــا بـــين سَـــبْـــي الـــظّـــنـــون
يـــا راحـــلا لـــم يـــوَدّعْ
رحـــلـــتَ بـــالأنـــس أجـــمَـــعْ
والـــعـــجـــزُ يُـــعـــطـــي ويَـــمْـــنَـــع
مَـــرُّوا وأخـــفـــوا الـــرَّواحـــا
عـــنـــيّ ومـــا ودَّعُـــونـــي [6]

● محيي الدين بن عربي (المتوفي سنة 638 هـ):

عندما لاح لعيني المتّكا
ذبتُ شوقا للّذي كانَ معي

أيها البيتُ العتيقُ المشْرفُ
جاءك العبدُ الضعيفُ المسرفُ
عينُه بالدمع دوما تذرفُ

فريةٌ منه ومَكْرٌ فالبُكا
ليسَ محموداً إذا لم ينفَع

كلّما عددتُ فيه قال لي
ليس هذا فيَّ بل في أيس لي
سأرى حكمَ قليب قد بُليَ

يهواها مستغيثاً قد شَكَا
وأنا أعلمُ شكوى الجَزَع

أشرقتْ شمسُ له ما شرَّقَتْ
فرأيناها بها إذ شرَّقتْ
أرعدتْ سحبٌ لها ما أبرقتْ

فعلمْنا أنه حينَ بكى
ما بكَى إلا لأمر موجع

مرّ بي في ليلة ليسَ لها
آخرٌ والصُّبح قد جلّلها
والذي حرَّمها حلَّلها

وانتدى يطلبُ وصلي واتكَى
ومضى إذ وَمَضَا لم يرجع

أيها السّاقي اسقني لا تأتل
فلقد أتعبَ فكْري عُذّلي
ولقد أنشدُهُ ما قيل لي:

أيها السّاقي إليك المشتَكَى
ضاعت الشكوى إذا لم تَنْفَع

● ابن سهل الإشبيلي (المتوفي نحو سنة 650 هـ):

هل درَى ظبيُ الحمى أنْ قد حمى
قلبَ صَبّ حلّه عن مكنس
فهْو في حَرّ وخفق مثلما
لعبتْ ريحُ الصّبا بالقَبَس
يا بدوراً أشرقت يومَ النَّوى [1]
غُرَراً تسلكُ، نهجَ الغُرَر [2]
ما لنفس في الهوى ذنب سوى [3]
منكُم الحُسْنى ومن عيني النَّظَرْ [4]
أجتنى اللذات مكلومَ الجَوى
والتداني من حبيبي بالفكَرْ
كلما أشكوه وجْدي بَسَمَا [6]
كالرُّبى بالعارض المنبجس [7]
إذ يقيمُ القطرُ فيه مأتما
وهي مِنْ بهجتها في عُرُس [8]
غالبٌ لي، غالبٌ بالتؤدة
بأبي أفديه من جاف رقيقْ
ما علمْنا مثلَ ثغر نضَّدَهْ
أقحواناً عصرتْ منه رَحيقْ [9]
أخذتْ عيناه منه العربدة
وفؤادي سُكْرُه ما إنْ يفيقْ [10]
فاحمُ اللَّمة معسولُ اللَّمَى
ساحرُ الغُنْج شَهيُّ اللَّعس [11]
وجهه يتلو «الضحى» مبتسماً
وهو من إعراضه في «عَبَس»
أيها السائلُ عن جرمي لديه
لي جزاء الذنب وهو المذنبُ

أخـذت شـمـسُ الـضُّحـى مـن وجـنـتـيـه
مــشـرقـاً لـلـشـمـس فـيــه مــغــربُ
ذهـــب الـــدمـــعُ بـــأشـــواقـــي الـــيـــه
ولـــه خـــدّ بـــلـــحـــظـــي مُـــذْهـــبُ
يـــنـــبـــتُ الـــوردَ بـــغـــرس كـــلـــمـــا
لاحـــظـــتـــه مـــقـــلـــتـــي فـــي الخـــُــلَـس
لـــيـــت شـــعـــري أيُّ شـــيء حـــرمَـــا
ذلـــك الـــوردَ عـــلـــى المُـــغْـــتَـــرس
كـــلـــمـــا أشـــكُـــو إلـــيـــه حُـــرقَـــتـــي
غـــادرتـــنـــي مـــقـــلـــتـــاه دَنـــفَـــا [12]
تـــركـــت ألحـــاظُـــه مـــن رَمـــقـــي
أثـــرَ الـــنَّـــمـــل عـــلـــى صُـــمّ الـــصَّـــفـــا [13]
وأنـــا أشـــكـــره فـــيـــمـــا بـــقـــي [14]
لـــســـتُ ألحـــاه عـــلَـــى مـــا أتـــلـــفَـــا
فـــهـــو عـــنـــدي عـــادلٌ إنْ ظـــلَـــمـــا
وَعـــذُولـــي نـــطـــقُـــهُ كـــالخَـــرَس
لـــيـــس لـــي فـــي الأمـــر حـــكـــمٌ بـــعـــد مـــا [15]
حـــل مـــن نـــفـــســـي مـــحـــلّ الـــنّـــفـــس
أضـــرم الـــدمـــعُ بـــأحـــشـــائـــي ضـــرَامْ
تـــتـــلـــظـــى كـــلّ حـــين مـــاتـــشـــا [16]
هـــيّ فـــي خـــدّيـــه بـــردٌ وسَـــلامْ
وهـــي ضـــرّ وحـــريـــقٌ فـــي الحـــشـــا [17]
أتـــقـــي مـــنـــه عـــلـــى حـــكـــم الـــغَـــرامْ
أســـــــدا وَرْدا وأهـــــــواه رَشَـــــــا [18]
قـــلـــتُ-لمـــا أن تـــبـــدى مُـــعْـــلَـــمَـــا
وهـــو مـــن ألحـــظـــه فـــي حَـــرَس:
أيـــهـــا الآخـــذُ قـــلـــبـــي مـــغـــنـــمـــا
اجـــعـــل الـــوصْـــلَ مـــكـــانَ الخُـــمُـــس

● ابن حاتمة الأنصاري (المتوفى سنة 770 هـ)

قُمْ هاتها قهوة كدمع مهجُور
قد أفرطتْ إفراطْ في اللّطف والنور
هذي الربُّي تختالْ
في حُلَل الزَّهر
قد سحبتْ أذيالْ
بردودها الخُضْر
ورقت الآصالْ
لعَبْرة القطْر
فافترَّعن حُوَّه [1] ثغرُ الأزاهير
ونمَّ عن أخلاطْ مسك وكافُور
فهاتها قد بانْ
لعاذلي عُذْري
في نغمة العيدانْ
ورنّة الزَّمر
والثم طُلي القُطعَان [2]
وأرشُفْ لميَ الخَمْر
رُضابةً حلوهْ كذوب بلَّور
تختالُ في أسماطْ من جوهر النُّور
يُديرُها تَيَّاهْ
كالصُّبح مرآه
إن أخطأت كفّاه
سقتك عينَاهُ
للَّه ما أبهاه
وما أحَيْلاهُ
غصنٌ على رَبْوه ألحظ يَعْفُور (3)
مجوهرُ الأقراطْ طلقُ الأسارير

آه ومـــــن يُــــبـــــلــــى
حــــر بــــأنْ يــــبــــدي
لـــــشــــدّ مـــا حـــــلاّ
بــــالـــصَّـــبّ مــــن وَجْــــد
يـــا عـــاذلـــي مـــهـــلاً
فــــالــــعَــــذْلُ لا يُــــجْــــدي
مـــا أبـــعـــد الـــسَّـــلْـــوهْ عـــن قـــلـــب مـــذعـــور
تُـــيّـــمَ فـــي فُـــســـطـــاط بـــبـــدر دَيْـــجُـــور
رفــــقـــا مُــــنــــى قــــلــــبــــي
بــــقــــلــــب هــــيْــــمــــانــــكْ
قــــد زاد فــــي كَــــرْبــــي
فــــتــــورُ أجــــفــــانــــكْ
الــــلــــــه فــــي صَـــــبّ
بــــنــــيــــل إحــــســــانــــكْ
يـــا صـــاحـــبَ الـــسَّـــطْـــوه وارفـــقْ بمـــهـــجُـــور
أضـــغـــطـــتـــنـــي إضـــغـــاط[4] يـــا فـــتـــنـــة الحُـــور

● لسان الدين بن الخطيب (المتوفي سنة 776 هـ):

١

جَـــادَكَ الـــغـــيـــثُ إذا الـــغـــيـــثُ هـــمـــي
يـــا زمـــانَ الـــوصـــل بـــالأنـــدلـــس
لـــم يـــكـــن وصـــلُـــك إلا حُـــلـــمـــا
فـــي الـــكَـــرى أو خُـــلْـــسَـــةَ المخـــتـــلـــس
إذ يـــقـــودُ الـــدّهـــرُ أشـــتَـــاتَ المُـــنـــى
يـــنـــقـــلُ الخَـــطْـــو عـــلـــى مـــا يـــرســـمُ
زُمَـــرا بـــيـــن فـــرادى، وثُـــنَـــا
مـــثـــل مـــا يـــدعـــو الـــوفـــودَ المـــوســـمُ

والحَيا قد جلّلَ الروضَ سَنَا
فثغورُ الزَّهر منه تبسمُ [1]
وروى النعمانُ عن ماء السَّما
كيفَ يروي مالكٌ عن أنس
فكساهُ الحسنُ ثوباً مُعْلَما
يزدهي منه بأزهى ملبَس [2]
في ليال كتمتْ سرَّ الهوى
بالدُّجى لولا شموسُ الغُرَر
مال نجمُ الكأس فيها وهَوَى
مستقيمَ السير سعدَ الأثر
وطر ما فيه من عيب سوى
أنه مرَّ كلمح البَصَر
حين لذَّ الأنسُ شيئاً أو كما
هجمَ الصبحُ هجومَ الحَرَس
غارت الشهبُ بنا أو ربّما
أثرت فينا عيونُ النّرجس
أيُّ شيء لامرئ قد خلصا
فيكون الروضُ قد مكَّن فيه
تَنْهَبُ الأزهارُ منه الفرَصا [3]
أمنتْ من مكره ما تتقّيه
فإذا الماء تُناجي والحَصا
وخلا كلُّ خليل بأخيه
تبصرُ الوردَ غيورا بَرما
يكتسي من غيظه ما يكتسي
وترى الآس لبيباً فَهما
يسرقُ السمعَ بأدنى فَرَس [4]
يا أهيلَ الحي من وادي الغَضا
وبقلبي سكنٌ أنتمْ به [5]

ضــاق عــن وجــدي بــكــم رحــبُ الــفــضــا
لا أبــالــي شــرقَــه مــن غَــربــه
فــأعــيــدُوا عــهــدَ أنــس قــد مــضــى
تــعــتــقــوا عــانــيــكــم مــنْ كــربــه
واتــقــوا الــلــه وأحــيــوا مُــغْــرَمــا
يــتــلاشــى نَــفَــســاً فــي نَــفَــس
حَــبَــسَ الــقــلــبَ عــلــيــكــم كَــرَمــا
أفــتــرضَــوْن عــفــاء [6] الْــحَــبــس
وبــقــلــبــي مــنــكــمُ مــقــتــربٌ
بــأحــاديــث المُــنَــى وهــو بــعــيــدْ
قــمــرٌأطــلــع مــنــه المــغــربُ
شــقــوةَ المــغْــرَى بــه وهــو ســعــيــدْ
قــد تــســاوى مــحــســنٌ أو مــذنــبٌ [7]
فــي هــواه بــيــنَ وعْــد ووعــيــدْ
ســاحــر المــقــلــة مــعــســولُ الــلَّــمــي
جــال فــي الــنــفــس مــجــالَ الــنَّــفَــس
ســدَّدَ الــســهــمَ وســمّــي ورمَــى
فــفــؤادي نــهــبــةُ المــفــتــرس
إن يــكــنْ جــارَ وخــاب الأمــلُ
وفــؤاد الــصَّــب بــالــشــوق يــذوبْ [8]
فــهــو لــلــنــفــس حــبــيــبُ أولُ
لــيــس فــي الحــب لمحــبــوب ذنــوبْ
أمــره مــعــتــمَــل ممــتــثــلٌ
فــي ضُــلــوع قــد بــراهــا وقُــلــوبْ
حــكــم الــلــحــظُ بــهــا فــاحــتــكــمــا
لــم يــراقــبْ فــي ضــعــاف الأنــفُــس
مــنــصــفُ المــظــلــوم ممَّــنْ ظــلــمــا
ومُــجــازي الــبَــرَّ مــنــهــا والمُــســي

ما لقلبي كلمَّا هبتْ صَبا
عادَهُ عيدٌ من الشوق جديدْ
كان في اللوح لهُ مكْتَتَباً
قولُه «إنَّ عَذابي لَشَديدْ»
جلَبَ الهمَّ له والوصبَا
فهو للأشجان في جَهْد جَهيدْ
لاعجٌ في أضلعي قد أضْرما [9]
فهي نارٌ في هشيم اليَبَس
لم يدعْ في مُهجَتي إلاَّ ذما
كبقاء الصبح بعد الغَلَس
سلّمي يا نفسُ في حكم القضا
واعمري الوقتَ برُجعَى ومتابْ
دعْك من ذكرى زمان قد مضى [11]
بين عُتبى قد تقضت وعتَاب
واصرفي القولَ إلى المولَى الرّضا
ملهمُ التوفيق في أمّ الكتَابْ
الكريمُ المنتهَى والمنتمَى
أسد السرج وبدر المجلس
ينزل النصرُ عليه مثل ما
ينزل الوحيُ بروح القُدُس [12]
مصطفَى الله سمي المصطفَى
الغني بالله عن كل أحَدْ
مَنْ إذا ما عَقَدَ العهدَ وَفى
وإذا ما قُبحَ الخطبُ عَقَدْ [13]
من بني قيس بن سعد وكفى
حيث بيتُ النصر مرفوعُ العَمَدْ
حيث بيت النصر محميُّ الحمى
وجَنى الفضل زكيُّ المغْرَس

والـــهــــوى ظــلٌ ظــلــيــلٌ خــيَّــمــا
والــــنـــدَى هـــبَّ إلـــى المُــغْــتــرس [14]
هـــاكَـــهـــا يـــاســبــط أنـــصـــار الـــعُــلا
والـــذي إن عَـــثَـــر الـــدهـــرُ أقَـــالْ
غـــادة ألـــبَـــســهـــا الحـــســـنُ مُــلا [15]
تـــبـــهـــرُ الـــعَـــين جـــلاء وصـــقـــالْ
عـــارضـــتْ لـــفـــظـــاً ومـــعـــنَـــى وحُـــلا
قـــولَ مَـــنْ أنـــطـــقـــه الحـــبُّ فـــقـــالْ:
هـــل دَرَى ظـــبـــيُ الحـــمَـــى أَنْ قـــد حَـــمَـــى
قـــلـــبَ صَـــبّ حـــلَّـــهُ عَـــنْ مـــكـــنـــس
فـــهـــو فـــي حـــرّ وخـــفـــق مـــثـــل مـــا
لـــعـــبَـــتْ ريـــحُ الـــصّـــبـــا بـــالـــقَـــبَـــس

٢

يـــا حـــادي الجـــمـــال عـــرّجْ عـــلـــى ســـلا [1]
قـــد هـــام بـــالجَـــمَـــال قـــلـــبـــي ومـــا سَـــلا
عـــرّجْ عـــلـــى الخـــلـــيـــج
والـــرمـــل فـــي الحـــمَـــى
فـــي المـــنـــظـــر الـــبـــهـــيـــج
بـــالـــبـــيـــض كـــالـــدُّمـــى
والأبـــطُـــح الـــنَّـــســـيـــج
مـــن صـــنـــعـــة الـــسَّـــمـــا
لـــلّـــه مـــنْ جـــلال تـــخـــتـــالُ فـــي حُـــلا
لـــم تـــلـــفَ في اعـــتـــدال عـــنـــهـــنَّ مـــعْـــدَلا
وطُـــفْ مـــنَ الـــرّبـــاطْ
بـــركـــن طـــائـــف
بمـــنـــزل اغـــتـــبـــاطْ
دار الخـــلائـــفَ

مـــــقـــــــدّس المـــــــواطْ
جـــــمٌّ الـــــعــــــــوارفَ
كــم مـــن ســنَــا هِــلاَل بـأفــقــه انجــلــى
أنـحـى عـلـى الـضَّـلال فـانجـابَ وانجـلَـى
جـــنـــي الـــنّــعـــيـــم دان
والـــبـــحـــرُوالـــغـــديـــرْ
أهــــلَّـــــةُ الــــشَّـــوانـــي
فـــي أفـــقـــه تـــســيـــرْ
وقـــــهـــــوةُ الـــــدّنـــــان
يُـــديـــرُهـــا مُـــديـــرْ
أغـــرُّ كـــالـــغـــزال مـــقـــلّــدُ الـــطـــلا
يـسطـو ولا يـبـالـي بـالأسـد فـي الـفـلا
أولــــــى إلــــــيــــــك أوْلا
مـــن ذكـــر مـــعـــهـــد
أكـــــثـــــرت فـــيـــه قَـــوْلا
فـــي كـــلّ مـــشـــهـــد
خـــذ فـــي امـــتـــداح مـــولَـــى
نـــدب مـــــــؤيـــــد
مُـــمَـــجّـــد الجَـــلال مُـــشَـــهّـــر الـــعُـــلا
قـــد فـــاقَ فـــي كـــمـــال وراق مُـــجْـــتَـــلا
مـــــوافــــقُ الخـــــلـــــيـــــل
فـــي الاســـم والـــسّـــمـــات
ذي المـــنـــظـــر الجـــمـــيـــل
الـــرائـــق الـــصّـــفـــات
مُـــكْـــرّم الـــدّخـــيـــل
ومُـــجْـــزل الـــهـــبـــات
ومـــحـــســـب الـــنّـــوال لمـــن تـــوسّـــلا
ورافـــع المـــعـــالـــي سُـــحْـــبـــاً مُـــظـــلّـــلا

يـــــــا مَـــــــــنْ عُــــــــلاه درّتْ
بـــــــكـــــــلّ نـــــــائـــــــل
خُـــــذهــــا إلـــــيــــك جـــــرّتْ
ذيـــــــلَ الخـــــــمـــــــائـــــــل
وفـــــــــــي حُـــــــــلاك أزرتْ
بـــــــقـــــــول قـــــــائـــــــل:
يـــا مـــنـــزلَ الـــغـــزال حـــيّـــيـــت مـــنـــزلا
فـــمـــا أرى بـــســـال عـــنـــه وإن سَـــلا

● ابن زمرك (المتوفي سنة 795 هـ):
نـــســـيـــمُ غـــرنـــاطـــة عـــلـــيـــلُ
لـــكـــنـــهُ يـــبـــرئ الـــعـــلـــيـــلْ
وروضُـــهـــا زهـــر بـــلـــيـــلُ
ورَشـــفـــهُ يـــنـــقَـــعُ الـــغَـــلـــيـــلْ
ســـقـــى بـــنـــجـــد رُبـــا المُـــصـــلّـــى
مـــبـــاكـــراً روضَـــه الـــغَـــمـــامْ
فـــجـــفـــنـــه كـــلـــمـــا اســـتَـــهـــلاّ
تـــبـــســـمّ الـــزهـــرُ فـــي الـــكـــمـــامْ [1]
والـــروضُ بـــالحُـــسْـــن قـــد تجـــلّـــى
وجـــردَ الـــنّـــهـــرَ عـــن حُـــسَـــامْ
ودوحُـــهـــا ظـــلّـــه ظـــلـــيـــلُ
يـــحـــسُـــنُ فـــي ربـــعـــه المـــقـــيـــلْ
والـــبـــرقُ والجـــوُّ مـــســـتـــطـــيـــلُ
يـــلـــعـــب بـــالـــصـــارم الـــصَّـــقـــيـــلْ
عـــقـــيـــلـــةٌ تـــاجـــهـــا الـــســـبـــيـــكـــة
تُـــطـــلُّ بـــالمـــرقـــب المَـــنـــيـــفْ
كـــأنـــهـــا فـــوقـــه مـــلـــيـــكَـــهْ
كـــرســـيّـــهـــا جـــنـــةُ الـــعَـــريـــفْ

تطبعُ من عسجَد سبيكة
شموسُها كلُّها تُطيفْ (2)
أبدعَها الخالقُ الجَليلُ
يا منظرا كلُّه جَميلْ
قلبي إلى حسنه يَميلُ
وقبلَنا قد صَبا جَميلْ (3)
وزاد للحسن فيك حسنا
محمدُ الحمد والسَّماحْ
جدَّدَ للفخر فيك معْنَى
في طالع اليُمن والنَّجاحْ (4)
تُدْعَى رشاداً وفيك معنَى
يخصُّك الفالُ بافتتاحْ (5)
فالنصرُ والسعدُ لا يزولُ
لأنه ثابتٌ أصيلْ
سعدٌ وأنصارُهُ قبيلُ
آباؤُهُ عتْرَةُ الرَّسولْ
أبدَى به حُكْمَه القدير
وَتوَّج الروضَ بالقبابْ
ودرعَ النهرَ بالغدير
وزيّن الزهرَ بالحَبَابْ (6)
فمنْ هديل ومنْ هدير
ما أولع الحُسْنَ بالشَّبابْ
هبَّتْ عل روضها القَبولُ
وطرفُها بالسُّرى كليلْ (7)
فلم يزلْ بينَها يجولُ
حتى تبدَّتْ له حُجُولْ
للزَّهر في عطْفها رقُومُ
تلوحُ للعين كالنجومْ

ولـــلــــنَّـــدى بـــيــــنــــهـــا رسُـــومُ
عـــقْــدُ الـــنَّـــدى فـــوقَـــهـــا نَـــظـــيـــمْ [8]
وكــــلُّ واد بـــــهـــــا يـــــهـــــيـــــم
ولـــم يــــزل حـــولـــهـــا يَـــحُـــومْ
سُـــنْـــبــلُـــهـــا مُـــدّ مـــنـــه نـــيـــلُ
والـــسّـــينُ ألـــف لمــــســتــنــيــلْ [9]
وعــــــينُ واد لـــــــه تَـــــســـــيــــلُ
مـــن فـــوق خـــدّ لـــه أســـيـــلْ [10]
كــــم مــــن ظــــلال بــــه تَــــرفُّ
تـــطـــفـــو لـــه فـــوقـــهـــا سُـــتُـــورْ
ومــــنْ زجــــاج بـــــه يـــــشـــــفُّ
مــــا بــــين نــــور وبــــين نُــــورْ
ومــــن شـــمـــوس بـــه تحـــفُّ
تُـــديـــرُهـــا بـــيـــنـــهـــا الـــبُـــدورْ [11]
مـــزَاجـــهـــا الـــعـــذبُ ســـلـــســبـــيـــلُ
يـــا هـــل إلـــى رشـــفـــهـــا سَـــبـــيـــلْ
وكـــيـــفَ والـــشـــيـــبُ لـــي عـــذولُ
وصـــبْـــغـــهُ صـــفـــرةُ الأصـــيـــلْ
يـــا ســـرحـــةً فـــي الحـــمـــى ظـــلـــيـــهْ
كـــم نـــلـــت فـــي ظـــلّـــكَ المُـــنَـــى
روضـــك الـــلـــهُ مـــن خـــمـــيـــلـــةْ
يُـــجـــنَـــى بـــهـــا أطـــيـــبُ الجَـــنَـــى
وبـــرقُـــهـــا صـــادقُ المَـــخـــيـــلـــةْ
مـــازال بـــالـــغـــيـــث محـــســـنـــاً
أنجـــزَ لـــي وعـــدَك الـــقَـــبـــولُ
فـــلـــم أقـــل مـــثـــلَ مَـــنْ يـــقـــولْ:
يـــا ســـرحـــه يـــا مـــطـــلـــولُ
شـــرحُ الـــذي بـــيـــنـــنـــا يـــطـــولُ

● اللخمي الغرناطي (أحمد بن علي)، من شعراء القرن التاسع الهجري:

حيّاك بالأفراح داعي الصَّباح
قمْ لاصطباحْ

فالنوم في شرع الهوى لا يُباحْ
والصبحُ قد جَرَّدَ منه حًسام
باد القسامْ
تضحَى وجوهُ الزَّهر منه وسَام
ذات ابتسامْ
وحامُ جنح الليل قد دعا سامْ
مما يُسامْ
وخافقُ البرق بدا بالنياحْ
سامي اللّياحْ

وأدمعُ المُزن به في انسياحْ
والروضُ من ذاك الهتون البليلْ
ظلٌ ظليلْ
يغدو نسيم الزهر منه عليلْ
يشفي الغَليلْ
وساجعُ البلبل يُبدي أليل
على الخليلْ
لما رأى تلك الغياضَ الفساحْ
غنى وصاحْ

وكاد يزري بالطيور الفصاحْ
إني بذكري للتصابي أطيبْ
عن كلّ طيبْ
كأنما تذكارُه لي مطيبْ
غضٌ رطيبْ

حــتــى إذا مــا قــمــتُ فــيــه خــطــيــبْ
بمـــــــا يَـــــطـــــــيـــــــبْ
رأيـــتُ مـــدحـــي لـــلـــصـــفـــات الملاحْ
عـــــــينَ الــــــــصَّـــــــــلاحْ

فـــلـــم أصـــخ فـــيـــه إلـــى قـــول لاحْ
أمـــا تـــرى ابـــن الـــبـــازي اســـتـــمـــالْ
قـــــــلـــــــبـــــــي فَـــــــمَـــــــالْ
غـــيـــثٌ ولـــكـــن لـــيـــس فـــيـــه انـــهـــمـــالْ
إلا بمَـــــــــــــــــــــــــالْ
بـــدرٌ ولـــكـــنْ لـــيـــس إلا الـــكَـــمـــالْ
ثـــــــم الجَـــــــمَـــــــالْ
لـــه بـــأفـــق المـــعـــلـــوات الـــتـــمـــاحْ
إلـــــــى الـــــــطـــــــمـــــــاحْ

وشـــأنُـــه الـــبـــذلُ وفـــرطُ الـــسَّـــمـــاحْ
قـــد حـــاز فـــضـــلَ [1] الـــسَّـــبـــق بـــين الـــوجـــود
حـــــــلْـــــــمـــــــاً وَجـــــــودْ
تَـــهْـــوي الـــســـمـــا كـــان إلـــيـــه ســـجـــودْ
مـــــــهـــــــمـــــــا يـــــــجـــــــودْ
وذاتُـــه الـــعـــلـــيـــاءُ روضٌ مـــجـــودْ
عـــــــالـــــــي الـــــــنُّـــــــجـــــــودْ
شـــذاه لـــلـــمـــأمـــول (2) والـــسُّـــؤال راحْ
والاقـــــــــــــــــتـــــــــــــــــراحْ

ومـــوردُ الـــعـــايـــين مـــنـــه قُـــراحْ
بمـــثـــل هـــذا الـــذُّخـــر يُـــشْـــفَـــى الـــغـــرامْ
ممـــــــــــا يُـــــــــــــــرامْ

فــإنـــه فـــخـــر الـــقـــضـــاة الـــكـــرامْ
بـــــــــلا انـــــــــصـــــــــرامْ
وجـــاهُـــهُ أزْرَى بـــكـــل احـــتـــرامْ
صَـــــعْـــــبُ المـــــرامْ
وجـــودُه فـــي الـــنـــاس خـــافـــي الجَـــنَـــاحْ
بـــــالامـــــتـــــنـــــاحْ

فـــهـــل عـــلـــى مُـــدَّاحـــه مـــن جُـــنَـــاحْ
وهـــاكَـــهـــا مـــولاي ذاتَ اعـــتـــقـــالْ
كـــــمـــــا يُـــــقَـــــالْ
تـــرجـــو نـــدىً يـــقـــضـــي بـــحـــل الـــعـــقَـــالْ
لـــــلانـــــتـــــقـــــال
وهـــا أنـــا عـــارضـــتُ فـــيـــهـــا مـــقـــالْ
مَـــــنْ كـــــان قـــــال:
بـــنـــفـــســـجُ الـــلَّـــيـــل تـــزكَّـــى وفـــاحْ
فـــــوقَ الـــــبـــــطـــــاحْ
أظـــنُّـــه يُـــســـقـــى بمـــاء وراحْ

● المنصور السعدي (المتوفي سنة 1012 هـ):
عـــطّـــر الأرجـــاء لمـــا نَـــســـمَـــا
شـــمـــألَ الـــصـــهـــبـــاء عـــنـــد الـــغَـــلَـــس
وأتـــت شـــمـــسُ الـــضُـــحَـــى تـــنـــســـخُ مـــا
يـــقـــرأُ الـــلـــيـــلُ لـــنـــا مـــنْ عـــبَـــس
طـــافَ بـــالـــكـــأس مـــنَ الـــتـــرك فَـــتَـــى
مـــولـــع بـــالـــصَّـــدَّ عـــنـــى مـــا فـــتن
فـــتَـــن الألـــبـــابَ لمـــا الـــتـــفـــتـــا
واجـــتـــنـــى مـــنـــه بـــعـــض الـــشّـــفـــة
وأتـــانـــا بـــالحُـــمـــيـــا فـــمـــتَـــى
صـــدّه تـــيـــهُ الـــهـــوى عـــن ألـــفـــتـــى

وكـــؤوسُ الــــرّاح بـــين الـــنُّـــدمَـــا
أرَّجــت بـــالــعــرف أفـــقَ المجـــلـــس
خـــمـــرةٌ صــفــراءُ فـــي الــبــلّــورمــا
أشــبَـــه الـــرّاحَ بـــروض الـــنّـــرجـــس
بـــادر الـــلّـــذات واجـــمَـــعْ شـــمـــلَـــهـــا
بمـــــدام وغـــــلام مـــــطـــــرب
ذي عـــيـــون نـــاعـــســـات كـــم لـــهـــا
مـــن فـــنـــون الـــسّـــحـــر مـــا يـــلـــعـــبُ بـــي
وافـــر الأرداف عـــانَـــى حـــمـــلَـــهـــا
نـــاحـــل الخـــصـــر وذا مـــن عَـــجَـــب
كـــلـــمـــا أفَـــرغَ كـــأســـاً قـــال مـــا
أنـــتَ بـــالـــشـــاري حـــيـــاةَ الأنـــفُـــس
فـــابـــذل الجـــهـــدَ وكـــن مـــغـــتـــنـــمَـــا
لـــنـــعـــيـــشَ الـــعـــيـــشَ طـــيـــبُ الأنـــفُـــس
فـــرصُ الـــلـــذات كـــن مـــنـــتَـــهـــزاً
بـــشـــذاهـــا قـــبـــل حـــذف الخَـــبَـــر
ولـــيـــالـــي الأُنـــس كـــن مـــنـــتـــجـــراً
قـــبـــل أن تمـــضـــي كـــلـــمـــح الـــبَـــصَـــر
واجـــتـــنـــي زهـــرَ الـــهـــوى مـــحـــتـــرزاً
مـــن جـــنـــايـــات هـــمـــوم الـــكـــبـــر
لا تـــكـــن يـــومـــا جـــبـــانـــاً حـــيـــثُـــمـــا
لاحـــت الـــلـــذاتُ كـــالمخـــتـــلـــس
مـــا مـــضـــى يـــومٌ ووافـــى مـــثـــلَـــمـــا
كـــان فـــالـــدّهـــرُ لـــنـــا بـــالحَـــرَس
لـــلـــريـــاض اذهـــب تـــرى بـــلـــبـــلَـــهـــا
يـــتـــغـــنـــى بـــين زهـــر يـــنْـــجـــلـــي
وخُـــدودَ الـــروض قـــد كـــلّـــلَـــهـــا
دمـــعُ طـــلّ لاشـــتـــيـــاق الـــبَـــلَـــل

وقُدُودَ البان قد قامَ لها
يانعُ الغصن مقامَ الأسَل
والرُّبى فاحت تحاكي خُزما
وعلَيها من ثياب السُّنْدُس
جيبُها زرّر بالزّهر كما
زر بالفضة ثوبُ الأطلَس
وجلا الروضُ لنا أشجارَهُ
مائسات في قباء أخضَر
وترى في جيدها أنوارَهُ
تتلألأ كعقود الجوهر
خلع الليلُ به أطمارّهُ
فغدا كالصبح باهي المَنْظَر
وبقاياه زهت فيه كما
في شفاه الغيد حسن اللَّعَس
كعذار في مُحَيّا علما
فبدا للعين لا للمَلْمَس
حبذا الصبوةُ أيامَ الصَّبا
وعيونُ الشَّيب في سهو الوسَنْ
فإذا أيقظَها دهرُ صبَا
لصروف حَدَّ حَدّيْها وسَنّ
جرد الشيبُ بياضاً أشيباً
واقتفى شرخَ شباب وطعَنْ
وغدا الإنسانُ شيخا هَرما
واعتراه لاعج من هَجس
فإذا ما فاتَ يقضي ندمَا
واغتنامُ الوقت فعلُ الأكيَس
لا تدعْ عمرَك يَمْضي هَدَرا
أنت إذ ذاك جبان غافلُ

وارقَ بـــالجـــهـــل مـــن الـــنُّـــبـــل ذرَى
واجـــتـــهـــدْ فـــالـــدهـــرُ ضـــرْعٌ حـــافـــلُ
إنمـــا الأيـــامُ أمـــثـــالُ الـــشّـــرى
والجـــرىء الـــشـــهـــمُ لـــيـــثٌ بـــاســـلُ
ووحـــوشٌ الأنـــس تـــبـــقـــى مـــغـــنـــمـــا
بـــاردا لـــلأســـد المُـــفْـــتَـــرس
تـــرك الـــوهـــمَ وخـــاضَ الـــظُّـــلـــمَـــا
ولـــه عـــزم أضـــا كـــالـــقَـــبَـــس

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

● من «الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة» لابن بسام

● ● ●

● من مقدمة «دار الطراز» لابن سناء الملك

● ● ●

● من «المقتطف من أزاهر الطرف» مقابلا على «مقدمة» ابن خلدون، و «نفح الطيب»

● ● ●

● من مقدمة «توشيع التوشيح» للصفدي

من "الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة"، لابن بسام

فصلٌ في ذكر الأديب أبي بكر عُبادة بني ماء السماء؟ واثبات جملة من شعره، ما يتعلق به من ذكره: قال ابن بسام

هو عُبادة بن عبد الله الأنصاري، من ذرّية سعد بن عُبادة، وقيل له ابنُ ماء السّماء لجدّهم الأول. ولحق بقرطُبة (في أيام) [1] الدولة العامرية والحمّودية، ومدح رجالَها، وكان أبو بكر في ذلك العصر شيخَ الصناعة وإمامَ الجماعة، سلك إلى الشّعر مسلكاً سَهّلا، فقالت له غرائبُه مرحباً وأهلا.

وكانت صنعةُ التوشيح التي نَهجَ أهلُ الأندلس طريقتَها، ووضحوا [2] طريقَتها غيرَ مرقومة البُرود، ولا منظومة العقود، فأقام عُبادةُ هذا منآدَها وقوم ميلَها وسنادَها فكأنها لم تُسمَعْ إلا منه، ولا أخذَتْ إلا عنه، واشتهر بها اشتهاراً غلبَ على ذاته، وذهب بكثير من حسناتة.

وهي أوزان كثيرة كُثر استعمالُ أهل الأندلس لها في الغزل والنسيب، تُشَقُّ على سماعها مصوناتُ

الجيوب، بل القلوب،

وأول من صنعَ أوزانَ هذه الموشحات بآفقنا، واخترع طريقتها-فيما بلغني- محمد بن محمود [3] القَبْري الضَّرير، وكان يصنعُها على أشطار الأشعار غير المستعملة، يأخذُ اللفظُ العاميَّ العجميَّ ويُسمّيه المركز، و يضعَ عليه الموشّحة، دون تضمين [4] فيها ولا أغصان.

وقيل إن ابنَ عبد ربَّه صاحبَ كتاب العقْد أول مَنْ سبق إلى هذا النوع من الموشحات عندنا.

ثم نشأ يوسفُ بن هارون الرَّمادي، فكان أول من أكثرَ فيها من التضمين في المراكيز، يُضَمّن كلَّ موقف يقفُ عليه في المركز خاصةً، فاستمر على ذلك شعراء عصره [5] كمكرم بن سعيد وابن أبي الحسن،

ثم نشأ عُبادة (ابن ماء السماء) هذا، فأحدثَ التَّغيير [6]، ذلك أنه اعتمد مواضع الوقف في الأغصان، فيضمنّها، كما اعتمد الرّمادي مواضعَ الوقف في المركز.

وأوزانُ هذه الموشحات خارجةٌ عن غرض هذا الديوان، إذ أكثرها على غير أعاريض أشعار العرب، وقد أثبت من شعر عبادة في هذا الفصل ومن سائر كلامه، ما يدل على تقدمه وإقدامه..

فصل: في ذكر الأديب أبي عبد الله محمد بن عُبادَة، المعروف بابن القزّاز: من مشاهير الأدباء الشعراء. وأكثرُ ما ذكرَ اسمه، وحُفظَ نظمُه في أوزان الموشحات، التي كثُر استعمالُها عند أهل الأندلس. وقد ذكرت فيما اخترت في هذا القسم من أخبار عبادة بن ماء السماء. من برع في هذه الأوزان من الشعراء. وهذا الرجلُ ابن القزّاز ممّنْ نسج على منوال ذلك الطراز، ورقّم ديباجَةً ورصّع تاجَةً، وكلامُه نازلٌ في المديح، أما ألفاظه فيّ التوشيح فشاهدة له بالتبريز والشّفوف، وتلك الأعاريضُ خارجةٌ عن (غرض) [7] هذا التصنيف».

من مقدمة «دار الطراز»
لابن سناء الملك

«إنّ الموشحات مما تركَ الأولُ للآخر، وسبقَ بها المتأخّرُ المتقدمَ، وأجْلَبَ بها أهلُ المغرب على أهل المشرق، وغادرَ بها الشعراء من مُتَرَدم، مُلْحةُ

الدّهر، وبابلُ السّحر، وعنبرُ الشحر، وعودُ الهند، وخمرُ القفص، وتبرُ الغَرْب، ومعيارُ الإفهام وميزانُ الأذهان... صار المغرب بها مُشرقا لشروقها بأفقه، وإشراقها في جوّه، وصار أهلُه بها أغنى الناس لظَفرهمْ بالكنز الذي ذَخَرَتْه لهم الأيامُ، وبالمعدن الذي نام عنه الأنامُ..

حد الموشح:

الموشّح كلامٌ منظومٌ على وزن مخصوص. وهو يتألفُ في الأكثر من ستّة أقفال وخمسة أبيات ويقال له التّام، وفي الأقل من خمسة أقفال وخمسة أبيات ويقال له الأقرع. فالتام ما ابتدئ فيه بالأقفال، والأقرع ما ابتدئ فيه بالأبيات.

فمثال التّام موشحُ الأعمى وهو الذي سارت به الركبانُ:

ضَاحكٌ عنْ جمانْ سافر عن بَدْرْ ضاق عنه الزّمانْ وحواه صَدْري (1)

فهذا الموشح ابتدئ بقفله. ومثالُ الأقرع:

سَـــطـــوَة الحـــبـــيـــب
أحـــلَـــى مـــن جـــنـــي الـــنّـــحـــل
وعـــلـــى الـــكـــئـــيـــب
أن يـــخـــضَـــع لـــلـــذُّل
أنـــا فـــي حـــروب
مـــع الحـــدق الـــنُّـــجـــل

ليس لى يدان بأحور فتّان مَنْ رأى جفونَهْ فقد أفسدَتْ دينَه (2)

فهذا الموشحُ ابتدئ ببيته.

والأقفالُ هي أجزاءٌ مؤلفةٌ يلزمُ أن يكون كلُّ قفْل منها مُتّفقاً مع بقيتها في وزنها وقوافيها وعدد أجزائها.

والأبيات هي أجزاء مؤلفةٌ مُفْرَدةٌ أو مُرَكَّبة، يلزم في كل بيت مها أن يكون متفقا مع بقية أبيات الموشّح في وزنها وعدد أجزائها لا في قوافيها، بل يحسن أن تكون قوافي كلّ بيت منها مخالفةً لقوافي البيت الآخر. والقفْلُ- كما تقدم-يترددُ في الموشح ستَّ مرات في التام، وخمس مرات في الأقرع.

وأقلُّ ما يتركبُ القُفْلُ من جزأين فصاعداً إلى ثمانية أجزاء، وقد يوجدُ

في النّادر ما قفلُه تسعةُ أجزاء وعشرة أجزاء، ولم أجدْ للمغاربة منه ما أثقُ بنَسبه، فلهذا لم أذكرْ مثالا منه.

والبيت لا بد أن يترددَ في التّام وفي الأقرع خمس مرات. وأقلُّ ما يكون البيتُ ثلاثةَ أجزاء. وقد يكونُ في النّادر من جزأين، وقد يكون من ثلاثة أجزاء ونصف، وهذا لا يكونُ إلا فما أجزاؤه مركبة. واكثرُ ما يكونُ خمسةَ أجزاء.

والجزء من القفل لا يكونُ إلا مفرداً، والجزء من البيت قد يكون مفرداً وقد يكونُ مركباً. والمركبُ لا يتركب إلا من فقرتين أو من ثلاث فقَر، وقد يتركبُ في الأقلّ من أربع فقَر.

وسنكتبُ هاهنا مثالا لكل ما ذكرناه ليتلخص ويَتَشخّصَ، وينتقلَ ما ندركُه بالقول سماعا إلى أن تراه بالخطّ عياناً. فأمثلةُ الأقفال:

القفل المركب من جزأين:

شـــــمـــــسٌ قـــــارنـــــتْ بَـــــدْراً

راحٌ ونَـــــــــــــــــديمْ (3)

المركب من ثلاثة أجزاء:

حـــــلّـــــتْ يـــــدُ الأمـــــطـــــارْ

أزرَّةَ الـــــنّـــــوارْ فـــــيـــــاخـــــدْنـــــي (4)

المركب من أربعة أجزاء:

أدرْ لنا اكواب يُنسى بها الوجدُ واستحضر الجُلاّسْ كما اقتضى الوُدُّ(5)

المركب من خمسة أجزاء:

يـــــا مـــــن أجـــــودُ ويـــــبـــــخـــــلْ

عـــــلـــــيّ شـــــحّـــــى وافـــــتـــــقـــــاري

أهـــــواك وعـــــنـــــدي فـــــي زيـــــادة

مـــــنـــــهـــــا شـــــوقـــــي وادّكـــــاري (6)

المركب من ستة أجزاء:

ميتاتُ الدّمَنْ أحيْيَنْ كَرْبي وهل يتمكّنْ
عزاءٌ لقلبي مت يا عزاه شاه (7)

المركبُ من سبعة أجزاء:

الموشحُ المعروف بالعَرُوس، وهو موشحٌ ملحونٌ، واللحنُ لا يجوز استعمالُهُ في شيء من ألفاظ الموشح، إلا في الخرجة خاصة، فلهذا لم نوردْ مثاله (8)

المركب من ثمانية أجزاء:

علَى عيون العينْ رَعَى الدّراري منْ شُغف ْ بالحُب
واستعذبَ العَذابْ - والتذّحالَيْه من أسف وكَرْبْ (9)

وقد يندر في بعض الموشحات الشاذة التي لا يعول عليها أن تكون أقفالها مختلفة أعداد الأجزاء، كالموشح الذي أوله:

بـــــأبـــــي عـــــلْـــــقٌ
بـــالـــنـــفـــس عـــلـــيـــقْ (10)

وهذا الموشحُ لعُبادة، فإنّ قفلَه الأول جزءان، وبقية أقفاله ثلاثة..

أمثلة الأبيات

أمثلة ما أجزاؤه مفردة:

ما هو منها على ثلاثة أجزاء:

أرَى لك مُهَنّد أحاط به الإثْمد فجرد ما جرّد
فيا ساحرَ الجفن
حُسامُك قطّاع (11)

ما هو منها على أربعة أجزاء:

قـــد بـــاحَ دمـــعـــي بمـــا أكـــتُـــمـــهُ
وحـــنّ قـــلـــبـــي لمَـــنْ يـــظـــلـــمُـــهُ
رَشَـــا تمـــرّن فـــي لافُـــمُـــهُ
كـــم بـــالمُـــنَـــى أبـــداً ألْـــثـــمُـــهُ

يـــفـــتـــرُّ عـــن لـــؤلـــؤ مـــتّـــســـق
مَـــنْ لـلأقـاح بـنـسـيـمـه الـعَـبـق (12)

أمثلة الأبيات التي أجزاؤها مركبة:

ما تركب بيتُه من فقرتين وثلاثة أجزاء:

أقـــــمْ عُـــــذْري
فـــقـــد آن أنْ أعـــكـــفْ
عـــلَـــى خَـــمْـــر
يـــطـــوفُ بـــهـــا أوْطَـــفْ
كـــمـــا تـــدْري
هـــضـــيـــمَ الحـــشـــى مُـــخْـــطَـــفْ
إذا ما مادْ في مخضرّة الأبرادْ رأيتَ الآسْ بأوراقه قد ماسْ (13)

ما تركب من فقرتين وثلاثة أجزاء ونصف:

مَـــنْ أودع الأجـــفـــانْ
صـــوارمَ الـــهـــنْـــد
وأنـــبـــتَ الـــرّيـــحـــانْ
فـــي صـــفـــحـــة الخَـــدّ
قـــضَـــى عـــلـــى الـــهَـــيْـــمـــان
بـــالـــدّمـــع والـــسّـــهْـــد

أني وللكتمانْ

للهائم المُغْرَمْ بدمع نَمْ إذ يسجَمْ بما يكتُمْ منَ الشّرّ

في عاطل حال غرير ساط على الدُّعج (14)

ما تركب من فقرتين وأربعة أجزاء:

مـــا حـــوى مـــحـــاســـنَ الـــدّهـــر
إلا غـــــزالْ
مُـــعَـــرّق الخـــدّيـــن مـــن فـــهْـــر
عـــمّ وخَـــالْ

نـــســـبـــةٌ لــلـــنـــائـــل الـــغَـــمْـــر
ولـــــــلــــــــنّــــــــزَال
فــــأنــــا أهـــواهُ لــــلـــفَـــخْـــر
ولـــــــلــــجَــــــمَــــالْ

وجــهُــهُ وجــهٌ طــلــيــق لــلــضــيــوف مُــشْــرقٌ
ويــد تــســطــو عــلــى الأســد فَــتْــفَــرقُ (15)

ما تركبَ من فقرتين وخمسة أجزاء:
هُـــنَّ الـــظـــبـــاُ الـــشـــمـــسْ
قـــنـــيـــصُـــهُـــنّ الـــضَّـــيْـــغَـــمْ
مـــا إنْ لـــهـــا مـــن كُـــنْـــس
إلا الـــقـــلـــوبُ الـــهُـــيّـــمْ
الـــقُـــرْبُ مـــنـــهـــا عُـــرْسُ
والـــبُـــعْـــدُ عـــنـــهـــا مـــأتَـــمْ
تـــلـــك الـــشـــفـــاهُ الـــلُّـــعْـــسُ
يـــحـــيـــا بـــهـــن المُـــغْـــرَمْ
لـــهـــا لحـــاظٌ نُـــعْـــسُ
تـــرنـــو إلـــى مَـــنْ يَـــسْـــقَـــمْ

بأعين الغزلانْ وتبتسمْ عن جوهر الأسْمَاط
قضى لها الغَيْران أنْ تكتمْ في مُضمَر الأنياط (16)

وقد يندر في بعض الموشحات ما يكون بيته جزأين مركبين من فقرتين، وهو شاذ جدا وهو:

بـــاكـــرْ إلـــى الخـــمـــر
واســـتـــنـــشـــق الـــزّهـــرا
فـــالـــعُـــمْـــرُ فـــي خُـــســـرَ
مـــا لـــم يـــكـــنْ سُـــكْـــرا

فقلّ ما أسلوُ عن مرشف الأكواس وسامرُ الطَّرف مُساعدُ الجُلاّسْ
فـــــــــســـــــــقّـــــــيـــــــنــــــــي
بـــــــنــــــــتَ الــــــــزرّاجــــــــيــن (17)

ما تركب من ثلاث فقر وثلاثة أجزاء:

مَنْ لي به يرنُو	**بمقلَتيْ ساحر**	**إلى العباد**
ينآى به الحُسْنُ	**فينثني نافرْ**	**صعبَ القياد**
وتارةً يدنو	**كما احتسى الطائرْ**	**ماء الثّماد**
فجيدُه أغيد	**والخَدُّ بالخال**	**مُنَمّقْ**
تكتُمه الحُجُبُ	**فلي إلى الكَلّةْ**	**تَشَوُّقُ** (18)

ما تركب من أربع فقر وثلاثة أجزاء:

بأبي	**ظبيُ حمى**	**تكنفُهُ**	**أسْدُ غيلْ**
مذهبي	**رَشْفُ لما**	**قَرْقفُهُ**	**سلْسَبيلْ**
يستبي	**قلبي بما**	**يعطفُه**	**إذْ يَميلْ**

ذو اعتدال	يُعْزَى إلى	ذي نعمة ثابت
في ظلال	تحت حُلى	قطر النّدى بائتٌ (19)

(الخرجة):

والخرجةُ عبارةٌ عن القُفل الأخير من الموشّح. والشُّرطُ فيها أن تكونَ حجّاجية من قبل السُّخْف، قُزْمانيةً من قبل اللّحن، حارةً محرقةً، حادّة منضجةً، من ألفاظ العامة ولغات الدَّاصّة، فإن كانت معربةَ الألفاظ، منسوجةً على منوال ما تقدمها من الأبيات والأقفال، خرج الموشح من أن يكون موشحاً، اللهم إن كان موشح مدح وذكر الممدوحُ في الخرجة، فإنه يحسن أن تكونَ الخرجةُ معربةً كقول ابن بقي:

إنّما يحَييْ سليلُ الكرامْ واحدُ الدّنيا ومعنَى الأنامْ (20)

وقد تكونُ الخرجةُ معربةً وان لم يكن فيها اسمُ الممدوح، ولكن بشرط أن تكون ألفاظها غزلة جدا، هزّازة سحّارة خلاّبة، بينها وبين الضبابة قرابة،

وهذا معجزٌ معْوزٌ، وما يوجد منه في الموشحات سوى موشحين أو ثلاثة، كقول ابن بقى:

ليلٌ طويلٌ ولا معينْ يا قلْبَ بعض الناسْ أما تلينْ؟ (21)

فمَنْ قدر أن يقولَ هكذا فليعرب وإلا فلْيَغْرُبْ.

والمشروعُ بل المفروضُ في الخرجة أن يجعلَ للخروج إليها وثباً واستطرادا، وقولاً مستعاراً على بعض الألسنة، إما السنةُ الناطق أو الصامت، أو على الأغراض المختلفة للأجناس. وأكثرُ ما تجْعَلُ على ألسنة الصبيان والنسوان، والسكري والسكران، ولا بدّ في البيت الذي قبلَ الخرجة من: قال أو قلتُ، أو غنّى أو غنيتُ أو غنّتْ (22) فاجعل على لسان الحمام: قولُ عبادة:

إنّ الحَـــــــــــــــمَــــــــــــــامْ

فــــي أيــــكــــهــــا تــــشــــدُو

قُلْ هل عُلمَ أو هل عُهدْ أو كان كالمعتصمْ والمُعْتضد ملكان (23)

ومما جُعلَ على لسان الغَرام قولُ ابن بقي:

أنــــــا وأنـــــــتــــــا

أســــوةُ هـــــذا الـــــهـــــجــــر

وبــــالـــصَّــــبـــر بـــنــــتــــا

عـــنــد انــصـــداع الـــفــجـــر

ومـــــذْ رحـــــلـــــتَـــــا

غــــنـــى الجـــوى فـــي صـــدري

ساقَرْ حبيبي سحَرْ وما ودعتوا يا وحشْ قلبي في الليل إذا افتكرتو (24)

ومما استعيرَ على لسان الهيجا قولُ عُبادة:

فــــالـــهــــيــــجَـــا تُــــغــــنّـــي

والــــســــيــــفُ قـــــد طَــــربْ

ما أملح العساكر وترتيبَ الصفوف والأبطال تصيحْ الواثق يا مليحْ(25)

ولو ذكرنا مثالاً لكلّ لسان استعاره القومُ لطالت الألسنة، وحصل الملالُ والكَلالُ، وقد ذكرنا منها ما يُجزي ويكفي من المثال.

وقد تكونُ الخرجةُ عجميةَ اللفظ، بشرط أن يكونَ لفظها أيضاً في العَجَميّ سَفْسَافاً نفطيا، ورَماديا زُطّيا.

والخرجةُ هي أبزارُ الموشّح، وملحُهُ وسُكّرهُ، ومسكه وعنبرُه، وهي العاقبةُ و ينبغي أن تكون حميدة، والخاتمةُ بل السابقةُ وان كانت الأخيرةَ، وقولي السابقةُ لأنها التي ينبغي أنْ يسبقَ الخاطرُ إليها، ويعملها مَنْ ينظم الموشَح في الأول وقبلَ أن يتقيدَ بوزن أو قافية، وحين يكون مسيّبا مسرّحاً، ومتبَحّبحاً منفسحا، فكيفما جاءه اللفظُ والوزنُ خفيفاً على القلب، أنيقا عند السمع، مطبوعاً عند النفس، حلواً عند الذوق، تناولَه وتنولُه، وعاملهُ وعمله، وبنى عليه الموشحَ، لأنه قد وجدَ الأساسَ، وأمسك الذنبَ ونصبَ عليه الراس.

وفي المتأخرينَ مَنْ يعجزُ عن الخرجة، فيستعيرُ خرجةَ غيره، وهو أصوبُ رأياً ممن لا يوفقُ في خرجته بأن يُعْرِبَها ويتعاقل ولا يلحنُ، فيتخاففُ بل يتثاقلُ.

(الأوزان):

والموشحات تنقسم قسمين: الأولُ ما جاء على أوزان أشعار العرب، والثاني مالا وزن له فيها ولا إلمام له بها.

والذي على أوزان الأشعار ينقسم قسمين: أحدُهما مالا يتخللُ أقفَاله وأبياتَه كلمةٌ تخرجُ به تلك الفقرة التي جاءت فيها تلك الكلمة عن الوزن الشعري، وما كان من الموشحات على هذا النسج فهو المرذولُ المخذولُ، وهو بالمخمسات أشبهُ منه بالموشحات، ولا يفعلُه إلا الضعفاء من الشعراء، ومَنْ أراد أنْ يتشبهَ بما لا يعرف، ويتشيعَ بما لا يملك، اللهم إلا إن كانت قوافي قفلة مختلفة، فإنه يخرج باختلاف قوافي الأقفال عن المخمّسات، كقول بعضهم:

يا شقيق الرُّوح من جسدي
أهوى بي منك أم لَمَمُ [26]

فهذا من المديد، وكقول الآخر:

أيها الشَّاكي إليك المشتكى
قد دعوناكَ وإنْ لم تسمع [27]

فهذا من الرمل.

وفي شجعان الوشّاحين والطعّانين في صدور الأوزان مَنْ يأخذُ بيتَ شعر مشهوراً فيجعله خرجةً، ويبني عليه موشحةُ، كما فعل ابنُ بقى في بيت ابن المعتز وهو:

عــلّــمــونــي كــيــف أســلُــو وإلاَّ
فـأحـجـبـوا عـن مـقـلـتـيَّ المـلاَحـا (28)

فإنَّ ابن بقي جعله خرجةً لموشحه، وسيأتي ذكرُهُ.

وفي الوشاحين من أهل الشَّطارة والدّعارة مَنْ يأخذُ بيتاً من أبيات المحدثينَ فيجعله بألفاظه في بيت من أبيات موشحه، كما فعل ابن بقى في بيتي كشاجم، فإنّ كشاجمَ قال:

يـقـولـون تُـبْ والـكـأسُ فـي كَـف أغـيـد
وصـوتُ المـثـانـي والمـثـالـث عـال
فـقـلـتُ لـهـم لـو كـنـتُ أضـمـرتُ تـوبـة
وأبـصـرتُ هـذا كـلَّـه لـبـدا لـي

فقال ابنُ بقي:

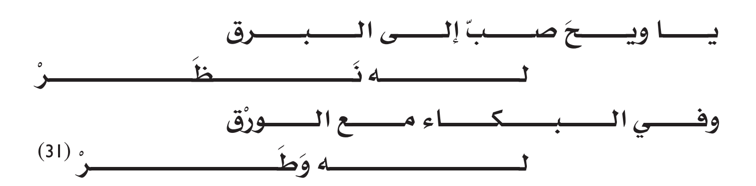
قــالُــوا ولــم يــقــولُــوا صــوابــا
أفــنــيــتَ فــي المجــون الــشَّــبــابــا
فــقــلــت لــو نــويــتُ مَــتــابــا
والكأسُ في يمين غزالي والصوتُ في المثالث عال لبَدا لي (29)

والقسم الآخر ما تخللت أقفاله وأبياته كلمة أو حركة ملتزمة كسرة كانت أو ضمَّةً أو فتحةً، تخرجه عن أن يكون شعراً صرفاً، وقريضاً مَحْضاً، فمثالُ الكلمة قولُ ابن بقي:

صــبــرتُ والــصَّــبــرُ شــيــمــةُ الــعــانــي
ولم أقلْ للمطيل هجْراني مُعَذّبي كَفَاني (30)

فهذا من المنسرح، وأخرجه منه قوله: «مُعَذّبي كَفَاني»

ومثالُ الحركة هو أن تُجْعَلَ عليه قافيةٌ في وزن، ويتكلف شاعرها أن يعيدَ تلك الحركة بعينيها وبقافيتها، كقوله:



يـــــا ويــــحَ صـــــبّ إلــــى الـــــبـــــرق
لـــــــــــه نَـــــــــــظَـــــــــــرْ
وفــــــي الــــــبـــــكـــــاء مـــــع الـــــورْق
لـــــــــــه وَطَـــــــــــرْ [31]

فهذا من البسيط، والتزام إعادة القافية في وسط الوزن على الحركة المخفوضة هو الذي أشرنا إليه.

والقسم الثاني من الموشحات هو مالا مَدْخَلَ لشيء منه في شيء من أوزان العرب، وهذا القسمُ منها هو الكثيرُ، الجمُّ الغفيرُ، والعددُ الذي لا ينحصرُ والشاردُ الذي لا ينضبطُ. وكنت أردتُ أن أقيم لها عروضاً يكون دفتراً لحسابها، وميزاناً لأوتادها وأسبابها، فعزَّ ذلك وأعوز، لخروجها عن الحصر، وانفلاتها من الكفّ، ومالها عروض إلاّ التلحين، ولا ضرب لها إلاَّ الضَّرب، ولا أوتاد إلاَّ الملاوي ولا أسباب إلاَّ الأوتار، فبهذا العَروض يعرف الموزونُ من المكسور، والسالم من المزحوف. وأكثرها مبني على تأليف الأرغن [32]، والغناء بها على غير الأرغن مستعارٌ وعلى سواه مجاز.

والموشحات تنقسم من جهة أخرى إلى قسمين: قسم أقفاله وزنُ أبياته، حتى كأن أجزاء الأبيات من أجزاء الأقفال، كقول الأعمى:

أحلى من الآمن **يرتاعُ من قُرْبي** **ويفرَق**
في وجهه سنَّة **يشجى بها العذلُ** **ويشرَقُ**
لله ما أقربْ **على محبّيه** **وأبعدَا**
حلُو اللَّمى أشنب **آسَى الضَّني فيه** **وأسعَدا**
أحببْ به أحببْ **ويا تجنّيه** **طال المَدَى**
أما ترى حُزْني **ناراً على قلبي** **تحرقُ**
حسبي بها جنَّة **يا ماء يا ظلُّ** **يا رونَقُ** [33]

وقسمٌ أقفالُه مخالفة لأوزان أبياته مخالفةً تتبَيّنُ لكلّ سامع، ويظهر طعمها لك ذائق، كقول بعضهم:

الحُـــبُّ يـــجـــنـــيـــكَ لـــذةَ الـــعَـــذل
والـــلـــومُ فـــيـــه أحـــلـــى مـــن الـــقُـــبَـــل

لــــكـــلّ شـــيء فـــي الـــهـــوى ســـبـــبُ
جَـدَّ الــهــوى بـــي وأصــلُـــه الــلَّــعــبُ
وأن لــــــو كـــــان جــــدٌ يــــعــــنـــــي
كـــان الإحـــســـانُ مـــن الحُـــسْـــن [34]

فها أنت ترى مباينة الأقفال للأوزان مباينةً ظاهرةً، ومخالفةً بعضها لبعض مخالفةً واضحةً، وهذا القسمُ لا يجسرُ على عمله إلاّ الرَّاسخون في العلم من أهل هذه الصناعة، ومن استحقَّ منهم على أهل عصره الإمامة. فأما مَنْ كان طُفيلياً على هذه المائدة، فإنه إذا سمعَ هذا الموشح، ورأى مباينةَ أوزان أقفاله لأوزان أبياته ظنَّ أن هذا جائز في كل موشح فعمل مالا يجوزُ عملُه، وما لا يمشيه التلحينُ له، وتظهرُ فضيحتُهُ فيه وقتَ غنائه، فإن المغني ببعض الآلات يحتاجُ إلى أن يغيّر شدّ الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت، وعند خروجه من البيت إلى القفل، وهذا مكان ينبغي أن يلحظ ويُحْفَظ.

والموشحات تنقسمُ من جهة أخرى إلى قسمين، قسم لأبياته وزن يدركه السمعُ، و يعرفه الذوقُ كما تُعْرَفُ أوزان الأشعار، ولا يحتاج فيها إلى وزنها بميزان العَروض، وهو أكثرها، وقسمٌ مضطربُ الوزن، مُهَلْهَلُ النَّسج، مفكك النّظم لا يحسُّ الذوقُ صحَّتَه من سقمه، ولا دخولَه من خروجه، كالموشح الذي أوله:

أنـــــــت اقـــــــتـــــــراحــــــي
لاقــــرب الــــلــــــــهُ الـــلـــواحـــي
مَـنْ شـاء أن يـقـولَ فـإنـي لـسـتُ أسـمَـع
خـضـعـتُ فـي هـواكَ ومـا كـنـت لأخـضـع
حـسـبـي عـلـى رضـاكَ شـفـيـعٌ لـي مـشـفَّـع
نــــــشـــــوانُ صــــــاحـــــي
بـــــين ارتـــــيــــــاع وارتــــــيــــــاح [35]

فها أنتَ ترى نُبُوَّ الذوق عن وزن هذا الكلام، وماله عند الطبع الضعيف نظامٌ، ولا يعقلُه إلاَّ العالمون من أهل هذا الفنَّ، والملائكة المقربون من أهل هذه الصناعة، ومثلُ هذا لا يُقَدّمُ عليه إلاَّ مثل الأعمى، وإلاّ فالبصيرُ يحذرُه ولا ينظره، وما كان من أهل هذا النمط فما يُعْلم صالحُه من فاسده،

وسالمُهُ من مكسوره إلاَّ بميزان التلحين، فإنَّ منه ما يشهدُ الذوقُ بزحافه بل بكسره، فيجبر التلحينُ كسرَهُ، ويشفى سُقْمَهُ، ويردهُ صحيحاً ما به قليةٌ، وساكناً لا تضطربُ فيه كلمةٌ.

(نقطة تتعلق بالتلحين):

والموشحات تنقسم من جهة أخرى إلى قسمين: قسمٌ يستقل التلحينُ به، ولا يفتقرُ إلى ما يعينه عليه، وهو أكثرها، وقسمٌ لا يحتمله التلحينُ، ولا يمشي به إلا بأن يتوكأ على لفظة لا معنى لها تكون دعامة التلحين وعكازا للمغني، كقول ابن بقي:

مَنْ طالبْ   ثارَ قلبي ظبيات   الحدُوج   فتّانات الحجيج[36]

فانّ التلحين لا يستقيم إلا بأن يقول «لا لا» بين الجزأين الجيميين من هذا القفل.

(أغراض الموشحات):

ومن سنة القوم في أكثر موشحات المدح أن يختمَ الموشحُ بالغزل، ويخرجُ من المدح أليه كما يخرج إليه منه، وها هو الأكثر من عملهم، والأظهرُ من مذهبهم، ومنه قولُ الأعمى:

حلوُ المجاني   ما ضره لو أجاني   كما عناني   شُغْلي به وعَنَاني[37]

فانه ابتدأ بالغزل، ثم خرج إلى المدح، ثم ختمَ بالغزل.

والموشحاتُ يعمل فيها ما يُعْمَلُ في أنواع الشعر من الغزل والمدح والرثاء والهجْو والمجُون والزُّهد، وما كان منها في الزهد يقال له المكفّر، والرسمُ في المكفّر خاصةً أن لا يعملَ إلا على وزن موشح معروف، وقوافي أقفاله، ويختم بخرجة ذلك الموشح، ليدُلَّ على أنه مكفره [38] ومستقيل ربّه عن شاعره، ومستغفره..»

من «المقتطف من ازاهر الطرف»
لابن سعيد المغربي

هذان طرازان كان الابتداءُ بعملهما من المغرب، ثم ولعَ بهما أهلُ المشرق. وسيُذْكَرُ ما يسع المكانُ من ذلك.

فأمّا الموشحات فقد ذكر الحجاريُّ في كتاب المسهب في غرائب المَغْرب [1] أنّ المخترع لها بجزيرة الأندلس مُقَدّمُ بن معافَى القَبْرى، من شعراء الأمير عبد الله بن المرواني، وأخذ عنه ذلك أبو عمر بن عبد ربّه صاحب كتاب العقْد، ولم يظهر لها مع المتأخرين ذكر، وكسدَتْ موشحاتُهما، وكان أولَ من برع في هذا الشأن بعدهما (ابن) عبادةَ القزّاز شاعرُ المعتصم بن صمادح، صاحب المريّة.

وقد ذكر الأعلمُ البطليوسي [2] أنه سمع أبا بكر بن زُهْر [3] يقول: كلُّ الوشاحين عيال على عبادة القزاز فيما اتفق له من قوله:

بدرُ تمْ — شمسُ ضُحى — غصنُ نقا — مسكُ شَمّ
ما أتمّ — ما أوضحا — ما أورقَا — ما أنَمّ
لا جَرَمْ — مَنْ لَمَحَا — قد عشقا — قد حُرِمْ

وزعموا أنه لم يشُق غبارَه وشاحٌ من معاصريه، الذين كانوا في زمن الطوائف، وجاء مصلّيا خلفه منهم ابن ارفع رأسه شاعر المأمون برت ذي النُّون، صاحب طليطلة. قالوا: وقد أحسن في ابتدائه في الموشحة التي طارت له حيث يقول:

العودُ قد ترنّمْ
بأبدع تلحين
وشفّت المذانبْ
رياضَ البساتين

وفي انتهائه حيث يقول:

تخطر ولش [4] تسلّم
عساك المأمونْ
مروع الكتائبْ
يحيى بن ذي النُّونْ

ثم جاءت الحلبة التي كانت في مدة الملثمين، فظهرت لهم البدائع، وفرسا رهان حلبتهم الأعمى التطيلي ويحيى بنَ بقى.

(وللتطيلي من الموشحات المذهبة قوله:

كيف السبيلُ إلى صبري وفي المعالم أشجانُ

والركبُ وسطَ الفلا بالخُرّد النواعم قد بانوا [5]

سمعتُ غير واحد من أشياخ هذا الشأن بالأندلس [6] يذكرون أن جماعةً من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية، فكان كل واحد منهم قد صنع موشحةً، وتأنق فيها، فقدموه للإنشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:

ضـــاحـــكٌ عـــن جُـــمـــانْ

ســـافـــرٌ عـــن بـــدر

ضـــاقَ عـــنـــه الـــزّمـــانْ

وحـــــــواه صـــــــدري

خرّق ابنُ بقى موشحَتَهُ، وتبعه الباقون.

وسمعتُ الأعلمَ البطليوسي يقول أنه سمع ابنَ زهر يقول: ما حسدتُ وشّاحا على قول إلا ابن بقى حين وقع له:

أما تَرى أحمد في مجده العالى لا يُلْحَق

أطلَعه الغربُ [7] **فأرنا مثله يا مشرقُ**

وكان في عصره من الوشاحين المطبوعين الأبيض. وكان في عصرهم أبو بكر ابنُ باجة، صاحبُ التلاحين المشهورة. ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى على إحدى قينات ابن تيفلويت موشحة فيها:

جَـــرّر الـــذيـــلَ أيمـــا جـــرّ

وصـــل الـــسُّـــكـــر مـــنـــك [8] **بـــالـــسُّـــكـــر**

طرب الممدوح، ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين [9]:

عـــقـــدَ الـــلـــهُ رايـــة الـــنـــصـــر

لأمـــيـــر [10] **الـــعُـــلا أبـــى بـــكـــر**

صاح: وأطرباه وشقّ ثيابَهُ[11]. وقال: ما أحسن ما بدأت به وما ختمتَ.

وحلَفَ بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذّهب، فخاف الحكيمُ سوءَ العاقبة فاحتال بأنّ جعل ذهباً في نعله ومشى عليه.

وأخبرني أبو الخَصيب [12] بن زُهر أنه لما جرى في مجلس أبي بكر بن زُهَر ذكْرٌ لأبي بكر [13] الأبيض الوشّاح المتقدم الذكر غضّ [14] منه أحد الحاضرين فقال: كيف تَغُضّ ممن يقول [15]:

مـــا لـــــذّ لـــــي شــــربُ راحْ
عـــلـــى ريـــاض الأقـــاحْ
لــولا هــضــيــيــمُ الــوشــاحْ
إذ انــثــنــى فــي الــصَّــبــاحْ
أو فــي الأصــيــلْ
أضــحَــى يــقــولْ
مـــا لــلــشَّــمــولْ
لَــطَــمَــتْ خَــدّي
ولــلــشّــمــالْ
هــبّــت فــمــالْ
غــصــنُ اعــتــدالْ
ضــمّــه بُــرْدى
ممــا أبــادَ الــقُــلــوبــا
يمــشــي لــنــا مــســتــريــبــا
يــا لحــظَــه زدْ ذنــوبــا
ويــا لمــاه الــشّــنــيــبــا
بَــرّدْ غــلــيــلْ
صــبّ عــلــيــلْ
لا يــســتــحــيــل
فــيــه عــن عــهــدي
ولا يــــزالْ
فــي كــلّ حــالْ
يــرجــو الــوصــالْ
وهــو فــي الــصــدّ [16]

واشتهر بعد هؤلاء في صدر دولة الموحدين-أعزهم الله-محمدُ بن أبي الفضل بن شرف. قال المُسنّ بن دوَّر يدّه [17] رأيتُ حاتمَ بن سعيد يقبل رأسه على هذه البدأة:

شـــمـــسٌ قـــارنَـــتْ بـــدراً

كـــاسٌ ونـــديمْ [18]

وابن هردوس الذي له:

يـــا لـــيـــلـــة الـــوصـــل والـــسّـــعـــود

بـــالـــلـــه عـــودي

وابن مؤهل الذي له:

مـــا الـــعـــيـــد فـــي حُـــلَّـــة وطـــاق

وشـــمّ طـــيـــب

وإنمـــا الـــعـــيـــدُ فـــي الـــتـــلاقـــي

مـــع الحـــبـــيـــب

وأبو إسحاق الزويلى [19]. سمعت أبا الحسن سهل بن مالك يقول إنه دخل على ابن زُهّر وقد أسَنّ، وعليه زيُّ البادية، إذ كان يسكنُ بحصن استبه، فلم يعرفه، فجلس حيث وَجَد، وجرت المحاضرةُ أن أنشدَ لنفسه موشحةً وقع له فيها:

كُحْلُ الدُّجى يجري	**في مقلة الفَجْر**	**على الصباحْ**
ومعْصَمُ النّهر	**في حُلَل خُضْر**	**من البطاحْ**

فتحرك ابنُ زُهّر، وقال: أنت تقولُ هذا؟ قال: اختبر، قال: ومَنْ تكون؟ فعرفه، فقال ارتفع، فوا لله ما عرفتُكَ.

وسابق الحلبةَ التي أدركت هؤلاء [20] أبو بكر بن زُهّر، وقد شرقتْ موشحاتُه وغرّبتْ. وسمعت أبا الحسن المذكور يقول لابن زُهر: لو قيل لكَ ما أبدعَ ما وقع لك في التوشيح ما كنت تقولُ؟ قال: كنت أقول مما استحسنه من قولي، وأرتضيه منْ نظمي:

ما للمولّه	**من سُكره لا يفيقْ**	**يا له سكْرانْ** [21]
من غير خمر	**ما للكئيب المشوقْ**	**يكذبُ الأوطانْ** [22]
هل تستعاد	**أيامُنا بالخليجْ**	**ولياليـنا**
إذ يستفادْ	**من النسيم الأريج**	**مسكُ دارينا**

وإذ يكاد حُسْنُ المكان البهيج أن يحيينا
نهرٌ أظلّه دوحٌ عليه أنيقْ مورق [23] فينانْ
والماء يجري وعائم وغريقْ منْ جنى الرّيحان

واشتهر معه ابن حنون [24] الذي له:

يُـــفَـــوّق ســـهـــم [25] كـــلّ حـــين
بمـــا شـــئـــت مـــن يـــد وعـــين
ويـــنـــشـــدُ فـــي الـــقـــضـــيـــتـــين [26]
خـــلـــقـــتْ مـــلـــيـــح عـــلـــمـــت رامـــى
فـــلـــســـن نـــخـــل ســـاع مـــن قـــتـــَـــال
ونـــعـــمـــل بـــذي الـــعـــيـــنـــين مـــتـــاع
مـــا تـــعـــمـــل ادى [27] بـــالـــنّـــبـــالْ

واشتهر معهما في العصر [28] بغرناطة المهرُ بن الفرس. ومن المشهور أن ابن زهر لما سمع قوله:

لـــلـــه مـــا كـــانَ مـــن يـــوم بـــهـــيـــج
بـــنـــهـــر حـــمـــص عـــلـــى تـــلـــك المـــروج
ثـــم انـــعـــطـــفـــنـــا عـــلـــى فـــم الخـــلـــيـــج
نـــــفـــــض مـــــســـــكَ الخـــــتـــــام
عـــــن عـــــســـــجـــــدى المُـــــدَام
ورداءُ الأصـــــــــــــيـــــــــــــلْ
تـــــطـــــويـــــه كـــــف الـــــظـــــلام

قال: أين كنّا نحن عن هذا الرداء !

وكان معه في بلده مطرفُ. أخبرني والدي [29] أنه دخل على ابن الفرس المذكور، فقام له وأكرمه، فأشار عليه بألا يفعلَ، فقال [30] كيف لا أقوم لمن يقول:

قـــــلـــــوبُ تـــــصـــــابـــــتْ [31]
بـــــألحـــــاظ تـــــصـــــيـــــبُ

فـــقـــل كـــيـــف تـــبـــقَـــى
بـــلا وَجْـــد قـــُـلـــُـــوب (32)

واشتهر بعد هؤلاء (33) ابن حزمون بمرسية أخبرني ابن الدارس أن يحيى الخزرج (34) دخل عليه في مجلس فأنشده مرشحةً لنفسه، فقال له ابن حزمون: ما الموشحُ بموشح حتى يكون عارياً عن التكلف. قال: على مثال ماذا؟ قال: على مثال قولي:

يـــا هـــاجـــري هـــل إلـــى الـــوصـــال
مـــنـــك ســـبـــيـــل؟
أو هـــل يـــرى عـــن هـــواك ســـالـــي
قـــلـــبـــي الـــعـــلـــيـــل؟ (35)

(وأبو الحسن سهل بن مالك بغرناطة. كان والدي (36) يعجب بقوله:

إنّ ســيــلَ الــصّــبــاح فــي الــشَّــرق
عــادَ بــحــرا فــي أجــمــع الأفــق
فــتــداعــت نــوادبُ الــوُرق
أتُــراهــا خــافــت مــن الــغَــرق
فــبــكــت ســحــرة عــلــى الــوَرَق) (37)

واشتهر في اشبيلية أبو الحسن بن الفضل. قال والدي (38): سمعت أبا الحسني بن مالك يقول: يا ابنَ الفضل لك على الوشاحين بقولك الفضل:

واحـــســـرتـــا لـــزمـــان مـــضـــى
عـــشـــيـــةَ بـــان الـــهـــوى وانـــقـــضـــى
وأفـــردتُ بـــالـــرغـــم لا بـــالـــرضـــا
وبـــتُّ عـــلـــى جـــمـــرات الـــغَـــضـــا
أعـــانـــقُ بـــالـــوهـــم تـــلـــك الـــطـــلـــول
وألـــثـــم بـــالـــفـــكـــر تـــلـــك الـــرَّســـوم (39)

وسمعت أبا بكر الصابوني ينشد للأستاذ أبي الحسن الدّباج موشحات له غير ما مرة، فما سمعته قال: لله درك، إلا في قوله:

قــســمــاً بــالــهــوى لــذي حــجْــر
مــا لــلــيــل المَــشُــوق مــن فَــجْــر
جــمــدَ الــصــبــحُ لــيــس يــطــردُ
مــا لــلــيــلــي فــيــمــا أظــنُّ غــدُ
صــحَّ يــا لــيــل أنــك الأبَــدُ
أو فــقــصّــت قــوادمُ الــنــسْــر
أم نجــوم الــســمــاء لا تَــســْرى (40)

ومن محاسن موشحات ابن الصابوني قوله:
مــا حــالُ صــبّ ذي ضــنــا واكــتــئــاب
أمــرضــه-يــا ويــلــتــاه-الــطــبــيــبْ
عــامــلــه مــحــبــوبُــه بــاجــتــنــاب
ثــم اقــتــدَى فــيــه الــكــرى بــالحــبــيــبْ
جــفــا جــفــونــي الــنــوم لــكــنــنــي
لــم أبــكــه إلا لــفــقــد الخــيــالْ
وذا الــوصــال الــيــوم غــرّنــي
مــنــه كــمــا شــاء وشــاء الــوصــالْ
فــلــســتُ بــالــلائــم مَــنَ صــدّنــي
بــصــورة الحــقّ ولا بــالمحــالْ (41)

واشتهر ببر العُدْوة ابنُ خلف الجزائري، صاحب الموشحة المشهورة التي أولها:
يدُ الإصباح قدحت زناد (42) الأنوار في مجامر الزّهر

واشتهر ابن خزر البجائي (43)، صاحب الموشحة المشهورة:
ثــغــرُ الــزمــان المــوافــقْ
حــيّــاك مــنــه بــابــتــســامْ (44)
وأما المشارقة فالتكلف ظاهر على ما عانوه من الموشحات، وأحسن ما وقع لهم من ذلك موشحة ابن سناء الملك المصري التي أولُها:

حــبــيــبــي ارفــعْ حــجــابَ الــنــور
عــــــن الــــــعــــــذار
يــقــطــر بمــســك عــلــى كــافــور
فــــي جُــــلّــــنــــار [45]

توشيح التوشيح
لصلاح الدين الصفدي (ت 764 هـ)

فصل لا بأس بإيراده:

الموشح فن تفرد به أهلُ المغرب، وامتازوا به على أهل المشرق، وتوسعُوا في فنونه، وأكثروا من أنواعه وضروبه. وقيل إن أولَ مَنْ نظم الموشحات بالمغرب الإمام أحمد بن عبد ربّه صاحب كتاب العقد. وقال ابن بسام: أول من صنع أوزان هذه الموشحات بأفقنا، واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد بن محمود القَبْري الضرير وقيل: ابن عبد ربه. ثم نشأ يوسفُ بن هارون الرّمادي وأكثر منها[1]. قال الأستاذ الأديب أبو الحسن علي بن سعد الخير[2] رحمه الله تعالى، من جملة كلام:

ووجدنا بعض المتأخرين كمهيار الديلمي وأبي محمد القاسم الحريري وغيرهما قد استنبطوا من تلك الأعاريض أقساما مؤلفة على فقر مختلفة، وقواف مؤتلفة قلتُ: يعني بذلك أشعارَ العرب في أبحر العروض قال: وسمّوها ملاعب. واستنبط منها أيضا أهل الأندلس ضربا قسموه على أوزان مؤتلفة، والحان مختلفة، وسموه مُوشّحا، وجعلوا ترصيع الكلام، وتنميقَ الأقسام توشيحاً، وكانوا أولَ من سَنّ هذه الطريق ونهجه، وأوضح رسمه ومنهجه. انتهى.

قلتُ: ورسمُ الموشح هو: كلامٌ منظومٌ، على قدر مخصوص، بقواف مختلفة [3] قال القاضي السعيد ابن سناء الملك رحمه الله تعالى: وهو ما يأتلف... الخ.

المركبُ من سبعة أجزاء مثاله: [4] من شاني.. عن شاني.. به جَفْني.. قد استعبَرْ وقد عبّر.. عن المضمرْ.. بما عندي. وقد ينتهي في التركيب إلى اثني عشر جزءا.. الخ.

قال (ابن سناء الملك): وفي المتأخرين من يعجز عن الخرجة فيستعيرُ خرجةَ غيره، وهو أصوب رأيا مما لا يوفق في خرجته بأن يُعْرِبَها، ويتعاقل ولا يلحن، فيتخافف بل يتثاقل.

قلت:

هذه الشروطُ التي شرطَها في الخرجة قلَّ من يلتزمُها لتعذرها عليه،

فهو إما أن يتركها، وإما أن يأتي بها خارجة عن هذه الشروط. وقد رأيتُ السّراج المحار، وأحمد بن حسن الموصلي، والشيخ صدر الدين بن الوكيل والشهابَ العزازيّ وغيرهم من المعاصرين والمتأخرين قبلهم لم يأت أحدٌ منهم بخرجة، وإن أتى بها كانت غيرَ داخلة.

وستقف في هذه الموشحات التي أوردتها من كلامي، وفي بعضها خرجاتٌ إن أنت أنصفتَها عرفت أين تقع من شروط ابن سناء الملك رحمه الله تعالى. و (أما) أنا فقد ارتكبت فيهما مزلتين، وسلكت فيها زلقين، لأنني غالبُ ما نظمتُه على وزن من تقدمني، وأتيت فيه بخرجة غير خرجته، وهذا فهو من أصعب ما يكونُ، لأن الوشّاحين يحصلون الخرجة أولا ثم ينظمون الموشح على وزنها وقافيتها و (أما) أنا فأحتاج إلى أنْ التزمَ بذلك الوزن الذي تقدمني وبقوافيه، وأجئ مع ذلك بالخرجة الداخلة، وهذان أمران مشقّان إلا على من أيّده الله بمعونته.

فصل: ممَنْ سبق إلى التوشيح، وسبق إلى الغاية من أهل المغاربة جماعةٌ، وهم:

عبادة بن ماء السماء، وأبو بكر محمد بن عبادة القزّاز وعبادة بن محمد ابن عبادة الأقرع، و يليهم في الإجادة أبو العباس التطيلي، وأبو بكر بن بَقى، وأبو بكر الأبيض الشاعر وابن عبد ربّه صاحب كتاب العقْد، وأبو بكر بن اللبانة وأبو عبد الله محمد بن رافع رأسه، وأبو الحسن علي بن عبد الغني الحُصّري، وأبو عبد الله محمد بن الحسن البطليوسي الكُميت، وأبو عبد الله محمد بن شرف، وأبو القاسم المنيشي، والوزير أبو بكر يحيى بن الصيرفي وأبو الوليد يونس ابن عيسى المُرْسي الشاعر الخباز، وأبو بكر السَّرقُسْطي الجزار، وابن الفرس والوزير أبو عيسى بن لبون، والوزير المشرف أبو بكر بن رحيم، والوزير أبو عامر ابن ينق والوزير أبو بكر محمد بن زُهرْ الحفيد والوزير الكاتب أحمد بن مالك السَّرَقُسْطي وابن حمديس، وأبو بكربن ملّوك القرطبي، وابن جاخ الصباغ، وأبو الحسن علي بن الحسن بن علي بن معبد القرشي المعروف بتلل الغد، وابن هانئ الأصغر وذو الوزارتين ابن عمّار، وابن أبي الرجال، وابن الزّقاق، وأبو الحكم مالك بن عبد الرحمن المرحل، وإبراهيم بن سهل الإسرائيلي.

ومن أهل الديار المصرية [5]: القاضي السعيد هبة الله بن سناء الملك

وهو حامل راية هذه الصناعة والناسُ عليه فيها عيال ونصر الله بن قلاقس الإسكندري والأسعد بن مماتي، وابن وزير، وابن منجم، والسراج الوراق، وابن سعيد ابن المغربي... الخ. (6)

أهم المصادر والمراجع

أولا: المخطوطات:

ابن اياس: الدر المكنون في السبع فنون. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.

ابن تغرى بردى: المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.

ابن سناء الملك: فصوص الفصول وعقود العقول. مخطوطات دار الكتب بالقاهرة وخزانة الأزهر والمكتبة الوطنية بباريس.

ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار. مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس.

الدرويش: العقيدة الدرويشية في السبع فنون الأدبية. مخطوطة المكتبة المركزية جامعة الملك عبد العزيز-بمكة المكرمة.

السلفى: معجم السفر نسخة حققها شير محمد زمان (لم تنشر بعد)

الصفدي: الوافي بالوفيات، 30 مجلدا، مصوره عن مخطوطات الزيتونة واستامبول والمتحف البريطاني.

النواجي: عقود اللآل في الموشحات والأزجال. مخطوطة الاسكوريال

مجهول: الكواكب السبع السيارة. مصورة عن مخطوطة الخزانة الظاهرية بدمشق.

ثانيا: مصادر

الابشيهي: المستطرف في كل فن مستظرف. جزءان. القاهرة 1952.

ابن الأبار: الحلة السيراء. تحقيق د. حسين مؤنس. القاهرة 1963.

ابن الأبار: التكملة لصلة الصلة. جزءان. القاهرة 1955

ابن الأحمر (إسماعيل بن يوسف): نثير الجمان: (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن). تحقيق. محمد رضوان الداية، بيروت 1976

ابن أبي أصيبعة: عيون الأنباء في طبقات الأطباء. تحقيق د. نزار رضا،

بيروت 1965

ابن الخطيب: (لسان الدين) : جيش التوشيح. تحقيق هلال ناجي، تونس 1967

ابن الخطيب: الكتيبة الكامنة في من لقيناه بالأندلس من شعراء المائة الثامنة. تحقيق د. إحسان عباس، بيروت 1963 ابن الخطيب: الإحاطة في أخبار غرناطة. تحقيق محمد عبد الله عنان. القاهرة 73- 1974

ابن الخطيب: نفاضة الجراب في علالة الاغتراب. تحقيق د. أحمد مختار العبادي القاهرة لا تاريخ.

ابن بسام: الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة. صدر منه بإشراف لجنة من العلماء القسم الأول في مجلدين، ثم المجلد الأول من القسم الرابع القاهرة 1939- 1945.

القسم المجلد الأول من القسم الثاني تحقيق د. أحمد لطفي عبد البديع القاهرة 1975.

ابن بشكوال: الصلة. جزءان، القاهرة 1966

ابن خاتمة: ديوان تحقيق د. محمد رضوان الداية. دمشق 1972م

ابن خاقان: قلائد العقيان في محاسن الأعيان. تونس 1966

ابن خلدون: المقدمة ط. كاتر مير 3 أجزاء باريس 1858

ابن خلكان: وفيات الأعيان 6 أجزاء، ط. محيي الدين عبد الحميد القاهرة 1948

ابن دحية: المطرب من أشعار أهل المغرب. تحقيق الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي. القاهرة 1954

ابن الزقاق: ديوان. تحقيق عفيفة ديراني بيروت 1965

ابن زيدون: ديوان تحقيق علي عبد العظيم. القاهرة 1957

ابن سعيد (المغربي) المغرب في حلى المغرب (قسم الأندلس) جزءان تحقيق د. شوقي ضيف. القاهرة 1964

ابن سعيد (المغربي) رايات المبرزين وغايات المميزين. تحقيق د. النعمان عبدا لمتعال القاضي القاهرة 1973

ابن سعيد (المغربي): المقتطف من أزاهر الطرف. قسم منه نشره د. عبد العزيز الأهواني ضمن «أعمال مهرجان ابن خلدون» القاهرة 1962

ابن سناء الملك: دار الطراز في عمل الموشحات. تحقيق. جودت الركابي، دمشق 1949.

ابن سهل (الاشبيلي): ديوان. تحقيق د. إحسان عباس بيروت 1967

ابن شاكر (الكتبي): فوات الوفيات ط. محيي الدين عبد الحميد، جزءان القاهرة 1951

ابن عبد ربه: العقد الفريد. تحقيق أحمد أمين-أحمد الزين-إبراهيم الابياري ط 3 القاهرة.

ابن عربي: ديوان. طبعة حجر. بومباي.

ابن قتيبة: الشعر والشعراء. تحقيق د. خويه. ليدن 1902

ابن المعتز: ديوان. ط. صادر بيروت 61، وطبعة دمشق 1371، والقاهرة 1891

ابن المعتز: شعر عبد الله بن المعتز، صنعة أبي بكر الصولي. تحقيق استامبول 1950

الأصفهاني (أبو الفرج): الأغاني ط. دار الكتب.

الأصفهاني (عماد الدين): خريدة القصر وجريدة العصر تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم (قسم المغرب والأندلس) القاهرة.

امرؤ القيس: ديوان تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم. القاهرة

الباقلاني: أعجاز القرآن. تحقيق أحمد السيد صقر ط 3 القاهرة 1973

التبريزي: الوافي في العروض والقوافي. تحقيق د. فخر الدين قباوة وعمر يحيى. بيروت 1975

التطيلي: (الأعمى) ديوان تحقيق د. إحسان عباس. بيروت 1963

الثعالبي: يتيمة الدهر في محاس أهل العصر، 4 أجزاء. القاهرة 1947

الحلى (صفى الدين): العاطل الحالي والمرخص الغالي. تحقيق هونر باخ ويسبادن 1955

السفلي: أخبار وتراجم أندلسية، مستخرجة من معجم السفر اختارها د. إحسان عباس بيروت 1963

الصفدي: الوافي بالوفيات. الأجزاء المطبوعة (من1- 9)

الصفدي: توشيع التوشيح تحقيق. البير مطلق. بيروت 1963

الضبي: بغية الملتمس ط. مجريط 1884 م

الغبريني: عنوان الدراية. تحقيق عادل نويهض. بيروت 1969
القفطي: المحمدون من الشعراء. تحقيق محمد معامري. الرياض 1970
المرزباني: الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء. القاهرة 1385 هـ
المعري: رسالة الغفران تحقيق د. بنت الشاطئ ط ه القاهرة 1969
المقري: أزهار الرياض في أخبار عياض، 3 أجزاء بتحقيق السقا والابياري وشلبي. القاهرة 1939- 1942
المقري: نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب. طبعة محيي الدين (10 أجزاء) وطبعة إحسان عباس (8 أجزاء).
ياقوت (الحموي): إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب (معجم الأدباء) نشر دار المأمون بالقاهرة.
مجهول: العذارى المائسات في الأزحال والموشحات. اختيار فيليب قعدان الخازن. جونية 1902

ثالثا: مراجع عربية:

الأهواني: (د. عبد العزير) الزجل في الأندلس. القاهرة 1957
أنيس: (د. إبراهيم) موسيقى الشعر. الطبعة الثانية. القاهرة
البستاني (بطرس): أدباء العرب في الأندلس وعصر الابتعاث ط 1 بيروت 1968
الجراري (د. عباس): القصيدة (الزجل في المغرب) الرباط 1970
الركابي (د. جودت) في الأدب الأندلسي. القاهرة 1960
الريسوني (محمد المنتصر): الشعر النسوي في الأندلس. بيروت 1978
الزرقي (الصادق): الأغاني التونسية تونس 1967
الزركلي: (خير الدين) الأعلام ط 3
الشكعة: (د. مصطفى) الأدب الأندلسي: موضوعاته وفنونه. بيروت 1974
ضيف (د. شوقي): العصر العباسي الأول ط 3. القاهرة الفن ومذاهبه في الشعر العربي ط 4 القاهرة 1960
الطنجي (محمد تاويت): ومحمد الصادق عفيفي: الأدب المغربي. بيروت 1960

الطيب (د. محمد عبد الله): المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها جـ 1 القاهرة 1955

عباس (د. إحسان): تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) بيروت 1960

عباس (د. إحسان): تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) بيروت 1962

عنانى(د محمد زكريا): نشأة فن التوشيح بالمشرق. مستلة من مجلة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية (مكة المكرمة) العدد الثاني

غومس (اميليو غرسية): الشعر الأندلسي. ترجمة د. حسين مؤنس، ط 3 القاهرة 1969

غومس (اميليو غرسية): مع شعراء الأندلس والمتنبي ترجمة د. الطاهر مكي القاهرة 1974

كراتشكوفسكي: الشعر العربي في الأندلس القاهرة 1971

كرامة (بطرس): الدراري السبع (الموشحات الأندلسية) بيروت 1864

كيلاني (كامل): نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي. القاهرة 1924

الكريم: (د. مصطفى عوض) فن التوشيح. بيروت 1959

هدارة (د. محمد مصطفى): اتجاهات الشعر في القرن الثاني الهجري. القاهرة 1969

هيكل (د. احمد): الأدب الأندلسي القاهرة ط 6, 1971

يافيل: مجموع الأغاني من كلام أهل الأندلس. الجزائر 1904

يلس (جلول) والحفناوي امقران: الموشحات والازجال. جزءان، الجزائر 1972

رابعاً: مراجع أجنبية:

Blachere (R,): Le Vizir Poete Ibn Zumruk et son oeuvre.

Annales de L,Institut d,Etudes Orientales. II 1936.

Gomez (Emilio Garcia): Estudio del Dar at-Tiraz-Preceptiva Egipcia de la Muwassaha. Al-Andalus. Vol xxvii(1962) pp.21- 104.

Hartmann (M.) Das Arabische Strophengedicht. Das

Muwassaha,Weimar, 1897.

Jargy (S.) la poesie populaire traditionnelle chantee au Proche-Orient,

Paris, La Haye, 1970.

Levi-Provencal: Islam d,Occident. Paris,1948.

Menendez Pidal: Poesia arabey poesia evropa-Madrid, 1941.

Nykl (A.R.): Hispano-Arabic Poetry. Baltimore. 1946.

Pellat (Ch.): Langues et Literature arabes, Paris 1952.

Peres (H.) La poesie andalouse en arabe classique au xle. Siecle. Paris

1953.

La poesie arabe d,Andalousie et ses relations

Possibles avec la poesie des Troubadours. Le Cahiers du sud, 1974.

Stern (S.N.) Hispano-Arabic strophic Poetry, Oxford 1974.

Les Vers Finaux (Kharjas) en espanol dan les Muwassaha arabes et

hebreux, Oxford,1964.

Les chansons mozarabes, Palerme 1953.

الهوامش

القسم الاول

(*) للمزيد من التوسع في هذه النقطة يرجع إلى كتاب ومقالة DAs Muwassah: Hartmann (موشح) في دائرة المعارف الإسلامية (بقلم بن شنب) والفصل الأول من كتاب Stern: Hispano-Arabic Strophic poetry و «مصادر الدراسة الأدبية» لداغر ص 239- 244، ومقالنا عن ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز في «الثقافة» القاهرية أغسطس 1978.

(1) هذا الكتاب واحد من أهم مصادر الأدب الأندلسي، وانظر عنه فصلا جيدا في كتاب د. الطاهر مكي «دراسة في مصادر الأدب» جـ 2 ص 301- 365، ودراسة في مجلة كلية الآداب بغداد العدد 14 (1970- 71) وفي كتاب د. الشكعة: «مناهج دراسة الأدب العربي» ومقال لحازم عبد الله خضر في «أدب الرافدين» العدد 5 (1974) ونشرنا في ملحق التراث بجريدة «المدينة» سلسلة من المقالات بعنوان «ابن بسام وكتابه الذخيرة» اعتبارا من 4 جمادى الأخرى 1396هـ.

(2) يتضمن كتاب «المطرب» (ومنه ثلاث طبعات: الأولى بتحقيق الابياري وحامد عبد المجيد وأحمد بدوي، والثانية بتحقيق د. السيد مصطق غازي، والثالثة بتحقيق د. مصطفى عوض الكريم) معلومات هامة عن عدد كبير من الوشاحين مثل الرمادي وابن الزقاق وابن اللبانة وابن بقى، ولكنه لا يذكر شيئا من موشحاتهم، ولم يتضمن إلا موشحين لأبي بكر بن زهر (شيخ ابن دحية).

(3) نشر د. عبد العزيز الاهواني فصلة من هذا الكتاب، طبعت ضمن أعمال «مهرجان ابن خلدون» المنعقد بالقاهرة 1962 من 473- 487.

(4) كانت من هذا الكتاب مخطوطة وحيدة في حوزة المستشرق الفرنسي جورج كولان، اعتمد عليها عدد من العلماء في بحوثهم عن الخريجات، منهم جومث والاهواني وشترن. وقد أخبرنا كولان منذ سنين انه كان أعار الكتاب إلى شترن، ثم توفي هذا، ولم يتمكن من استرداد المخطوطة، ولا يعرف مصيرها الآن.

(5) اعتمد المقري في «النفح» على «مدد الجيش» في أكثر من موضع، ويذكر د. الجراري في «موشحات مغربية» ص 241 أن بالمكتبة الناصرية بسلا أوراقا يظن إنها من «مدد الجيش».

(6) هناك أعمال أخرى متفرقة تجدها مذكورة في قائمة مصادر ومراجع كتاب المذكورة آنفا ص 67 وما بعدها ومن أهم هذه الأعمال كتاب لمحمد بن زاكور د. عباس الجراري «موشحات مغربية»

ص 235- 250 وفي كتاب شترن «الروض الأريض في بديع التوشيح ومنتقى القريض»-مخطوطة بالرباط-ومجموعات عديدة تتضمن موشحات وأزجالا مما كان (وربما لا يزال) يتغنى به، ومن أشهر هذه المجموعات مجموعة الحايك (انظر عنها كتاب شترن الذي ذكرناه ص 69) ومجموعة أخرى ليافيل، طبعت بعنوان «مجمع الأغاني والألحان من كلام الأندلس» وانظر كذلك مجموعة «الأغاني التونسية» للرزقي، ومجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران.

(7) ذكر الصفدي في «الوافي بالوفيات» جـ 4 ص 278 أن لابن الوكيل «ديوان موشحات» وجاءت العبارة نفسها في «المنهل الصافي»، لابن تغرى بردى-مخطوطة باريس جـ 5 ورقة 190 بينما يورد حاجي خليفة في كشف الظنون أن لابن الوكيل كتابا عنوانه طراز الدار.

(8) يراجع ما نشرناه في ملحق التراث بجريدة المدينة المنورة تحت عنوان (9) النواجي وكتابة عقود اللآلئ في الموشحات والأزجال «بالعددين رقم 3949 , 3956 (1397 هـ)

(9) تتضمن هذه المجموعة اكثر من ستين نصا معظمها من الموشحات وفيها كثير من الموشحات المشرقية مما جعلنا نرجح أن جامعها مشرقي، أما شتيرن في دراسته التي ذكرناها قبلا (ص 69) فذكرها ضمن ما كتب عن الموشحات في شمال إفريقية.

(10) هناك مصادر أخرى يمكن الرجوع إليها، منها-على سبيل المثال-مخطوطة بعنوان «الكواكب السبع السيارة» (محفوظة في المكتبة الظاهرية بدمشق ولدينا منها ميكروفيلم) تتضمن موشحان لابن سهل: وابن الخطيب.. الخ وانظر كذلك المجموعة التي نشرها بطرس كرامة بعنوان: «الدراري السبع، أي الموشحات الأندلسية»، وتتكئ في مجموعها على المخطوطة المذكورة.

(1) ديوان ابن المعتز (ط. بيروت 1931)، وفي كل من «العذارى المائسات» ص 5 «وروض الأدب» للحجازي (واعتمدنا هنا على ما ذكره د. الكريم في «فن التوشيح»، ص 96 ويرجع إلى مخطوطة المتحف البريطاني) وفي هذين المرجعين يجيء النص مذبذب النسبة بين كل من ابن زهر (الأندلسي) وابن المعتز. ويراجع في ذلك المقال طه الراوي: «وهم شائع: موشحة ابن زهرلا موشحة ابن المعتز «في مجلة الرسالة» (1942) ص 464، وكتاب بطرس البستاني «أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث» ط 6 ص 65، ودراستنا عن نشأة فن التوشيح بالمشرق «مجلة كلية الشريعة جامعة الملك عبد العزيز ص 325 وما بعدها وكتاب د. عباس الجراري «موشحات مغربية» ص 43 وما بعدها.

(2) «نظرات في تاريخ الأدب الأندلسي» ط القاهرة 1924 ص 227.

(3) ص 73، وابن سناء الملك لم ينسب الموشحة لقائل بعينه، ولكنه ذكرها ضمن ما اختار من موشحات أهل الأندلس.

(4) ج 1 ص 267 (قسم الأندلس).

(5) ج 7 ص 22 (ط. سنة 1923).

(6) ج 40 ص 40.

(7) مخطوطة الاسكوربال، ورقة 5 ظ (ولدينا مصورة منها).

(8) ص 204 وما بعدها (ط. الابياري وزملائه).

(9) ط بيروت 1974 ص 302.

(10) «نفح الطيب» ج 4 ص 225.

(11) «دار الطراز» ص 23 وانظر ابن سعيد في «المقتطف» ص 477 ومقدمة ابن خلدون 3/390 (ط. كارمير) والمطرب 204 (ط. الابياري) والمقري: أزهار 2/123 والمحبى في «خلاصة» 1/108...الخ.

(12) ص 118

(13) الكتاب من تأليف أحد المشتغلين بالموسيقى والغناء واسمه أحمد الدرويش، واطلعنا عن نسخة مخطوطة منه محفوظة بالمكتبة المركزية بجامعة الملك عبد العزيز (مكة المكرمة) وتحمل عنوان «العقيدة الدرويشية» وهو أفضل من «القصيدة الدرويشية» لأنه ليس قصيدة بل مجموعة من الملحوظات (في 148 صفحة) كتبت بلغة ركيكة للغاية. والنص المشار إليه يجيء في ص 26.

(14) ص 387

(1) في «لسان العرب» مادة «وشح: «الوشاح: كله حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان مخالف بينما، معطوف أحدهما على الآخر» ولعلهم استلوا المعنى من الموشحة من الظباء والشاة والطير التي لها طرتان من جانبيها».

(2) أطلقت كلمة التوشيح عند البلاغيين على طائفة من الدلالات المختلفة، منها أن يكون «مبدأ الكلام ينبئ عن مقطعه وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد عجزه «انظر العسكري في «الصناعتين»، 1/382 (ط. 1952) وابن أبي الإصبع «بديع القرآن» ص 90 (تحقيق د. حفني شرف) وابن حجة في الخزانة 1/127 (ط. بولاق) وقد يعني التوشيح «أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة، وان كانت أطول منه» انظر أسامة بن منقذ: «البديع في نقد الشعر» تحقيق: د. أحمد بدوي وحامد عبدا لمجيد (القاهرة 1960) ص 89.

(3) 1/2: 1

(4) المقدمة ط. كاترمير 3/391، وهو يتكئ هنا على ابن سعيد في «المقتطف» ص 477 ويتردد اسم «مقدم بن معافر الفريري» على هذا النحو المغلوط في مراجع عدة، وصواب الاسم: «مقدم بن معافي القبري» نسبة إلى قرية قبرة بالأندلس.
وللمزيد من التفصيلات انظر د. الركابي «في الأدب الأندلسي» ط 4 (1975) ص 287.

(5) «فوات الوفيات» ط. محي الدين (1951) ج1 ص 425، وانظر «الفوات» (ط. احسان عباس) ج 2 ص 149 (بيروت 1974) وفيها: «فأحدث» ولا معنى لها.

(6) «توشيع التوشيح» ص 20.

(7) انظر الحديث عن الخرجات.

(1) هذا النص من أجمل ما وصل إلينا من موشحات أهل الأندلس، ويرد في أكثر من مصدر، منها-على سبيل المثال: دار الطراز ص 43 (وهو أول الموشحات المذكورة في الكتاب، وجعله مثالا للموشح التام، أي الذي يتضمن القفل الأول، أو المطلع) كما يجيء في «جيش التوشيح» ص 16 و «المغرب» 2/453.
وفي «المقتطف» ص 478: «سمعت غير واحد من أشياخ هذا الشأن (شأن الموشحات) بالأندلس يذكرون أن جماعة من الوشاحين اجتمعوا في مجلس باشبيلية فكان كل واحد منهم قد صنع موشحة وتأنق فيها، فقدموا الأعمى للإنشاد، فلما افتتح موشحته المشهورة بقوله:
ضاحك عن جمان سافر عن بدر
ضاق عنه الزمان وحواه صدري
خرق ابن بقى موشحته وتبعه الباقون. والخبر في مقدمة ابن خلدون 3/392 (ط. كاترمير)

(2) لم نشأ أن نحيل هنا على صفحات مقدمة «دار الطراز» في كل موضع ذكرناها فيه حتى لا نزحم الهوامش بغير فائدة.

(3) لم يقدم ابن سناء أمثلة من الموشحات التي يحتوي فيها القفل على أكثر من ثمانية أجزاء وان كان قد ألف هو موشحة في مدح القاضي الفاضل يتركب فيها القفل من عشرة أجزاء. انظر دار الطراز ص 118.

(4) لا ينسب ابن سناء الملك الموشحات المغربية لأصحابها. وهذا النص يجيء في كل من «الوافي بالوفيات» 4/40 و «عيون الأنباء» ص 26، (تحقيق د. نزار رضا) منسوبا لابن زهر. وانظر في أمر نسبة النصوص الواردة في «دار الطراز» لأصحابها بحث د. شوقي ضيف في «الثقافة» (يناير-فبراير 1950) ودراسة ايميليو جارثيا جومث في «الأندلس» المجلد 17 (1962).

(5) ترد هذه الموشحة كذلك في «عدة الجليس» لابن بشري دون ذكر اسم مؤلفها انظر دراسة جومث عن دار الطراز ود. «الاهواني» الزجل في الأندلس ص 8 (هامش).

(6) انظر عن مصطلحات التوشيح د. مصطفى عوض الكريم: «فن التوشيح» ص 17- 38 ومقال الدكتور عبد البصير حسين «رأي في ألقاب الموشحة ونشأة فن التوشيح» بمجلة كلية الشريعة بمكة المكرمة، العدد الأول (1393- 1394هـ) ص 285- 297 ودراستنا عن ابن سناء الملك وكتابه دار الطراز وقد نشر القسم الأول في الثقافة أغسطس 1978. وانظر كتاب شترن المذكور آنفا وكتاب د. عباس الجراري: «موشحات مغربية» ص 19- 31.

(7) يذكر شترن في دراسته التي ذكرناها آنفا (ص 14) أن هناك عددا آخر من المصطلحات مثل مصطلح «راس» الذي يجيء في ديوان ابن عربي (ص 194 من ط. بولاق): «وقال أيضا في نظم التوشيح وله رأس»-ص 212 ومواضع أخرى. كذلك يرد عند أبي عربي: «وقال أيضا في نظم التوشيح ذي المنقال» ص 84.

(8) انظر ص 21 وما بعدها.

(9) ص 33

(10) ص 298 وانظر د. أحمد هيكل ص 143 من «الأدب الأندلسي» ط 6 وعنده إن القسم الذي يقع بين القفلين يسمى غصنا، وهذا ما يجيء كذلك في كتاب د. إحسان عباس: «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ط 2 ص 235، ويقول إن «اجتماع القفل والغصن التالي له يسمى دورا وبعضهم يسميه بيتا».

(11) مطلع الموشحة: أعجب الأشياء رعيي لذمام من أبي الرعيا وشاء حمامي ص 66 هي لابن بقي، كما نص ابن سناء الملك نفسه ص 31 (من المقدمة). وهناك عن الخرجات دراسات عديدة من أهمها:

. Stern; Les vers finaux kharjas en espagnole, Oxford, I964- (Stern: Les)hanson Mozarabes-

Levi Provencal: Quelques du dechiffrement des harjas Mosarabes-

.1945, ARABICA

وأهم ما بالعربية حول الموضوع:

د. الأهواني: الزجل في الأندلس ص 6- 51

(12) لم نجد تفسيرا مقنعا لكلمة «نفطيا» وقد ترجمها شترن وغيره بمعنى النفط أو البترول، ويراودنا الظن بأن المقصود بها: «نفطة» مدينة بالمغرب الأقصى من أعمال الذاب الكبير، وذكر ياقوت في «معجم البلدان» ط. بيروت 1957 ج 5 ص 296 أن «أهلها شراة اباضية، ووهبية متمردون» وهذا يناسب ما جاء من أن الشرط في ألفاظ الخرجة أن تكون «من ألفاظ العامة، ولغات الداصة».

(13) من أمثلة ذلك مما جاء في «دار الطراز:<

موشح ص 45: فزت بالأماني ما جاد بإحسان صاحب المدينة أعلى الله تمكينه.
ص 56: بني عباد بكم نحن في أعياد: وفي أعراس: لا عدمتو للناس.
=ص 64: أما ترى أحمد في مجده العالي: لا يلحق.
أطلعه الغرب
فأرنا مثله
يا مشرق.
ص 67: إنما يحيى سليل الكرام واحد الدنيا ومعنى الأنام.
ص 69: قل هل علم أو هل عهد أو كان كالمعتصم والمعتضد ملكان.

(14) ديوان ابن المعتز ط. القاهرة 1871 ص 110

(15) من الكتاب عدة مخطوطات بدار الكتب والأزهر وباريس والاسكوريال. ولدينا من هذه المخطوطة نسخة نقلتها د. سعيدة رمضان عن مخطوطة دار الكتب وقابلتها عل كل من نسختي الأزهر وباريس وعنها ننقل هنا.

(16) من الجلي أن الأمر التبس هنا على ابن سناء الملك، فالخرجات «الأعجمية» لم تكن بربرية بل كانت بلغة الرومانت.

(17) يعني هنا موشحته: «في خديك من صيراللاذ» وترد في «فصوص الفصول» كاملة وألحقها محقق «دار الطراز» بالكتاب انظر ص 135 وفي «توشيع التوشيح» للصفدي موشحة ثانية لابن سناء الملك ذات خرجة فارسية.

(18) انظر عنها: Stern: Hispano-Arabic Strophic Poetry والقسم الرابع منه «دراسات عن ابن قزمان» يتضمن تفصيلا عن أعمال الشعراء اليهود الأسبان التي كتب محاكاة للموشحات والأزجال العربية.
وفي مجلة «الشعر» القاهرية بحث بعنوان «الموشحات العبرية» د. محمد بحر عبد المجيد (يناير 1977).

(19) د. عبد العزيز الأهواني «الزجل في الأندلس» ص 48 والنص (مع اختلاف يسير) في كتاب د. إحسان عباس: «تاريخ الأدب الأندلسي» 2/239 مع نصوص خرجات أخرى، استقاها مما نشر جومث في مجلة «الأندلس» العدد 19 (1954) ص 375.

(20) تاريخ الفكر الأندلسي ص 154 نقلا عن «دفن التوشيح» ص 108

(21). 338- 303. La Lirica hispamo-arab. AL-ANDALUS. Vol.) 1956(pp—

(1) نشير هنا إلى ما يقوله د. إبراهيم أنيس في «موسيقى الشعر» ص 221: «أما أوزان الموشحات

فمنها ما نظم على الأبحر القديمة، كالرمل في غالب الأحيان، والرجز والمديد، والخفيف، والهزج، والسريع، والمتقارب، والبسيط، بل يظهر أن الموشحات قد نظمت أول ما نظمت على الأبحر القديمة، ثم تطورت أوزانها فيا بعد..» والى ما يقوله د. عبد الله الطيب في «المرشد» 1/13: «إذا تتبعت تاريخ الموشحات وجدتها بدأت بطراز من بحر الرمل وبنوع من التسميط رشيق، كما في منظومة ابن الخطيب: جادك الغيث، ومنظومة ابن المعتز «أيها الساقي» ثم جعلت أنواع الموشحات تكثر وخارفها تزيد.»
وغنى عن الذكر أن مثل هذه الآراء لا تتكئ كل مصادر يعول عليها، وقد بنيت استنادا إلى استنتاج قائم كل أن موشحات «جادك الغيث» و «أيها الساقي» ومعارضتهما من بحر الرمل.

(2) «الذخيرة» القسم الأول، المجلد الثاني ص1

(3) أبو الحسن الششتري الصوفي الأندلسي الزجال وأثره في العالم الإسلامي في «مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية» العدد 1 (السنة الأولى 1953) ص 129 وما بعدها.

(1) الفن ومذاهبه 451 (ط 4 القاهرة 1960).

(2) ص 286

(1) ص 306

(2) ص 49

القسم الثاني

(1) فوات، ص 173، والنص نفسه في «الوافي بالوفيات» للصفدي 2/189 منسوب لمحمد ابن عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح.

(2) النص في «جيش التوشيح» ص 200 ويرد في كل من «توشيع التوشيح»، وفي المغرب 1/278 الخ...

(3) ديوان الأعمى التطيلي ص 261.

(4) «دار الطراز» ص 49 ولم نستدل على اسم مؤلفها.

(5) ديوان ابن سهل ص 85، وهذا الموشح من أجمل ما خلف أهل الأندلس من أعمال، وقد ألف حوله الشروح (انظر في مخطوطات العلامة التونسي حسن حسني عبد الوهاب شرح موشح ابن

سهل (هل درى.) رقم 18031 و18677 وألفت على غراره موشحات كثيرة (أحصينا منها أكثر من خمسين موشحة، نعتزم-بإذن الله-نشر دراسة خاصة عنها) أشهرها موشحة لسان الدين بن الخطيب «جادك الغيث» التي فاقت موشحة ابن سهل في الذيوع وانظر كذلك مجموعتي «الدراري السبع» و «الكواكب السبع السيارة»-من مخطوطات المكتبة الظاهرية بدمشق-وجميع النصوص الواردة فيما على نسق موشحة ابن سهل-وانظر أيضا مجموعة بطرس كرامة «الدراري السبع» وفي «إيضاح المكنون»ج 2 ص 3 ذكر لمجموعة تحمل اسم «السبع السيارة» جمعها الصفوري الشاعر الوشاح الدمشقي المتوفى 1024 هـ.

(6) ترد في «جيش التوشيح» ص 20 وديوان الأعمى التطليلي ص 258.

(7) ديوان الأعمى التطيلي ص 277.

(1) دار الطراز ص 47 و «جيش التوشيح» ص 29.

(2) «دار الطراز»ص 45 ويرد في «الوافي بالوفيات» 4/41/ منسوبا لابن زهر. (3) ص 62.

(1) جيش التوشيح ص 94

(2) المغرب 2/103

(3) ص 13 وفيها: «قد ضمينا».

(4) جيش التوشيح ص 28

(5) جيش التوشيح ص 51

(6) نفسه ص 124

(7) نفسه ص 132

(8) نفسه ص 173

(9) نفسه ص 213

(10) فن التوشيح ص 33

(11) «الزجل في الأندلس ص 49»

(12) د. مصطفى الشكعة، «الأدب الأندلسي-موضوعاته وفنونه» (ص 428)

(13) ص 193

(1) «جيش التوشيح» ص 123 منسوبة لأبي بكر الصيرفي. أما في «المقتطف» لابن سعيد ص 478- وعنه نقل ابن خلدون في المقدمة ج 3 ص 393 فيأتي الخبر التالي: «وكان في عصره (أي في عصر ابن بقى) من الوشاحين المطبوعين الأبيض وكان في عصرهم أبو بكر بن باجة، صاحب التلاحين المشهورة ومن الحكايات المؤرخة أنه لما ألقى عليه قينات ابن تيفلويت موشحة فيها:

جرر الذيل أيما جر وصل السكر منك بالسكر

طرب الممدوح. ولما ختمها بقوله، وطرق سمعه في التلحين:

عقد الله راية النصر لأمير العلى أبي بكر

صاح واطرباه، وشق ثيابه وقال: ما أحسن ما بدأت به وما ختمت، وحلف بالأيمان المغلظة أن لا يمشي إلى داره إلا على الذهب، فخاف الحكيم سوء العاقبة، فاحتال بأن جعل ذهبا في نعله ومشى عليه.

(2) انظر د. إحسان عباس «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 218

(3) «دار الطراز» ص 38

(4) ص 131 والخرجة لا ترد هنا في صورتها الصحيحة التي تجيء في الموشح المكفر عنه (ص 89 من دار الطراز) وترد الخرجة سليمة في «العاطل الحالي» ص 12.

(5) «العاطل الحالي» ص 12.

(6) «المقتطف لابن سعيد ص 486، والنص نفسه في مقدمة ابن خلدون 409/3 ويرد فيه اسم الزجال محرفا «اليعتع» وانظر كذلك نفح الطيب (ط. محي الدين) ج 9 ص 220 وما بعدها، وفيها أن اسم الزجال: البعبع.

(7) أزهار الرياض 230/2

(8) المرجع السابق 238/2

(9) نفح الطبيب (ط. إحسان عباس) 42/1

(10) «نفح الطبيب» (ط. إحسان عباس) 280/7 و«أزهار الرياض» 205/2 وفي «أزهار الرياض» كذلك موشحة لابن أبي جمعة التلاليسي تتضمن مديحا نبويا. انظر ج 247/1.

(11) ص 201 ط. بومباي (حجر).

(12) الديوان الأكبر ص 202 وانظر تحليلا لموشحات ابن عربي في دراسة شترن المشار إليها سابقا ص 81- 91

(13) ديوان أبي الحسن الششتري ص 133.

(14) ديوان أبي الحسن الششتري ص 142.

(15) هناك موضوعات أخرى اقل قيمة لم نشأ أن نشغل القارئ بها، منها ما يسوقه المقرى في «نفح الطيب» و «أزهار الرياض»، من موشحات لابن زمرك في التهاني-وهي فرع من فروع المديح على كل حال-لكن الشاعر يركز فيها على مناسبة اجتماعية تمس الممدوح أو بعض ذويه-وفي الطرد (أو رحلات الصيد) ووصف القصور... بل إن وشاحا مثل ابن حزمون (صاحب المرثية في أبي الحملات، وقد ذكرناها عند الحديث عن الرثاء) كتب موشحات في الهجاء أوردها ابن سعيد في «المغرب» ومما هجا به القاضي القسطلي:

تخونك العينان　　　يا أيها القاضي　　　فتظلم
لا تعرف الإشهاد　　　ولا الذي يسطر　　　ويرسم

واكتفى محقق المغرب د. شوقي ضيف بالإشارة لهذه الهجائيات وأسقط نصوصها لما فيها من فحش وعرض للسوءات.

القسم الثالث

(1) التقسيمات السياسية الرئيسية بالأندلس هي:
- عصر الولاة: ويمتد من الفتح حتى استيلاء الأمير الأموي عبد الرحمن الداخل على زمام الأمور سنة 138 هـ (755 م).
- العصر الأموي: ويمتد إلى سنة 422 هـ.
- عصر ملوك الطوائف: وفيه تفككت الدولة العربية في الأندلس على أثر الضعف الذي سرى في أمراء البيت الأموي ودام عصر ملوك الطوائف إلى سنة 493 هـ (1091م).
- عصر المرابطين: ويبدأ باستيلاء يوسف بن تاشفين الصنهاجي ملك المغرب الأقصى، (والذي تسمى بأمير المسلمين) وينتمي لقبائل البربر الملثمين، وفي عهده أقيمت الخطبة لبني العباس، وامتدت هذه الدولة إلى سنة 541 هـ (1146 م).
- عصر الموحدين: وبلغ ذروة قوته في عهد الخليفة عبد المؤمن بن علي، ولكن دب فيها رويدا رويدا، ولم تعد تسيطر في منتصف القرن السابع الهجري إلا على مدينة غرناطة (بالجنوب الغربي من بلاد الأندلس).
- العصر الغرناطي: وممتد من فترة تأسيس ابن الأحمر لمملكة غرناطة إلى تاريخ استيلاء الأسبان على المدينة سنة 898 هـ (1492م).

(1) أفضل ما هناك حول الموضوع ما كتبه د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» ص2 وما بعدها، وانظر كذلك د. إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 216 وما بعدها، وبحث للأستاذ شارل بلاعن «الموشح والزجل همزة الوصل بين ثقافات مختلفة» نشر بمجلة كلية الآداب جامعة الرياض (1970).
. محمد بن محمد القبرى
مقدم بن معافي القبرى
ابن عبد ربه صاحب كتاب العقد

(2) 2/1: ص 1.

(3) «بغية الملتمس» ط. مجريط 1884م ص 121- 122.

(4) ج1 ص 109 (ط ثانية) وانظر جذوة المقتبس ص 86 (ط. بن تاويت الطنجي القاهرة 1952م).

(5) ط مصوره عن طبعة القاهرة 1947 (بعناية محي الدين عبد الحميد) ج 2 ص 30 وراجع في صحة الاسم: (أهو حمود أم محمود) د. الأهواني: «الزجل في الأندلس» ص 4 (هامش).

(6) انظر عن «قبرة:< «الروض المعطار» ص 149- 150

(7) ص 477.

(8) المقدمة 3/390 وما بعدها.

(9) «نفح» (ط. محي الدين) 9/220 وما بعدها.

(10) «أزهار الرياض»، ج 2 ص 208 وما بعدها.

(11) «جذوة المقتبس» ط. القاهرة 1966 ص 101.

(12) «فن التوشيح» ص 113.

(13) «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» (تحقيق د. نزار رضا، بيروت 1965) ص 489.

(14) «يتيمة الدهر» (ط. محي الدين) ج 2 ص 5- 10. وانظر «جذوة المقتبس» ط. القاهرة 1966- ص 400، و «المغرب» ط 2 ج 1 ص 120- 121.

(15) ص 487.

(16) 390/3.

(17) انظر د. الركابي: «في الأدب الأندلسي» ص 287 (هامش) وفيه أن المستشرق دي سلان في ترجمته الفرنسية لمقدمة ابن خلدون توهم أن الاسم المحرف (الفريري) نسبة إلى قرية فارسية توافق هذا الاسم، لكن دوزي صوّب الخطأ في مقال نشر بالجريدة الأسيوية (سنة 1869).

(18) أشار د. الركابي (ص 288) إلى مقالة لجومث نشرها في (الأندلس) سنة 1934 وظن فيها أن محمد بن محمود ومعافي القبري شخص واحد، ثم ذكر مقالة للدكتور الأهواني بالمجلة نفسها (1948) أثبت فيها-استنادا إلى مصادر موثوق بها-أنما شخصيتان مستقلتان.

(19) ص 333.

القسم الرابع

- يوسف بن هارون الرمادي الكندي (أبو عمر)
- عبادة بن ماء السماء (أبو بكر)
- محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز (أبو عبد الله)
- مكرم بن سعيد وابنا أبي الحسن (؟)
- أم الكرم بنت المعتصم

(1) «الذخيرة» قسم أول ج 2 ص2. وفي الأصل «شعراء عصرنا» وهذا-كما يسجل د. الأهواني في «الزجل في الأندلس» ص 4- هامش-«سهو من الناشرين، ففي الأصلين المخطوطين: (عصره)».

(2) ج 1 ص 392

(3) ص 346 وانظر في مصادر الرمادي ما أورده د. شوقي ضيف: «المغرب» هامش ص 392 من الجزء الأول، ود. أحمد هيكل: «الأدب الأندلسي» ص 287 وفيه فصل جيد عن الرمادي. وانظر «نفح الطيب» ط د. إحسان عباس ج 4 ص 35.

(4)ص 287، وأحال على «الصلة» ترجمة رقم 1491 و«تاريخ الفكر الأندلسي» لبالنثيا ص 68. ويجد القارئ نماذج من شعره في المصادر التي مرت، وفيما ذكره كل من د. ضيف ود. هيكل ود. إحسان عباس وانظر كذلك «المرقص والمطرب» لابن سعيد.

(5) «الذخيرة» القسم الأول ج 2 ص 1 والنص نفسه في الفوات 425/1 (ط. محيي الدين) ج 2 ص 149 ط إحسان عباس.

(6) «الذخيرة» القسم الأول ج 2 ص 299 انظر «المغرب» 2/ 134والمراجع المذكورة به. و«الخريدة» ط. الدسوقي وعبد العظيم-ج 2 ص 42.

(7) «مسالك الأبصار»-مخطوطة باريس 2327 الجزء 17 (ذكر الشعراء بالجانب الغربي) ورقة 131.
(8) «المقتطف» ص 477.

(9) «فوات» (ط. إحسان عباس) 149/2 وانظر عنه «المقتبس» ص 346 (هامش، بقلم محقق الكتاب).

(10) «نفح» (ط. إحسان عباس) 3/411.

(11) ص 290 من نسخة صححها وحققها شير محمد زمان (لم تنشر بعد)

(12) «المغرب» ص 136 ج 2

(13) «المغرب» ص 137، ج 2

(14) «فوات»426/1 (ط. محيي الدين) وذكرها ابن تغري بردى في «المنهل» مخطوطة باريس منسوبة لابن ماء السماء.

(15) ج3 ص 189- 190

(16) ص 113

(17) مخطوطة توجد منها نسخ في مكتبة فاتح والمكتبة الملكية بالرباط عن د. الجراري «موشحات مغربية» ص19.

(18) «تاريخ الأدب الاندلسي»ج2 ص 231

(19) «دار الطراز» ص52 وانظر مقدمته (ص 27)

(20) ابن سعيد «المقتطف» ص 477.

(21) انظر عباس الجراري «موشحات مغربية» ص 19 والموشحة في «دار الطراز» ص 65

(22) «جيش التوشيح» ص 5

(23) «دار الطراز» ص 69

(24) «الخريدة» تحقيق الدسوقي وعبد العظيم 44/2

(25) ص 98

(26) انظر على سبيل المثال ترجمة الأبيض (ج 2 ص 70، ص 670) وترجمة ابن عبد البر (ج 2 ص 13 , 478) وترجمة ابن أبي الخصال (ج 2 ص 465 , 459) وترجمة المخزومي (154/2 , 668) وترجمة ابن بقى (ج 130/2 , 667)

(27) هناك أندلسي آخر يدعى ابن عبادة (توفى 532 هـ) له كتب في الحديث، ولا علاقة له بالموشحات.

(28) ج 2 ص 202، وانظر «النفح» ط. محيي الدين ج 5 ص 302

القسم الخامس

(1) انظر عنه «المغرب» 389/1 والمراجع المذكورة ولا ينبغي الخلط بينه وبين أبي بكر ابن عمار المذكور ج 2 ص 229 من نفس المصدر

(2) «توشيع التوشيح»، ص 32.

(3) انظر عنه د. شوقي ضيف «ابن زيدون» ومقدمة ديوانه بتحقيق على عبد العظيم، وفي كتاب د. الركابي «في الأدب الأندلسي» فصل طويل عنه.

(4) انظر ديوانه، نشر كامل كيلاني ص 192 , 229 وكذلك مجلة (Arabic) وفيها مقال بعنوان «Un Muwassah d‘Ibn

Zay dun> (فبراير 1978) ص17 -10

(5) انظر عنه «المغرب» 18/2 والمراجع المذكورة بالهامش.

(6) راجع شترن ص 95 وقد عثر على نصها في مجموعة ابن بشرى ونشرها مع ثلاث موشحات أخرى تحت عنوان

Four Famous muwassahs from Ibn busia,s anthology

(7) بالأصل وغنات الطيور على قطوب البان

(8) كذا بالأصل، ولعلها: شمسى

(9) هي في «توشيع التوشيح» منسوبة للحصري»

(10) ذكر د. شوقي ضيف قائمة بمصادر ابن اللبانة بهامش «المغرب» 409/2 كما أورد محقق «جيش التوشيح» قائمة لا بأس بها (ص 243) وانظر «الذخيرة» القسم الثالث ج 1 ص 50 وما بعدها (القاهرة 1975 بتحقيق د. لطفي عبد البديع. وظهر شعره مؤخرا، مجموعا في ديوان (لا يضم موشحاته) بتحقيق د. محمد مجيد السعيد (البصرة 1977).

(11) تجيء كذلك في «فوات الوفيات» 514/2

(12) ص 133

(13) مخطوطة الاسكوريال ورقة 8

(14) انظر شترن ص 96 وقد نسبت في «العذارى المائسات» لجمال الدين ابن نباته وقيل لابن عزلا-كذا-وهناك موشحة أخرى أولها «شق النسيم أكمامه» جعلها الصفدي في «الوافي بالوفيات» 299/4 وابن شاكر في «الفوات» لابن اللبانة أما في جيش التوشيح ص 132 فتأتي منسوبة لابن الصيرفي.

(14) انظر عن مراجعه: «المغرب» هامش 376/2، والخريدة 331/2 (ط. الدسوقي وعبد العظيم) وفيها «ابن ليون»-وهو خطأ من أخطاء التحقيق-و«جيش التوشيح» ص 262

(15) الخرجة في «جيش» ص 169:
إياك يغرنك صرف رمال   يا قد بدالي
ولا معنى لها على هذه الصورة.

(16) انظر عنه «الخريدة»ط. الدسوقي وعبد العظيم 647/2- 653و 655/2- 666وكذلك «المغرب» 323/2 ومقدمة ديوانه، بتحقيق عفيفة ديراني وفي «مع شعراء الأندلس» لجومث فصل عن «ابن الزقاق شاعر الطبيعة».

(17) اختلفت المصادر حول اسمه. كما اختلفت حول سنة وفاته، والمتفق عليه أنه توفى ما بين سنة 528 وسنة 530 هـ أما الخريدة فتذكر سنة 540 هـ.

(18) ص 31 والنص ص 147 (والموشحة في ديوانه ص 396، وألحقتها المحققة بالديوان استنادا إلى التوشيع).

(19) مخطوطة الاسكوريال ورقة 10.

(20) «نفح»-ط. عبد الحميد،369/5.

(21) «نفح الطيب»-ط. إحسان عباس-452/3، وانظر كذلك ص 607 وما بعدها والمراجع المذكورة بالهامش.

(22) «توشيع التوشيح» ص 32.

(23) «التكملة» ط. مجريط622/2.

(24) «نفح الطيب»-ط. إحسان عباس-50/4

(25) شترن، المرجع المذكور آنفا، ص 99

(26) انظر عنه «المغرب» 303/2 والمراجع المذكورة فيه.

(27) راجع عنه «أبو الحسن الحصري القيرواني» لمحمد المرزقي والجيلاني بن الحاج يحيى (تونس 1963) ويتضمن ملمحا عن حياته وكذلك رسائله وشعره.

(28) «الخريدة» ج 2 ص 50- ط. الدسوقي وعبد العظيم.

(29) ص 151

(30) ص 74

(31) «نفح الطيب» ج 5 ص 40 (ط. محيي الدين، ج 493/3 إحسان عباس) ولا ينبغي الخلط بينه وبين محمد بن صالح بن نزار الذي ذكره ابن الآبار في «التكملة» 372/1 (ط. 1956).

(32) 147/2

(33) انظر عن مراجعه: «المغرب» 451/2و «جيش التوشيح» ص 231- 233، وجعل كنيته «أبو العباس»، وهذه الكنية ترد أيضا في «الوافي بالوفيات» ج 7 ص 126، وله ديوان حققه د. إحسان عباس. وبعض المراجع تخلط بينه وبين أبي بكر الأعمى المخزومي-وكان شديد الهجاء-وانظر عنه

المغرب 228/1- 231 (وأخبار مع نزهون الشاعرة الوشاحة) وفي «الذخيرة»-تحقيق الدسوقي وعبد العظيم-154/2. و 668/2وممن خلط بين الأعمى التطيلي والمخزومي هذا د. الركابي في حواشي «دار الطراز» ص 149 وهلال ناجي في حواشي «جيش التوشيح» ص 232.

(34) «المقتطف» ص 478، والخبر «المغرب» 456/2 مع اختلاف يسير.

(35) هناك بعض موشحات تنسب تارة للتطيلي وتارة أخرى لابن بقى، مثل موشحة «ما الشوق إلا زناد» وتجيء في ديوان التطيلي (ص 289) أما «المغرب» فيجعلها لابن بقى (25/2) وكذلك موشحة «اعيا على العود» (ديوان التطيلي ص 270) وهي في «المقتطف» ص 478 منسوبة لابن بقى وانظر مقدمة «جيش التوشيح».

(36) انظر عنه «المغرب» 127/2والمراجع عنه و «الخريدة»-ط. الدسوقي وعبد العظيم 160/2 وجيش التوشيح ص 234- 240 (ملحوظات المحقق).

(37) في الذخيرة: قتل بعد سنة ثلاثين وخمسمائة وفي «المطرب:< «مات بعد سنة خمس وعشرين وخمسمائة».

(38) ص 46

(39) ص 478، ولها بقية في مقدمة ابن خلدون، ونشر شترن نصها الكامل نقلا عن «عدة الجليس» في «الأندلس» المجلد 23 ص 339- 369.

(40) ص 54

(41) انظر عنه «المغرب» 417/2 و «الخريدة»-ط. الدسوقي وعبد العظيم-369/2، وملحوظات محقق «جيش التوشيح» ص 266.

(42) ج 2 ص 369 (ط. الدسوقي وزميله).

(43) في المطبوع: «كما بت عندك حتى تبيت عندي» ونظن أن الأصح ما ذكرنا.

(44) انظر عنه «المغرب» 119/2

(45) «المقتطف» ص 478

(46) ص 123

(47) «الخريدة» 283/2 (ط. الدسوقي وعبد العظيم).

(48) انظر عنه «المغرب» 370/1 والمراجع المذكورة بالهامش، «وجيش التوشيح» ص 246 ومراجعه.

(49) في «التكملة» (ط. القاهرة 1956) ج348/1: «يكني أبو بكر».

(50) كذا في طبعة «جيش التوشيح» ولعلها «آشى نطلق» لا بمعنى الأسى.

(51) انظر في ترجمته هوامش د. شوقي ضيف في «المغرب» 2/19 وهامش 2/130 من «الخريدة»- . الدسوقي وعبد العظيم وما أورده محقق «جيش التوشيح» ص 233.

(52) ص 279، ونقل عنه ابن سعيد في «المغرب».

(53) يذكر ابن الآبار، ص 722 من «التكملة» أن وفاته سنة 545 هـ.

(54) «الخريدة» ج 2 ص 131.
- ظهرت مجموعة من شعر ابن بقى في «المورد» 1978 (العدد الأول، المجلد السابع)، جمع وتحقي د. محمد مجيد السعيد.

(55) المغرب 25/2

(56) «دار الطراز» ص 66.

(57) «دار الطراز» ص 75.

(58) «المقتطف» ص 478 ومقدمة ابن خلدون392/3. وفي الخبر أن ابن زهر قال «ما حسدت وشاحا على قول إلا ابن بقى حين وقع له: أما ترى أحمد في مجده العالي الخ.

(59) «جيش التوشيح» ص 257 ويمكن أن يضاف إلى ذلك ما جاء في «توشيع التوشيح» ص 31 من ذكر له بين كبار الوشاحين.

(60) د. الأهواني: الزجل في الأندلس ص 28.

(61) ترد في جيش: «تقول في حال الصغر لأنها في اشتياق» ولا معنى لهذا الكلام.

(62) هناك فارق كبير بين الخرجة كما أثبتناها وبين ما يرد في «جيش التوشيح».

(63) انظر عنه وعن مراجعه «المغرب» 388/2 و«الخريدة»-ط. «الدسوقي وزميله-484/2و«جيش التوشيح» ص 269.

(64) «توشيع التوشيح» ص 31.

(65) هذه الخرجة هي:
أما ترى أحمد في مجده العالي لا يلحق
أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق

(66) ترجم له ابن سعيد في «المغرب» وذكر محققه عددا من المصادر الهامة عنه، ووصفه بأنه أشعر أسرة ابن سعيد (ج 2 ص 164، والموشحة ص 103).

(67) ص 32.

(68) الخريدة (القسم المصري) 284/1وتضم نماذج كثيرة من شعره.

(69) «الأعلام» ط3 ج 6 ص 185.

(70) انظر عنه «المغرب» 100/1 وهناك العديد من الدراسات عنه يراجع بصددها كتاب د. الأهواني «الزجل في الأندلس» ومقالة لجورج كولان في «دائرة المعارف الإسلامية» الطبعة الجديدة، وانظر نيكل في كتابه «Hispano-Arabic Poetry> ص 266- 302 وفصل في كتاب شترن المذكور آنفا. وانظر جومث (Todo Ben Quzman) في ثلاثة أجزاء.

(71) «نفح» (ط. عبد الحميد)، ص 94.

(72) «المغرب» ج 2 ص 214 وانظر المقتطف ص 485.

(73)385/3 (طبعة إحسان عباس).

(74) والحقها هينرباخ بنص «العاطل الحالي» انظر ص 185 وما بعدها.

(75) ص 16 وانظر عن مدغليس «الزجل في الأندلس» ص 106 وما بعدها.

(76) «المغرب» ج 1 ص 98 والنص في ج 1 ص 425.

(77) انظر عنه نبذة مستوفاة في «جيش التوشيح» ص 252- 256 (كتبها هلال ناجي) وكذلك هامش «المغرب»118/2.

(78) ص 102

(79) ص 478

(80) ج 4 ص 299 ونقل عنه ابن شاكر في «الفوات» 517/2

(81) في المطبوع: «فاحملي».

(82) ص 114، وجعله-لأمر ما-: ابن القاسم.

(83) ص 279

(84) ص 273 ط بولاق

(85) ص 14- 16. وراجع

(86) «الزجل في الأندلسي» ص 114.

(87) «فن التوشيح» ص 137 وانظر عن ابن غرلة كتاب، «الزجل في المغرب» للدكتور الجراري ص 537 وما بعدها ومجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران جـ1 ص 293 وجـ ص 268

(88) «المغرب» 226/2 و «الخريدة» ط. دسوقي وعبد العظيم-669/2

(89) «المغرب» 150/2

(90) «الخريدة» 160/2

(91) المرجع الذي ذكر له قبلا، ص 106

(92) الخريدة 213/1

(93) المرجع السابق214/1.

(94) شرحه 147/2

(95) انظر عنه مقدمة ديوانه بتحقيق د. إحسان عباس وراجع ما كتبناه عنه في «الندوة» بتاريخ 11

محرم 1399 هـ

(96) انظر في أمر أسرة ابن شرف: «المغرب»، 230/2 والمصادر التي ذكرها المحقق وكذلك «الخريدة» 110/2

(97) «المغرب» 232/2- 234.

(98) «جيش التوشيح» ص 247.

(99) ص 97.

(100) 366/5

(101) ص 53.

(102) ص 526.

(103) «المغرب» 442/2ومراجع التحقيق، و «جيش التوشيح» ص 259- 261 و «نفح الطيب» جـ 5 ص 15 (طـ. محي الدين) وفيه: ابن الجزار.

(104) «جيش التوشيح» ص 147.

(105) «توشيع التوشيح» ص 31.

(106) مما: بمعنى أمي. وفي المطبوع: حلال وحرام.

(107) لا توجد عنه معلومات كافية وفي «جيش التوشيح» ص 277 نبذة عنه رجع فيها المحقق إلى «التكملة» 77/1، ترجمة رقم 205- والى «أخبار وتراجم أندلسية» المستلة من معجم السفر للسلفي- ص 16. وشترن في
(Hispamo-Arabic strophic Poetry
(Las musicيشير إلى ما ذكره ريبيرا في
(de las cantigas)
ص 70 من أن لابن مالك زجلا في «المغرب» والذي نرجحه أن المقصود هنا الموشحة المذكورة في «المغرب»446/2:
ماذا حملوا
فؤاد الشجى
يوم ودعوا

وفي رايات المبرزين «ص 77 أن اسمه: أبو بكر أحمد

(108) انظر عنه «الأعلام» للزركلي ط 3 جـ 7 ص 7.

(109) «عدة الجليس» نقلا عن «الزجل في الأندلس» للدكتور الأهواني ص 10

(110) «المغرب» 121/2

(111) «نفح الطيب»-ط. عبد الحميد جـ 6 ص 31

(112) «المغرب» 228/1

(113) انظر النص في «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران جـ 1 ص 118 نقلا عن مجموعة الحايك.

(114) انظر «المقتطف» ص 480 و «المغرب» 390/2 و «نفح الطيب» (ط. إحسان عباس) جـ 7 ص 8 و «مقدمة» ابن خلدون394/3.

(115) «المقتطف» ص 480

(116) في طبعة محي الدين (جـ 9 ص 222) وجعله د. إحسان عباس (ج 7 ص 9): الزويلي استنادا إلى «المقتطف».

(117) «المقتطف» ص 482 ولعله «ابن يخلف الجزائري» الذي ذكره الغبريني في «عنوان الدراية» ص 77 (ط. نويهض).

(118) في «المقدمة» لابن خلدون3)399: ابن خرز البجاي.

(119) انظر عنه «المغرب» 210/2 و «نفح الطيب» ط. إحسان عباس، جـ 7 ص 8 وبهامشه ذكر لأوجه الخلاف في اسمه الذي يجئ أحيانا: إبراهيم. وانظر كذلك: شترن: ص 109.

(120) «المقتطف» ص 480.

(121) المغرب 213/2

(122) اليكي: نرجح أنه أبو بكر يحيى بن سهل اليكي، المشهور بالهجاء. انظر عنه «المغرب» 266/2 ولم نجد له موشحات.

(123) «نفح الطيب» 476/1- ط. إحسان عباس-والخرجة فيها غير معربة، و 22/2- ط. محي الدين-وفيها تأتي الخرجة معربة.

(124) «المغرب» 111/2 والنص ص 122.

(125) جـ 1 ص 282

(126) «نفح» ط. إحسان عباس-204/4

(127) «المقتطف» ص 481

(128) «المغرب» 383/1 والنص ص 387- 388

(129) المرجع السابق 296/1

(130) المرجع السابق 114/2 وانظر عنه دراسة مطولة لا يميليوجارثيا جومث في «مع شراء الأندلس» 115 وما بعدها، ومقالة لنا بعنوان «سر القصيدة التي هزت غرناطة» في «الندوة»- جمادى الأولى 1398 هـ-.

(131) «المغرب» 214/2 و «المقتطف» ص 481 وانظر ما قلناه عن ابن نزار

(132) «المعجب» ص 293.

(133) «المغرب» جـ262/2.

(134) الملحوظ أن القافية جاءت هنا موحدة، وهذا يخالف ما نص عليه ابن سناء الملك في «دار الطراز».

(135) راجع عنه: «المغرب»جـ 1 ص 271 والمصادر التي ذكرها المحقق بالهامش، وكذلك «جيش التوشيح» ص 272 و «نفح الطيب» ط. د. إحسان عباس-247/2.

القسم السادس

(1)-«الغصون اليانعة» ص 42

(2)-المرجع السابق، ص 47

(3)-المرجع السابق، ص 91

(4)-هناك شيء من الاضطراب في اسمه وتاريخ وفاته، ففي النفح 370/3- ط. محيي الدين-ذكر لعبد المنعم بن عمر الغساني الوادي آشي، المتوفى سنة 603 هـ، ثم ذكر لمحمد بن عبد المنعم الغساني الجلياني (جـ 3 ص 391) المتوفى سنة 602 هـ ونظن أن الترجمتين للجلياني. وانظر «الغصون اليانعة» ص 104- 108 (وبهامش ص 108 أن ديوانه مصور بالجامعة العربية).

(5)-ص 630

(6)-عنوان الدراية (ط. نويهض) ص 334

(7)-الأديب الرحالة الشهير انظر عنه «المغرب» 384/2 وهوامشه، و «نفح» الطيب «ط. إحسان عباس ج 2 ص 381، و «الإعلام» للزركلي 214/6،

(8)-«الإحاطة» 230/2 (ط. عنان)

(9)-عنوان الدراية ص 337

(10)-المرجع السابق ص 67

(11)-«المغرب» 249/1 والمصادر المذكورة بالهامش. والموشحة ترد ص 280-281 والخرجة في «المقتطف» ص 481، واسم الشاعر فيه: ابن حيون

(12)-المرجع السابق 305/1 وعنه بالهامش نبذة هامة.

(13)-المرجع السابق 267/1

(14)-«المغرب» 318:2

(15)-«المغرب» 468/2

(16)-«المقتطف» ص 481
(17)-«المغرب» 361/2
(18)-انظر عنه «المغرب» 268/1
(وخبر في130/2) و «نفح الطيب»-ط. إحسان عباس، استنتج منه أن وفاة ابن الصابوني كانت سنة 636 هـ.

(19)-«المقتطف» ص 481
(20)-«المغرب» ص 120
(21)-«المغرب» 286/2
(22)-ص 108
(23)-ص 482
(24)-«المغرب» جـ 1 ص 263 وأنظر المراجع التي ذكرها المحقق بالهامش، ومن بينها ابن الآبار في «التكملة» والمقري في «النفح» فضلا عن «اختصار القدح المعلى» لابن سعيد.
(25)-«المغرب» 263/1 وفيه أنه توفي قبل سنة ثمان وثلاثين وستمائة. ونص ابن أبي أصيبعة على أن وفاته كانت سنة 636 هـ.
(26)-انظر عنه «نفح الطيب» ط. عبد الحميد، 360/2 (161/2ط. إحسان عباس، والمراجع)
(27)-الاقتباس عن «نفح الطيب»
(28)-ص 63 (ط. نويهض).
(29)-انظر عن ابن سهل «المغرب» جـ 1 ص 269 والمصادر المذكورة بالهامش، وكذلك مقدمة ديوانه، وضعها د. إحسان عباس، ص 9- 51.
(30)-انظر عنه مقدمة «ديوان أبي الحسن الششتري شاعر الصوفية الكبير في الأندلس المغرب «الدكتور على سامي النشار.
(31)-مخطوطة باريس، ورقة 221.
(32)-ص 672: «وقال موشحا بطريق التصوف اقترح عليه ذلك، معارضا موشحا لغيلان الغول المصري».
(33)-ابن أبي اصيبعة: «عيون الأنباء في طبقات الأطباء» تحقيق د. نزار رضا. بيروت 1965 ص 533
(34)-انظر عنه مقدمة كتاب «المغرب» بقلم د. شوقي شيف.
(35)-«توشيح التوشيح»، ص 32، وعده «من أهل الديار المصرية» على اعتبار انه أقام فيما فترة من الزمن.
(36)-ط. إحسان عباس، 453/7

القسم السابع

(1) الكتيبة الكامنة» ص 81 والمراجع المذكورة بهامشه، وكذلك «نفح الطيب»ط. د. إحسان عباس ج 2 ص 535 وما بعدها، والموشحتان في النفح ص 557, 556.

(2)-انظر عن مراجعة «الإعلام» 171/1 ومقدمة ديوان ابن خاتمة بتحقيق د. محمد رضوان الداية (1972م) (وجاء في كتاب د. الاهواني: «الزجل في الأندلس» ص 217 إن الديوان أعدته للنشر المستشرقة الإسبانية صولداد جيبرت، وانه يطبع بالمعهد المصري بمدريد، (في سنة 1957).
(3) مقدمة الديوان، ص 10
(4) ذكر محقق الديوان، ص 17 إن القسم الرابع منه في الموشحات والأزجال، لكن لم ترد فيه إلا الموشحات.

(5) «موشحات مغربية» ص 132

(6) نثير الجمان (أعلام المغرب والأندلس في القرن الثامن) ص 449

(7) جـ 2 ص 30

(8) ص 228

(9) ص 268

(10) في كتابه المذكور قبلا، ص 363، ولعل التنقيب في المصادر الأخرى يعطي مزيدا من الضوء عن هذا الشاعر.

(11) يأتي في مقدمة ما ألف عن لسان الدين بن الخطيب كتاب المقري «نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب»وكتب عنه محمد بن أبي بكر التطواني كتابا من جزأين عنوانه «ابن الخطيب من خلال كتبه» وعبد العزيز بن عبد الله: «الفلسفة والأخلاق عند ابن الخطيب» وكتاب للأستاذ محمد عبد الله عنان «لسان الدين بن الخطيب: حياته وتراثه الفكري» القاهرة 1968 م.

(12) كان الفروض أن يقال «ممن عارضوا موشحة ابن سهل» كل اعتبار أنها الأقدم لكن شهرة موشحة لسان الدين بن الخطيب-كما أوضحنا-طغت على الأصل، وهكذا نرى كثيرين ممن ساروا على هذا البناء يشيرون إلى موشحة ابن الخطيب لا ابن سهل.

(13) 275/9

(14) 314/1.

(15) «نفح» 277/9

(16) نفح-ط. محي الدين 293/9 ولا نعرف من صاحب «بنفسج الليل» لكن هناك على كل حال-موشحة لابن سهل لها نفس البناء هي

«باكر إلى اللذة والاصطباح

بشرب راح

فما على أهل الهوى من جناح».

(17) جـ 9 ص 336

(18) «نفح» جـ 9 ص 216

(19) «أزهار الرياض» 247/1

(20) أنظرها في ديوانه، ص 296

(21) نقلا عن «موشحات مغربية» ص 106- 107

(22) أهم المصادر عن ابن زمرك: «نفح الطيب» جـ ص 4- 127، ص 139- 141 (ط محي الدين) و «أزهار الرياض» 263/1, 7/2- 206 واعتمد في ذلك على كتاب لابن الأحمر (ابن يوسف الثاني ملك غرناطة) يحمل عنوان «البغية والمدرك من كلام ابن زمرك»-وهو مفقود-وللمستشرق بلاشير دراسة عنه نشرت في حوليات جامعة الجزائر سنة 1936 بعنوان:

Ibn Zumruk ET son oeuvre

وأفضل ما كتب عنه دراسة لايميليوجارثيا جومث ترجمها د. الطاهر مكي مع غيرها تحت عنوان «مع شعراء الأندلس والمتنبي»

(23) «الإحاطة» 314-300/2

(24) «الكتيبة الكامنة» ص 282. ط عنان

(25) انظر: جومث، المرجع السابق، ص 264- 265
(26) انظر عنه «نفح الطيب» ط إحسان عباس 529/4- 548، و «أزهار الرياض» جـ 1 ص 72- 102 واعتبارا من ص 548.
(27) انظر عنه «النفح» الطبعة السابقة جـ 6 ص 101
(28) راجع النص في مجموعة «الموشحات والأزجال» لجلول يلس وامقران جـ 2 ص 60
(29) ص 18
(30) انظر «النفح» جـ 9 ص 293، وراجع ما ذكرناه عن لسان الدين بن الخطيب.
جاء بعدها في «العذارى المائسات» مدح في الموشحة كتبه ابو عبد الله محمد الارزق (المتوفى سنة 896 هـ) وراجع عنه «الإعلام»181/7) منه إنها «موشحة حللت السحر، وسرت نواسمها بعنبر السحر.
بعثت بها عذراء رائعة الحلا
قضت أنها للمعلومات مرشحة
توشحت اللفظ البديع وأقبلت
فها هي تبدو للعيون موشحة!
(31) انظر عنه «الأعلام» 277/7 والمراجع المذكورة فيه
(32) «نفح» ط إحسان عباس جـ 7 ص 33
(33) جـ 1 ص 145
(34) نقلا عن «موشحات مغربية» ص 148 (2)-جـ 9 ص 272
(35) انظر عنه «الأعلام» 221/1 والمراجع المذكورة فيه
(36) ص 2
(37) مخطوطة الظاهرية
(38) جـ 4 ص 466 (وهو غير ابن خلوف (المسلمى) الذي ذكره ابن رشيق في «الأنموذج».)

القسم الثامن

(1) انظر عنه «الأعلام» 224/1 والمراجع المذكورة فيه
(2) «نفح»-ط عبد الحميد-280/9
(3) المرجع السابق، 281/9 وجعلها له. الدراري في «موشحات مغربية» ص 153 للمسفيوري
(4) «الدراري السبع» ص 15
(5) انظر عنه د. الجرارى «موشحات مغربية»ص 154 والمراجع العديدة المذكورة فيه، وانظر ما جاء في «الأعلام» جـ 4 ص 152
(6) «نفح الطيب» جـ 8 ص 168 (ط محي الدين) وفيه القشتالي. وهذا محض خطأ
(7) المرجع السابق جـ 9 ص 277
(8) «موشحات مغربية» ص 154
(9) «نفح الطيب» جـ 9 ص 278

(10) ص 5
(11) النص الخامس (مخطوطة الظاهرية).
(12) جـ 4 ص 398، وانظر عنه دراسة لنا في «المدينة المنورة»-ملحق التراث-بعنوان «مع العقاد شاعر مكة وموشحته اليتيمة»، ربيع الثاني 1396 هـ
(13) أنظر «موشحات مغربية» ص 126
(14) المرجع السابق ص 127
(15) أنظر عنه-مقدمة «المنتخب من شعر ابن زاكور» و«الأعلام» 230/7
(16) للموشحات المغربية ص 165 وما بعدها
(17) موشحات مغربية ص 209
(18) ذكرها المقري في «نفح» 20/3 (ط محي الدين) «لا أدري هل هو لابن زهر أم لا» وانظر ياقوت: «إرشاد» 23/7
(19) يرد النص في «الدر المكنون» (مخطوطة باريس) ورقة 49
(20) «موشحات مغربية» ص 182
(21) «الأغاني التونسية» ص 324
(22) المرجع السابق ص 320
(23) شرحة ص 325
(24) في النص: أحور أحم
(25) الأغاني التونسية ص 311
(26) المرجع السابق ص 313
(27) نفسه ص 194
(28) نفسه ص 220
(29) ديوان صفي الدين الحلي ص 152
(30) «الأغاني التونسية» ص 223
(31) ترد كاملة في «الوافي بالوفيات»-مخطوطة بودليان-جـ 15 ورقة 87، وفي «الفوات» ط. محي الدين 474/1

القسم التاسع

(1) انظر عنه «الأعلام» 224/1 والمراجع المذكورة فيه
(2) «نفح»-ط عبد الحميد-280/9
(3) المرجع السابق، 281/9 وجعلها له. الدراري في «موشحات مغربية» ص 153 للمسفيوري
(4) «الدراري السبع» ص 15
(5) انظر عنه د. الجراري «موشحات مغربية»ص 154 والمراجع العديدة المذكورة فيه، وانظر ما جاء في «الأعلام» جـ 4 ص 152
(6) «نفح الطيب» جـ 8 ص 168 (ط محي الدين) وفيه القشتالي. وهذا محض خطأ
(7) المرجع السابق جـ 9 ص 277

(8) «موشحات مغربية» ص 154

(9) «نفح الطيب» جـ 9 ص 278

(10) ص 5

(11) النص الخامس (مخطوطة الظاهرية).

(12) جـ 4 ص 398، وانظر عنه دراسة لنا في «المدينة المنورة»-ملحق التراث-بعنوان «مع العقاد شاعر مكة وموشحته اليتيمة»، ربيع الثاني 1396 هـ

(13) أنظر «موشحات مغربية» ص 126

(14) المرجع السابق ص 127

(15) أنظر عنه-مقدمة «المنتخب من شعر ابن زاكور» و«الأعلام» 230/7

(16) للموشحات المغربية ص 165 وما بعدها

(17) موشحات مغربية ص 209

(18) ذكرها المقري في «نفح» 20/3 (ط محي الدين) «لا أدري هل هو لابن زهر أم لا» وانظر ياقوت: «إرشاد» 23/7

(19) يرد النص في «الدر المكنون» (مخطوطة باريس) ورقة 49

(20) «موشحات مغربية» ص 182

(21) «الأغاني التونسية» ص 324

(22) المرجع السابق ص 320

(23) شرحة ص 325

(24) في النص: أحور أحم

(25) الأغاني التونسية ص 311

(26) المرجع السابق ص 313

(27) نفسه ص 194

(28) نفسه ص 220

(29) ديوان صفي الدين الحلي ص 152

(30) «الأغاني التونسية» ص 223

(31) ترد كاملة في «الوافي بالوفيات»-مخطوطة بودليان-جـ 15 ورقة 87، وفي «الفوات» ط. محي الدين 474/1

القسم العاشر

(1) نفح الطيب (ط إحسان عباس) 530/3

وقد رجح د. الشكعة في «الأدب الأندلسي» ص 234 أنها «كانت غرناطية عاشت في القرن السابع لأنه-يعني المقري-ذكرها بين مجموعة من شعراء القرن السابع الغرناطيين ولأن غرناطة نفسها كانت مليئة باليهود المتجمعين فيها» وفي رأينا أن المقري لم يذكر قسمونة هذه بين مجموعة من شعراء القرن السابع الهجري، فقد ذكر قبلها حكاية عن ابن المرغوي الاشبيلي-من معاصري المعتمد بن عباد-وذكر شيئا عن شاعر يدعى نسيم الإسرائيلي، وهو ممن تحدث عنهم الحجارى

في «المسهب»
أما محمد المنتصر الريسوني في كتابه «الشعر النسوي في الأندلس»-بيروت 1978- ص 104 فيقول عن قسمونة: «يمكن لنا أن نجعلها ضمن شاعرات عصر الطوائف ذلك أن هذا العصر تميز بازدهار الموشحات، وشاعرتنا قسمونة كانت وشاحة ولا يتكئ هذا الرأي على سند علمي واضح.
(2) «توشيع التوشيح»ص 189 وأحال على «إعتاب الكتاب» ص 214- 215
(3) «توشيع التوشيح»، ص 22 ولعله ابن ملوك التنوخي تلميذ الحافظ السلفي انظر «معجم السفر» ص 170
(4) المرجع السابق ص 32 وقرأ شترن الاسم من المخطوطة على الوجه التالي: تلك الغد
(5) «معجم السفر» ص 170 والنص نفسه في أخبار وتراجم أندلسية ص 21
(6) النص السادس
(7) ص 13
(8) جـ 7 ص 57 (ط إحسان عباس)
(9) شرحه، جـ 334/3
(10) «المغرب» 282/1
(11) ص 83
(12) جـ 5 ص 267 (ط إحسان عباس)
(13) أنظرها في «الوافي بالوفيات» 280/4
(14) ترد في «توشيع التوشيح»، ص 85
(15) تجيء في «الوافي بالوفيات» 280/4

نماذج من الموشحات

(*) التعليقات التي على النماذج والتي على النصوص من وضع صاحب هذا الكتاب.

(*) ترد في «التوشيع» ص 113 و «الفوات» (ط إحسان عباس) 151/2منسوبة لابن ماء السماء وفى «الوافي») 189/2منسوبة لابن القزاز

(1) توثيع: جزت
(2) التوشيع: ينجل
(3) الوافي: يبرد. الفوات: تبرز. توقد
(4) الوافي: وياسنى
(5) الفوات: طرقى
(6) الوافي: حبيك
(7) الوافي: ندى
- ترد في «الفوات» (ط إحسان عباس) جـ 2 ص 152 ولم نجدها في أي مصدر آخر
- دار الطراز، ص 71، وأشار إلى الخرجة ص 32، ونسبها لعبادة.
- ترد في «دار الطراز»ص 60 (ومقطع منها ص 29) وجاء قسم منها في «أزهار الرياض» 254/2 و

«نفح الطيب» 380/4

- ترد في «التوشيع» ص 131 وفي «عقود اللآل» مخطوطة «الاسكوريال-ورقة 9 وفي «العذارى المائسات» وقال إنها لجمال الدين بن نباته وقيل لابن عزلا (ولعل الاسم الأخير تحريف لابن غرلة الذي كان ذكرناه من قبل وليست هذه الموشحة من جنس ما وصل إلينا من موشحاته، أما ابن نباته فان ديوانه لا يتضمن هذه الموشحة ولا حتى معارضة لها).

(1) توشيع: قمري

(2) توشيع: التنفيذ (3) التوشيع: لمحا

(4) عقود: البدر

- النص في «جيش التوشيح» ص 70

(1) الخرجة فيه: «اما الفرار وليش دمار» وهي-ولا شك-مبتورة، ولا تتفق مع باقية الإقفال. وفي نسخة حسن حسني عبد الوهاب (صفحة 1 غ).

يا قرجوني ككرس بون

امار الفرار ليش

ولش دمار

ولا تستقيم على هذه الصورة

- ترد في «توشيع» ص 151 ونسبها لابي الحسن علي بن عبد الغني الحصري، وهي في «جيش» ص 74 ضمن موشحات ابن ارفع راسه، ورجحنا إنها له.

(1) جيش: ولا درى الابطا (!) والارطى: شجر الأثل

(2) توشيع: هجيراه

(3) جيش: أماتني غبطا. وعبطا: نحرا

(4) جيش: باسعاد

(5) جيش: حيث قد إبطا (!).

- النص في «جيش التوشيح» ص 168

(1) في الأصل: يجوز حكما (2) في الأصل: اوطف

(3) في الأصل: غرة الجمال

(4) في الأصل صرف رمال يا قد بدالي

- يرد النص في «جيش التوشيح» ص 94.

(1) كذا في المطبوع، ولعلها: حين

(2) صنعان: صنعاء
- ترد كاملة في «جيش التوشيح» ص 147 وهي في «عدة الجليس»-دون ذكر قائلها-ونقل د. الأهواني «الزجل في الأندلس» ص 18 المطلع والخرجة عن مقال غومث (الأندلس سنة 1952) الخاصة بالخرجات الأعجمية في مجموعة ابن بشرى

(1) جيش: يسطو بأسد
- الموشحة في جيش ص 106 وديوان الأعمى التطيلي ص 261 والتوشيع ص 106.

(1) الديوان: مسفوح.

(2) توشيع: عليل.

(3) الديوان: ويا دموع قد أعانت.

(4) الديوان: أصادق.

(5) جيش: حسنت.الديوان: حسنة.

(6) الديوان: لبيك إلا الهو وقل للرقيب. جيش: لبيك لا ألوى.

(7) الديوان والحس: مرنى.

(8) في جيش: وسن الجفون. وفي الديوان يشير المحقق «إلى أن الأصل لم يكن واضحاً، ولعله: «فما بسر ما تصون الجفون».

(9) في الديوان والجيش: كيف أسئ.

(10) الديوان والجيش: نومي غرار.

(11) الجيش: بين جفوني عرار.

(12) الوشيع: أهذي به.

(13) الديوان والجيش: فاعجب.

(14) الديوان: بحقي.

(15) الديوان والجيش: فكل.

(16) كذا جاءت الخرجة في الديوان (وهي بالأعجمية أي بلغة الرومانت) وترد في التوشيع «مر الحبيب انفرم دموار.. كان دشتار.. تنفس أميت كسادمواتار» وفي الجيش «ما والحبيب دموصار.. فادر شنار.. بنفس آست كساد موعار» وأوردها د. إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 241 نقلا عن مقالة عن الخرجات كان الأستاذ غومث قد نشرها في «الأندلس» سنة 1954، وفيه: موا الحبيب انفرم ذي موامر كن دشتر نتفيس اميب كسد نوليغر ومعناها «حبيبي مريض بسبب الحب-وكيف لا يكون ذلك-ألا ترى أنه لن يرجع إليّ أبداً»؟
- أنظرها في «ديوان الأعمى التطيلي» ص 253 وترد في «المغرب» 453/2 و «دار الطراز» ص 43
(1) المغرب: غصن بان (6) الديوان: من محيا الجمر
(2) المغرب: ذا فني (7) المغرب: بن جوى
(3) المغرب: لاعبته (8) المغرب: كلما يذكر
(4) المغرب: لي فيك (9) المغرب: رق
(10) المغرب: ليس محيا (10) المغرب: إلى أن أيسا
(11) دار: ليس عليك ساتدري وفي الديوان: ليس عليك ستدري
(12) المغرب: سايطول
(13) المغرب: وتجرب غيري
- يرد النص في «جيش التوشيح» ص 54 (غير مقابل على أي مصدر آخر)

(1) أخذنا بقراءة نسخة حسن حسني عبد الوهاب

(2)كذا في المطبوع ونشك في صحة القراءة ولعلها: «وأنا ارتع في غير قيد»

(3) بياض في الأصل، وملأناه بما يناسب المعنى
- ترد الموشحة في توشيع التوشيح منسوبة لابن الزقاق (وألحقتها محققة ديوان ابن الزقاق إلى الديوان استنادا إلى ذلك) كما تجئ في «عقود اللآل» مخطوطة الاسكوريال ورقه 10 منسوبة كذلك لابن-الزقاق بينما نسبها صاحب «نفح الطيب» جـ 5 ص 369 إلى أبي بقى
- النص في «جيش التوشيح» ص 175

(1) في المطبوع: أجريت

(2) في المطبوع: حتى
- ترد في «جيش التوشيح» ص 13 ولم نجدها في غيره من المصادر

(1) في المطبوع: قد ضمينا
- النص في «دار الطراز» ص 67 وذكر الخرجة ص 31 ونسبها لابن بقى وترد الموشحة في نفح

الطيب 302/9 مسبوقا بـ ومما يطربني من الموشحات قول بعضهم «وترد الخرجة في توشيع التوشيح» ص 175 في خاتمة موشحة للصفدي بناها على نسق موشحة ابن بقى

(1) نفح: يوم الطلوع
(2) نفح: حال
(3) دار: من
(4) دار: للسقم
(5)دار: تطلبه
(6) نفح: الحد
(7) نفح: من لا
(8) نفح: وقد مد

- النص في «المغرب» 103/2

(1) المطبوع: دار
- يرد في «جيش التوشيح» ص 105، و «المغرب» 232/2 (وأهمل محقق الجيش-لأمر ما-أن يقابل بين النصين)

(1) الجيش: الدرار
(2) المغرب: على ورد (وذكر المحقق أنها في الأصل: على ود)
(3) الجيش: من الفخر
(4) الجيش: يهتز
* النص في «المغرب» 446/2هـ «جيش التوشيح» ص 218
(1) جيش: بالدمع
(2) جيش: فكم تهمل
(3) جيش: إذ غض
(4) المغرب: يجيل
(5) المغرب: لمابت
(6) جيش: ظبي يطلع (7) جيش: لنافر (8) جيش: الظفائر
(9) كذا في النص، ولعلها ينآى

(10) في المغرب: مع
- ترد الموشحة في العديد من المصادر من بينها «المغرب» 267/1و «دار الطراز» ص 73 (غير منسوبة) و «معجم الأدباء» 219/18 و «المطرب»-غير كاملة-ص 200 و «الموافي» 40/4 و «توشيع التوشيح» ص 126 (وقابل محقق التوشيح النص على المصادر السابقة ومن ثم لم نر ضرورة لرصد كل الخلافات) كما ترد في: «عيون الأنباء»-ص 526 وفي «جيش» ص
202 وديوان ابن المعتر (ط. القاهرة 1871)، بعناية عزيز زند والنسبة لأبن المعتز غير صحيحة كما

بينا وتجيء كذلك في «العذارى المائسات» ص 5 وفي «عقود اللآل»-مخطوطة الاسكوريال-ورقة 6 وسنذكر الفروق بين النسخ عند تحقيقنا للكتاب الأخير

- ترد الموشحة في «المغرب» 273/1 وفي «توشيع» ص 101 وفي «عيون الأنباء» ص 527

المغرب: نجل. طبقات: كحل

(2) المغرب: أوفى (3) المغرب: النصيح

(4) عيون: تشتقيك (5) المغرب: فاترك. عيون الأنباء: سام العيون

(6) عيون: سحر وما ودعتني

- النص في «الديوان الأكبر» ط. حجر (بومباي) ص 202 وغنى عن الذكر إن الموشحة على نسق قول ابن زهر«أيها الساقي إليك المشتكى»

- النص في ديوانه (ط. إحسان عباس) ص 283، وفي «نفح الطيب» 271/9، وعقود اللآل-مخطوطة الاسكوريال-ورقة 67، وهناك بعض اختلاف في ترتيب الأقفال والأبيات.

(1) نفح والديوان: اطلعت

(2) الديوان: تسلك بي. عقود: غرر تسلك

(3) الديوان: ما لنفس وحدها

(4) عقود: الحسن

(5) الديوان: التذاذي

(6) الديوان: وإذا أشكو بوجدي. عقود: كلما أشكو بوجد باسما

(7) الديوان: والعارض

(8) عقود: فهي (9) عقود: أقحوان (10) عقود: لا يطيق

(11) عقود: الجمة اكحل الطرف (وينقض بعدها القفل والبيت التاليان)

(12) الديوان: من إذا أملى عليه حرقتي طارحتني مقلتاه الدنفا

(13) الديوان: تركت أجفانه (14) الديوان: وأنا اشكره

(15) عقود: ليس لي في الحب

(16) الديوان: تقدت دمعي نار في ضرام تلتظي... مايشا. عقود: منه للنار.

(17) عقود: وهي منار (18) عقود: أسد الغاب

* من ديوان ابن خاتمة الأنصاري تحقيق د. محمد رضوان الداية (1972م) ص 162، وعلق المحقق على النص بقوله إن: الموشح تام من ستة أقفال وخمسة أغصان وهو موشح غير شعري والخرجة عامية ولا نتفق معه في تعبير «أغصان» ولا في قوله: إن الخرجة بالعامية فهي خرجة فصيحة ونؤثر تسمية «الأبيات» بدلا من الأغصان لأنها هي التي عليها ابن سناء الملك.

(1) الحوة: السمرة في الشفة (2) لعل المراد هنا: صغار الظباء (3) اليعفور: ولد الظبي (4) لاشك في آن التعبير سيئ ولعل لقافية الطاء أثرا في هذه الركاكة

* يرد النص كاملا في «النفح الطيب»225/9 (ويأتي معظمه في «مقدمة» ابن خلدون399/3) وفي مصادر أخرى منها «عقود اللآل»-مخطوطة الاسكوريال-

(1) عقود: ومقدمه: فسنا الأزهار فيه

(2) عقود ومقدمة: بأبهى

(3) عقود ومقدمة: فيه الفرصا

(4) «مقدمة:< يأذنى فرس

(5) مقدمة: مسكن
(6) عقود: خراب
(7) مقدمة: ومذنب
(8) عقود: وفؤادي
(9) مقدمة: لاعج من
(10) مقدمة: الا الدما، عقود: إلا دما كبقايا
(11) عقود: من ذكر
(12) ينتهي هنا النص في المقدمة
(13) عقود: فتح
(14) عقود: نهب
(15) عقود: حلا

* النص في «نفاضة الجراب في علالة الاغتراب» لابن الخطيب، تحقيق د. أحمد مختار العبادي، ص 169. ويضم الكتاب موشحة أخرى لابن الخطيب، مطلعها:
قد قامت الحجة
فليعذر العاذر
فالعذل لا يجدي
شيئاً سوى الكرب
وشقوة الخاطر
وشدة الوجد
(ص 167) وصدرهما ابن الخطيب بقوله:
«ونظمت في هذه الأيام (ورجح المحقق في المقدمة، ص 4 أن الكتاب لم يؤلف في الفترة ما بين سنة 773- 776 أي الفترة الأخيرة من حياة ابن الخطيب التي قضاها في منفاه الاختياري بالمغرب الأقصى بل أكد أن الكتاب ألف خلال المدة التي كان فيها ابن الخطيب برفقة السلطان محمد الخامس الغني بالله عندما خلع وأقام بالعدوة. أي من سنة 760 إلى سنة 763) موشحتين استطردت فيهما إلى مدح السلطان، تنويعاً في الوسائل، وسبراً للقريحة».
(1) مدينة بالمغرب الأقصى على المحيط، وأقام بها ابن الخطيب فترة في خلال مدة عزل السلطان، الغني بالله.
* النص في «نفح الطيب 104/10يتصدرها<: وقال أيضا من الموشحات الرائقة، في مثل هذه السابقة (إشارة لموشحة: «بالله يا قامة القضيب» في التشوق إلى غرناطة ومدح الغنى بالله) وأشار إلى محاسن، من وصف الرشاد.
ويرد النص في «العذارى المائسات» ص 34 يتصدرها: «وقال متشوقا إلى غرناطة ومادحا السلطان أيده الله بنصره»
(1) في النفح: «فجفنه كلما استهلا» في العذارى يبتسم
(2) في النفح: كلما تطيف
(3) في النفح: وقلبنا

(4) في النفح: فيك مبنى
(5) في العذارى تدعي دثارا
(6) في النفح: ودرع الزهر... وزين النهر
(7) في النفح: كبت على روضها (8) نفخ: فوقه
(9) في النفح: شنيلها
(10) نفح: بها تسيل
(11) في النفح: به تصف

* ترد في «العذارى المائسات» ص 18 تسبقها جملة «قال.. على أثر قفوله من الحج عام 849»
(1) في المطبوع: خصل
(2) في المطبوع: بالمأمول
وقد جاء في «نفح الطيب» جـ 9 ص 293 مطلع موشحة للسان الدين بن الخطيب
قد حرك الجلجل بازي الصباح
والفجر لاحْ
فيا غراب الليل حث الجناح
وذكر أنه «معارض للموشح الشهير الذي أوله:
بنفسج الليل تذكى وفاح
بين البطاح
كأنه يسقى بمسك وراح»
ومن المعارضات الأخرى له قول ابن سهل الاشبيلي «باكر إلى اللذة والاصبطاح» وموشحة لابن نباته المصري أولها «ماسح محمر دموعي وساح» وتردان في «عقود اللآل»-مخطوطة الاسكوريال-ورقة 5، وتجيء الأخيرة في «نفح الطيب».

* يرد النص في «الدراري السبع: الموشحات الأندلسية» ص 15، وعلى رأسه: «لابي العباس المنصور سلطان الأندلس»، كا يرد في «الكواكب السبعة السيارة»-مخطوطة الظاهرية-النص السابع، يتصدره «لأبي العباس المنصور مولاي أحمد، سلطان الأندلس».
والموشحة-كما هو واضح-مما نسج على منوال موشحتي ابن سهل وابن الخطيب اللتين مرتا من قبل، وموشحة المنصور السعدي نموذج لموشحات متأخري المغاربة، وقد سقناها-على علاتها-لتوضيح صنيع هؤلاء المتأخرين في حرصهم-وفي عدم حرصهم-على محاكاة صنيع القدامى.

نصوص تتعلق بالموشحات وتاريخها

* النبذة عن عبادة بن ماء السماء ترد في القسم الأول من المجلد الثاني، ص 1- 2 وأما حديث ابن بسام عن ابن عبادة القزاز فيجئ في ص 299- 300.
وأورد ابن شاكر في «الفوات» جـ 2 ص 149 من ط. إحسان عباس-نبذة مختصرة لما جاء في الذخيرة، وأما الصفدي في «التوشيع» ص 20 فانه لا ينقل عن «الذخيرة» إلا عبارة واحدة تقول: «وقال ابن بسام أول من صنع هذه الموشحات بأفقنا، واخترع طريقها-فيما بلغني-محمد ابن

محمود القبري الضرير، وقيل ابن عبد ربه، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي وأكثر منها»
(1) زيادة (عن المطبوع) يقتضيها السياق.
(2) في «الذخيرة:< ووضعوا. وأخذنا بما جاء في «الفوات»
(3) في «الذخيرة:< محمد بن حمود: وفي كثير من مخطوطات «الذخيرة» وكذلك في «الفوات» و«التوشيع» ابن محمود، وهو الأقرب للصواب. وانظر «الزجل في الأندلس» هامش ص 4.
(4) اختصرت العبارة في «الفوات» فجاءت على النحو التالي:
«.. ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي، ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التضفير وذلك أنه اعتمد مواضيع الوقف في المراكز». ولاحظ أن كلمة (التضمين)-جاءت في عدد من أصول كتاب «الذخيرة»- كما يقول محققو الكتاب-في صورة تشبه «التصبير» وجعلوها «» أما د. إحسان عباس في تحقيقه لـ «للفوات» فجعلها «التضفير» والكلمة نفسها تجيء في ط. الشيخ محيى الدين من «الفوات:< «التصغير»
(5) جاء في النسخة المطبوعة من «الذخيرة:< عصرنا. وعلق د. الأهواني على هذا في «الزجل في الأندلس» هامش ص 4 بقوله: «وهو سهو من الناشرين، ففي الأصلين المخطوطين: عصره.
(6) كلمة (التغيير تبدو لنا غامضة، ولعلها نفس الكلمة التي وردت قبلا في صورة «التضمين» أو «التصبير» أو «التضفير».. الخ.
(7) في المطبوع: «خارجة عن هذا التصنيف».
*النص «دار الطراز في عمل الموشحات» تحقيق د. جودت الركابي، ص 25- 39 ولم تختصر منه إلا ما كان خارجا عن نظرية الموشح، مثل الصفحات الأخيرة، إذ أنها مما يتصل بموشحات ابن سناء الملك نفسه.
وقد حقق الكتاب استنادا إلى مخطوطتين في كل من دار الكتب بالقاهرة وليدن، وطبع في فترة لم تكن قد نشرت فيها أعمال هامة في مضمار الموشحات، وقد كان ظهور «دار الطراز» سنة 1949 عاملا من العوامل التي ساعدت على تقدم الدراسات المعنية بفن التوشيح.
وهناك مخطوطات أخرى من «دار الطراز» سنتحدث عنها في غير هذا المجال.
(1) لعل هذه الموشحة أشهر ما خلف التطيلى، وترد في العديد من المصادر مثل «دار الطراز» و «جيش التوشيح والمغرب» وعارض هذه الموشحة عدد كبير من وشاحي المغرب والمشرق.
(2) أول موشحة للأعمى التطيلي، وترد بتمامها في «دار الطراز» و «جيش التوشيح»
(3) في «دار الطراز» و «الوافي بالوفيات» 41/4و«عيون الأنباء» ص 526
(4) يرد بتمامه في «الدار»
(5) يرد بتمامه في «الدار وفي جيش التوشيح» منسوبا للأعمى التطيلى.
(6) يرد بتمامه في «الدار» وينسب أحيانا لابن زهر.
(7) يرد بتمامه في «الدار»، ولا نعرف لمن هو.
(8) أثارت هذه الجملة طائفة من المناقشات، على النحو الذي سبق أن سقناه عند الحديث عن التزنيم وعن ابن غرلة.
والعجيب أن ابن سناء الملك لا يذكر مثالا عل هذا النوع لان موشحة «العروس» جاءت مزنمة، وكان يستطيع أن يمثل به بغيرها، كما فعل الصفدي في «توشيع التوشيح»
(9) مطلع موشحة لابن اللبانه، ترد في «دار الطراز» وفي «جيش التوشيح»
(10) ترد هذه الموشحة في «دار الطراز» والإشارة في المقدمة لـ «عبادة» تجعل النص ينسب تارة

لعبادة بن ماء سماء، وتارة أخرى لابن عبادة القزاز.

(11) مطلع الموشحة رقم 10 في «دار الطراز» (أفردت بالحسن) ويرد في مجموعة ابن بشرى بدون ذكر اسم المؤلف. وينسب في بعض الأحايين لابن بقى

(12) مطلع الموشحة رقم 11 في «دار الطراز» أوله «كم ذا يؤرقني ذو حدق» وهي-كما ذكر ابن سعيد في «المغرب» 414/2- لابن اللبانة

(13) مطلع الموشحة رقم 12 في «دار الطراز» وأولها «كذا يقتاد» ويرد منها قسم في «المغرب» 2/ 415، وهي في «جيش التوشيح:< كذا يعتاد

(14) يرد بتمامه في «دار الطراز»، ولا نعرف لمن هو.

(15) أول الموشحة «بأبي أحوي رشيق» وهو الموشح الرابع عشر في «دار الطراز»

(16) أول الموشحة «كم في قدود البان»، ويرد بتمامه في «دار الطراز» ونسبه المقري في «النفح» و «أزهار» لابن عبادة، ونسبه ابن بشرى في «عدة الجليس» لعبادة المري.

(17) ترد كاملة في «دار الطراز»، ولا نعرف لمن هي.

(18) من موشحة مطلعها، «أعيا على العود» وتختلف المصادر في نسبها. وهي تجئ في «جيش التوشيح» على أنها للأعمى التطيلي، وجاءت خرجة الموشحة

في «المقتطف» منسوبة لأبي بقى.

(19) وردت هذه الموشحة بتمامها في «دار الطراز» وجعلها لسان الدين بن الخطيب في «جيش التوشيح» من موشحات ابن بقى، وجعلها ابن بشرى في «عدة الجليس» لعبادة الملقى.

(20) أول الموشحة: أعجب الاشيا

رعى الإمام.

وترد في «دار الطراز» على أنها لابن بقى استنادا لهذه الإشارة في المقدمة.

(21) أول الموشحة: «مالي شمول

إلا شجون»

وهي في «دار الطراز» و«عدة الجليس» منسوبة لابن بقى.

(22) هذه هي القاعدة العامة، وشذت قلة قليلة فيما يتصل بهذا الشرط، أما متأخروا الموشحين فقلما اهتموا بذلك (انظر، على سبيل المثال، موشحات ابن زمرك).

(23) انظر ما ذكرناه عن ابن عبادة القزاز.

(24) ترد الموشحة في «دار الطراز»، وأولها: «يطغى وجيبي».

(25) أول الموشحة في «دار الطراز:< «رح للراح وباكر».

(26) الموشحة في «دار الطراز» وفي مجموعة ابن بشرى بدون ذكر مؤلفها.

(27) تحدثنا من قبل عن هذه الموشحة، وأمر نسبتها لابن المعتز. وانظر ما ذكرناه عن ابن زهر.

(28) أول قصيدة ابن المعتز: عرف الدار فحياها وناحا بعد ما كان صحا واستراحا

(29) أول الموشحة: «آتشكو وأنت تعلم حالي»

وترد بكاملها في «دار الطراز».

(30) في المرجع نفسه، ص 77، وفي «جيش التوشيح».

(31) الموشحة لابن بقى، وترد في «دار الطراز».

(32) علق د. إحسان عباس في «تاريخ الأدب الأندلسي» ج 2 ص 225 على استعمال الأرغن في تلحين الموشحات بقوله: «وأنا أرى أن ابن سناء الملك قد يكون واهما أو مغاليا، لأن الأرغن ليس

بالآلة السهلة التي يمكن اقتناؤها، إذا تصورنا مدى شيوع الموشح في أوساط مختلفة مع الزمن، وإما أن يكون تنغيمها على الأرغن هو أوفق ضروب التلحين لا وهذا يمثل دورا تاليا لدور نشأتها اكتشف من بعد».

ونحن مع وجهة النظر هذه لان ابن سناء الملك سيتحدث بعد قليل عن غناء الموشحة ذاكرا أن «المغني ببعض الآلات يحتاج إلى أن يغير شد الأوتار عند خروجه من القفل إلى البيت، وعند خروجه من البيت إلى الأقفل»، وهذا التغيير ميسور بالنسبة لآلة مثل العود ولكنه عسير بالنسبة لآلة أكثر تعقيدا كالأرغن.

(33) يرد النص بتمامه في «دار الطراز» وفي «جيش التوشيح» منسوبة للأعمى التطيلي، ويجئ كذلك في مجموعة ابن بشرى.

(34) يجيء النص بتمامه في «دار الطراز» ويستدل من المقدمة أنه من موشحات الأعمى التطيلي.

(35) النص لابن بقى بحسب ما جاء عند ابن بشرى.

(36) انظر دار الطراز ص 83.

(37) في «دار الطراز» ص 83، وهو آخر النصوص الأندلسية الواردة فيه.

(38) انظر ما سقناه عن الموشحات الدينية والصوفية. وابن سناء الملك اكتفى بأن قدم في «دار

المقتطف من ازاهر الطرف

الطراز» موشحة له من هذا النوع «المكفر» انظر ص 131.

* نشر هذا النص د. عبد العزيز الأهواني ضمن بحث بعنوان «ابن خلدون وتاريخ فني التوشيح والزجل» طبع في «أعمال مهرجان ابن خلدون المنعقد في القاهرة سنة 1962 ص 473- 487، اثبت فيه أن ما في «المقدمة» من حديث عن الموشحات والأزجال نقله ابن خلدون «كله نقلاً حرفياً، وأودعه في مقدمته دون

تصرف أو تغيير» و يضيف:

«حقاً إن في نص ابن خلدون بعض سطور تزيد على ما بين أيدينا من نسخة المقتطف، ولكن مراجعة هذه الزيادات اليسيرة يقطع بأن بعضها كان في أصل المقتطف، أما البعض الآخر من هذه الزيادات فنرجح انه أيضاً كان في الكتاب ثم سقط في نسختنا، لأنه يتفق مع سياق نص ابن سعيد».

هذا ما يقرره د. الأهواني.، وإذن فليس لابن خلدون في نهاية المطاف إلا التمهيد والتذييل على ما جاء في «المقتطف» ونحن لا نستبعد-مع ذلك-أن تكون بعض الزيادات من وضع ابن خلدون، مثل الفقرة التي جاءت من شعر التطيلي «كيف السبيل» وقطعة ابن الصابوني التي أولها «ما حال صب» وهذه الزيادات لا تمثل في حقيقتها شيئاً ذا بال، والنص الذي في «المقدمة» عن الموشحات إنما هو نقل عن ابن سعيد.

أما المقري فانه يسوق في كتابيه-نفح الطيب (ج 9 ص 220 من ط-محيى الدين، ج 7 ص 5 عن ط. إحسان عباس) و«أزهار الرياض» (ج 2 ص 208) مختصراً لما جاء في مقدمة ابن خلدون، ولا يزيد عليه إلا زيادة لا يعتد بها، تتمثل في ذكر تتمة موشحة لسان الدين بن الخطيب «جادك الغيث» وكان ابن خلدون قد أورد معظمها، ولكن أهمل جانباً منها.

ونقابل هنا بين القطعة الخاصة بالتوشيح في «المقتطف» وفقاً للنص الذي نشره د. الأهواني-وبين

مقدمة ابن خلدون (ط. كاترمير) ج 3 ص 390 وما بعدها، ونشير كذلك للنص حسب ما أورده المقري.

(1) أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الحجاري (المتوفي سنة 562 هـ)، صنف كتابه المسهب في سنة 530 لعبد الله بن سعيد، صاحب قلعة بني سعيد من أعمال غرناطة، وأعجب هذا بالكتاب أيما إعجاب، وعكف على تنقيحه، وكان أن تتابعت على الكتاب بعد ذلك جهود أربعة آخرين من أسرة ابن سعيد، آخرهم علي بن سعيد المغربي المتوفي سنة 685 هـ، وهو الذي ضم جهود من سبقه ونسقها وأخرجها للناس تحت عنوان «المغرب في حلى المغرب». راجع مقدمة «المغرب» للدكتور شوقي ضيف ص 1- 9. وكتاب «المغرب» لم يصل إلينا كاملاً، ولا تتضمن النسخة المطبوعة شيئاً من حديث الحجاري هذا عن الموشحات.

(2) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم، (المتوفي سنة 637 هـ)، له شروح على كثير من أمهات الكتب مثل «الكامل» للمبرد و «الأمالي» للقالي، وله كتاب في «آداب أهل بطليوس» انظر عنه «المغرب» 369/1، وراجع «الأعلام» 60/1.

(3) قدمنا نبذة عن ابن زهر، وعن غيره من الوشاحين المذكورين في النص، ولم نجد ضرورة لتكرير ما سقناه عنهم.

وقد قدم ابن خلدون للنص الذي نقله بالآتي:

«وأما أهل الأندلس، فلما كثر الشعر في قطرهم، وتهذبت مناحيه وفنونه وبلغ التنميق فيه الغاية استحدث المتأخرون منهم فناً أسموه بالموشح ينظمونه أسماطاً أسماطاً، وأغصاناً أغصاناً يكثرون منها ومن أعاريضها المختلفة: فيسمون المتعدد منها بيتاً واحداً، و يلتزمون عدد قوافي تلك الأغصان وأوزانها متتالياً فيما بعد إلى آخر القطعة، وأكثر ما ينهى عندهم إلى سبعة أبيات. و يشتمل كل بيت على أغصان عددها بحسب الأغراض والمذاهب، و ينسبون فيها ويمدحون، كما يفعل في القصائد. وتجاوزوا في ذلك إلى الغاية، واستظرفه الناس، وحمله الخاصة والكافة، لسهولة تناوله، وقرب طريقته.

وكان المخترع لها بجزيرة الأندلس مقدم بن معافر الفريري، (وهذه-ولاشك قراءة غير دقيقة للنص، وجاءت مثل هذه الأخطاء في كثير من طبعات المقدمة، والاسم في «النفح» جاء على وجه الصحيح: مقدم بن معافى القبرى) من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني، وأخذ عنه ذلك عبد الله بن عبد ربه (في النفح: وأخذ عنه ذلك ابن عبد ربه) صاحب كتاب العقد، ولم يظهر لهما مع المتأخرين ذكر، وكسدت مرشحاتهما فكان أول من برع في هذا الشأن بعدهما عبادة القزاز...».

(4) في المطبوع من المقتطف، وفي «النفح:< ولم تسلم. وفي «المقدمة» وليش تسلم.

(5) زيادة من «المقدمة» وترد في «النفح».

(6) في المقدمة والنفح: وذكر غير واحد من المشائخ أن أهل هذا الزمان بالأندلس.

(7) النفح: المغرب.

(8) المقدمة: منا. وأسقط المقري فقرة «وصل السكر منك بالسكر».

(9) جملة: «ولما ختمها...» ساقطة من المقدمة والنفح.

(10) في «المقتطف:< الأمير العلي (ولعلها غلطة مطبعية).

(11) غير ابن خلدون من ترتيب العبارات بما لا يبدل المعنى.

(12) في المقدمة: أبو الخطاب.

(13) في المقدمة: ذكر أبي بكر.

(14) في المقتطف والمقدمة: فغض.

(15) أسقط المقري كل ما جاء من قطعة الأبيض.

(16) الزيادة من «المقدمة».

(17) في المقدمة: الحسن بن دويريده.

(18) ترد الموشحة بتمامها في «دار الطراز» دون ذكر مؤلفها، وأولها في الدار:

شمس قارنت بدرا　　　　راح ونديم

وتجيء في «الوافي بالوفيات» ج 4 ص 41 و «عيون الأنباء ص 526 منسوبة لأبي بكر بن زهر. ومن المراجع الحديثة من نسبته لحاتم بن سعيد، وهذا-ولا شك-محض خطأ.

(19) في المقدمة والنفح والأزهار: الدويني.

(20) في النفح: هو.

(21) ناقص من المقتطف.

(22) ناقص من المقتطف ومن المقدمة والنفح (وأضافه محقق النفح-الشيخ محي الدين استناداً إلى طبعة أخرى من المقدمة).

(23) نفح: موفق.

(24) في «المقتطف» ومقدمة ابن خلدون والنفح: ابن حيون، وصوبنا الاسم استناداً إلى ما في «المغرب» (انظر ما ذكرناه عن: ابن حنون).

(25) المقدمة: سهمه.

(26) هذه الفقرة رسمت في المقتطف ومن نقل عنه على شكل عبارة نثرية، كما وهم ابن خلدون عندما وصف موشحة ابن حنون بأنها «زجل مشهور» انظر الموشحة بتمامها في «المغرب»1/281.

(27) المقدمة: يدي.

(28) المقدمة: يومئذ.

(29) في المقدمة: أخبر ابن سعيد عن والده أن مصرفا هذا.

(30) المقدمة: فقال لا تفعل فقال ابن الفرس.

(31) في المقدمة: قلوب تصاب.

(32) كلمة (قلوب) ساقطة من المقدمة.

(33) في المقدمة: وبعد هؤلاء.

(34) في المقدمة: ذكر ابن الرائس أن يحيى الخزرجي.

(35) المقدمة والنفح: قلب العليل.

(36) في الأصل: «قال ابن سعيد: كان والدي».

(37) زيادة من المقدمة، وترد في النفح.

(38) في المقدمة والنفح: «قال ابن سعيد كان والدي».

(39) في المقدمة والنفح: أعانق بالفكر... وألثم بالوهم.

(40) في المقدمة والنفح: فنجوم.

(41) في النفح: ولا بالمثال.

(42) في النفح: قد قدحت.

(43) في المقدمة: ابن خرز البجاوي وله من موشحة.

(44) في المقدمة: «موافق... حباك منه». وبعدها:

ومن محاسن الموشحات للمتأخرين موشحة ابن سهل شاعر اشبيلية وسبته (في الأصل: تسبة) من بعدها وهي قوله:

هل درى ظبي الحمى أن قد حمى　　قلب صب حلّه عن مكنس
فهو في نار وخفق مثلما　　لعبت ريح الصبا بالقبس

وقد نسج على منواله فيه صاحبنا الوزير أبو عبد الله بن الخطيب شاعر الأندلس والمغرب لعصره، وقد مر ذكره، فقال:

جادك الغيث إذا الغيث همى　　يا زمان الوصل بالأندلس

وذكر ابن خلدون معظم الموشحة ولكنه أسقط المدحي منها، ونقل المقري السطور السابقة وأضاف في نهايتها: «إلى هنا انتهى ابن خلدون من موشحة لسان الدين، ولا أدري لم لم يكملها، وتمامها قوله:

الغنى بالله عن كل أحد　　وإذا ما فتح الخطب عقد» الخ.

(45) علق الدكتور الأهواني على هذه الفقرة قائلاً: في «المقدمة» زيادة أربع فقرات من هذا الموشح هذه الفقرات هي:

كـلـلـي يـا سـحـب تـيـجـان الـربـى بـالحـلـي
واجـعـلـي سـوارهـا مـنـعـطـف الجـدول

لكن المؤكد أن الفقرات الأخيرة ليست من موشحة «حبيبي ارفع حجاب النور» وقد ناقشنا ذلك تفصيلاً في بحث بعنوان «مظفر العيلاني وموشحة كللي يا سحب».

«الندوة»، 14 محرم 1398 هـ وفي «نشأة فن التوشيح بالمشرق» ص 330 وص 346. ونص موشحة «حبيبي ارفع حجاب النور» (ولم يسبق نشره) سنقدمه للقارئ في كتابنا عن «الموشحات المشرقية».

* النص نقلا عن «توشيح التوشيح» بتحقيق البير حبيب مطلق، ص 19 إلى 32 وأسقطنا ما نقله الصفدي عن مقدمة «دار الطراز» اللهم إلا ما اقتضى السياق ذكره.

(1) انظر نص ابن بسام وعبارته لا تقول أن الرمادي «اكثر من الموشحات» بل اكثر من استعمال «التضمين-؟-في المراكيز». (2) جاء عنه في «المغرب» جـ 2 ص 317.

«اخبرني والدي: انه كان شهير الذكر، جليل القدر، متصدرا لإقراء العربية ببلنسية في مدة منصورين عبد المؤمن» وتوفي باشبيلية سنة 571 هـ واتفق د. شوقي ضيف (هامش المغرب) والزركلي («الإعلام»53/5) على أنه توفي سنة 571 أماد. إحسان عباس تاريخ الأدب الأندلسي جـ 2 ص 218 فيجعل وفاته سنة 525 هـ (وانظر عنه «زاد المسافر» ص 103 و «الذيل والتكملة» 187/1، «والتوشيع»-ملحوظة للمحقق-ص 199.

ولابن سعد الخير كتاب اسمه «مشاهير الموشحين بالأندلس» أو «نزهة الأنفس وروضة التأنس في توشيح أهل الأندلس» هو-ولا شك-الذي نقل عنه الصفدي.

(3) ليست هذه الجملة-في واقع الأمر-للصفدي بل لابن سناء الملك. انظر «دار الطراز» ص 25.

(4) لم يجيء هذا المثال في «دار الطراز» لان ابن سناء الملك الذي لم يجد أمامه فيما يبدو إلا نموذجا تخلله التزنيم، ومن ثم أسقطه. راجع ما قلناه عن ابن غرلة، وعن ظاهرة التزنيم. (5) هذه العبارة لم تجئ في «الدار».

(6) ذكرنا هذه الفقرة لما لها من ارتباط وشيج مع ما قبلها، من قبيل إيرادها لاسم ابن سعيد المغربي من بين الشعراء المصريين، لأنها تصور الامتداد الطبيعي للموشح، من الأندلس والمغرب نحو المشرق، ابتداء من مصر انظر دراستنا عن «نشأة فن التوشيح بالمشرق.»

المؤلف في سطور

د. محمد زكريا عنانى

* ولد بمصر سنة 1936 م

* تخرج في قسم اللغة العربية بجامعة الإسكندرية سنة 1961 بامتياز مع مرتبة الشرف.

* تابع دراسته في جامعات الولايات المتحدة وفي فرنسا حيث نال (سنة 1968) درجة دكتوراه التخصص في النقد، ثم دكتوراه الدولة في الآداب من جامعة السوربون (1973) بمرتبة الشرف الأولى.

* عمل بالتدريس في بعض الجامعات والمعاهد العليا بفرنسا ومصر ويعمل حاليا بجامعة الملك عبد العزيز (بمكة المكرمة).

* ظهرت له أكثر من خمسين دراسة في مجالات الأدب والنقد والتحقيق.



تكنولوجيا السلوك الانساني

ترجمة: د. عبد القادر يوسف